نقض كتاب بسط التجربة النبوية

- قراءة نقدية لفكر الكاتب الإيراني عبد الكريم سروش في كتابه بسط التجربة النبوية -

الأستاذ الدكتور

خالد كبير علال

دار المحتسب -

الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد:

أولا أفردت هذا الكتاب للرد على كتاب بسط التجربة النبوية للكاتب الإيراني الدكتور عبد الكريم سروش، وقد عنونته ب: نقض كتاب بسط التجربة النبوية. صنفته استجابة لاقتراح من أحد الباحثين الفضلاء من كردستان العراق الذي اقترح عليّ إمكانية الرد على ذلك الكتاب، فوافقت على اقتراحه.

ونظرا لكثرة الأخطاء والانحرافات المنهجية في هذا الكتاب، ونظرا لكثرة تكرار المؤلف لها، فقد تركت كثيرا من الأفكار والمواقف من دون الوقوف عندها للرد عليها مباشرة. لكني لم أهملها ، لأن منها مواقف سبق الرد عليها ،وإنما المؤلف هو الذي كرر ذكرها في مواضع أخرى من كتابه . ومنها مواقف أخرى تندرج ضمن الأفكار والاختيارات التي تم الرد عليها.

وأُنبه هنا إلى أن كتابنا هذا قد تضمن كثيرا من التكرار لجانب من مضامينه وأفكاره، وهذا لأن المؤلف كرر كثيرا من مواقفه بصيغ مخُتلفة. فتطلب الأمر منا تكرار ذلك حسب ما يفرضه المقام ، لكنه لم يكن تكرارا حرفيا، وإنما كان تكرارا بأساليب مختلفة حسب سياقها وموضوعها.

وثانيا ففيما يخص المصادر التي نعتمد عليها ونحتكم إليها في كتابنا هذا، فبما أنه يتناول موضوع النبوة، وهي قضية شرعية أولا، وبما أن المؤلف عبد الكريم سروش ينتمي إلى المسلمين، فمن الضروري أن نعتمد أولا على القرآن الكريم ، ثم على السنة النبوية الصحيحة الموافقة له، ثم على الروايات التاريخية الصحيحة الموافقة للكتاب والسنة، ثم على شواهد ومعطيات العقل الصريح والعلم الصحيح. ولا يصح بعد هذه المصادر

الاعتماد على مصادر أخرى إذا كانت تخالف ما تقرره تلك المصادر التي انطلقنا منها ،واعتمدنا عليها، واحتكمنا إليها.

وأما إذا قيل: ألم يكن لكتاب بسط التجربة النبوية من إيجابيات فتشير إليها. فأقول: إن بحثنا هذا أفردناه لنقض هذا الكتاب، بمعنى لإظهار نقائصه وسلبياته ،وأخطائه وانحرافاته، ولم نُفرده لإظهار إيجابياته. وعليه فمن المنطقي جدا أن لا نركز على إيجابياته ، ولا يجب علينا الإشارة إليها ولا التنويه بها . علما بأن الحقيقة هي أن معظم الكتاب غير صحيح، مما يعني أن سلبياته كثيرة جدا ، وإيجابياته قليلة جدا ، ومع قلتها فهي جزئية، ولا تمثل جانبا أساسيا ولا كبيرا من مضمون الكتاب. ولهذا نحن نقضنا الكتاب ولم نعلق عليه، ولا رددنا على جوانب منه، لأن هذا الكتاب-بسط التجربة النبوية- لم يكن ينفع معه التعليق والردود العامة، وإنما كان يتطلب نقضا وهدما للكتاب كله من أساسه وفروعه. وهذا سيتبين لنا لاحقا بتفصيل واضح على المستويين التطبيقي والمنهجي من جهة ، وستتضح من جهة أخرى الأسباب الأساسية التي أدت بالمؤلف إلى الوقوع في كثرة الأخطاء والانحرافات المنهجية.

وأخيرا نسأل الله تعالى التوفيق والسداد، والإخلاص في القول والعمل، و هو سبحانه الموفق لما يُحبه ويرضاه ، وهو ولي ذلك والقادر عليه.

أ ، د: خالد كبير علال
الجزائر: ذو الحجة 1433 / أكتوبر 2012

الفصل الأول
نقض القول بأن الوحي الإلهي كان وليد ظروفه ومحكوم بتاريخيته

أولا: نقض القول بحتمية خضوع دين الإسلام للتاريخية:
ثانيا: حقيقة العلاقة بين نزول الوحي وأسباب النزول:
ثالثا: نقض القول بأن مضامين القرآن كانت انعكاسا لظروف محيطه؟:
رابعا: نقض تقسيم دين الإسلام إلى عرضيات وذاتيات:

نقض القول بأن الوحي الإلهي كان وليد ظروفه ومحكوم بتاريخيته

يرى المؤلف عبد الكريم سروش أن دين الإسلام لا يختلف عن غيره من الحوادث التاريخية المحكومة بظروف محيطها، فإذا تغيرت فقدت صلاحيتها زمانا ومكانا، بحكم خضوعها لقانون التاريخية المتحكم في كل حوادث التاريخ. وبناءً على ذلك فإن الوحي الإلهي-الإسلام- ظهر استجابة لظروفه من جهة ، وجاء بمعطيات كانت انعكاسا لمحيطه العربي الذي ظهر فيه من جهة أخرى. وقد تضمنت تلك المعطيات مضامين مؤقتة زائلة، وأخرى دائمة. فما تفاصيل ذلك ؟، و ما حقيقة هذه المزاعم؟. وهل حقا أن دين الإسلام كان نتاج محيطه العربي؟!.

أولا: نقض القول بحتمية خضوع دين الإسلام للتاريخية:

عبّر المؤلف عن قوله بالتاريخية وحتمية خضوع دين الإسلام لها، في مواضع كثيرة من كتابه بسط تجربة النبوة ، أذكر منها ستة مواقف من باب التمثيل لا الحصر.

الأول مفاده أنه قال: «إنّ كل أمر ما وراء طبيعي عندما يدخل في أجواء الطبيعة فإنّه سيكون مقدّراً بأقدار الطبيعة، وكل أمر ما وراء تاريخي عندما يضع قدمه في ميدان التاريخ فسيكون مشروطاً بشروط وقيود التاريخ»[1].

وأقول: قوله هذا تضمن حتمية مبالغ فيها، ولا تصح بهذه الصرامة ، قالها الرجل لغاية في نفسه ليستخدمها سيفا مُسلطا وقانونا دامغا لنزع الصفة الإلهية عن دين الإسلام، وصلاحيته لكل زمان ومكان. لا تصح تلك الحتمية لأن الحقيقة العلمية المعروفة في الطبيعة أن الكون كله يخضع للنسبية، فليست كل مخلوقاته وحوادثه تخضع لقانون واحد، وإنما في الوسط الواحد قد تخضع كائناته لأكثر من قانون. فلاشك أن الجراثيم والبكتريا ، لها قوانين خاصة بها تتفق مع طبيعتها، لا تنطبق على الحيوانات البرية، ولا على الإنسان. والجن والشياطين مع أنها تعيش معنا في الطبيعة إلا أنها تتميز بصفات لا نتميز نحن بها، و تحكمها قوانين فيزيائية ، لا تنطبق علينا. وقانون نيوتن الذي يصلح في الأرض لا يُمكنه

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ترجمة أحمد القبانجي ، دار الفكر الجديد ، العراق، 2006 ،ص: 181-182.

أن يُعوض قانون النسبية العامة التي تتحكم في العالم[1]. فماذا يعني ذلك ؟ يعني أنه ليس صحيحا أن كل من يدخل الطبيعة يجب أن يخضع لكل قوانينها ، وإنما هناك نسبية واختلافات بين الكائنات حسب طبيعة وقدرات كل كائن. ووجودها في وسط واحد لا يُفقدها خصوصياتها، و لا يمنعها من التفاعل مع باقي الكائنات الأخرى. فالجن مثلا يستطيع أن يُؤثر في حياة البشر، لكنهم مع ذلك لا يخضعون لسنن التاريخ التي تحكم السلوك البشري. وتستطيع كثير من الجراثيم التأثير سلبا في حياة الإنسان، لكنها مع ذلك لا تخضع لكثير من القوانين التي تتحكم في العمران البشري.

وبما أن الأمر كذلك فلا يصح ذلك القانون الحتمي الذي أصدره المؤلف. فهو لم يصدق حتى على المخلوقات فيما بينها ، فما بالك بالنسبة للفعل الإلهي ؟؟!!. إن ذلك القانون لا يصح تطبيقه على أفعال الله تعالى، لأن الله تعالى فعال لما يريد ، ويفعل ما يشاء ويختار، وعلى كل شيء قدير ،و(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس : 82) . وهو سبحانه يفعل ما يشاء بالسُنن الجارية والخارقة ، فكلها عنده سواء. والكون بأسره من مخلوقاته ، يتصرف فيه كما يشاء، فعدما أنزل كتابه المعجز على نبيه الخاتم محمد-عليه الصلاة والسلام- جعله مصدقا ومهيمنا، وموافقا لطبيعة البشر في جوانب ، ومفارقا لها في جوانب أخرى. فهو كتاب يُقرأ كما تُقرأ سائر الكتب، لكنه يختلف عنها بأنه يتضمن كلام الله لا كلام البشر، و(لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(الحشر : 21) . ومع أنه كتاب فهو يختلف عن كل الكتب، بأنه كتاب تحدى الله به الإنس والجن معا، (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (الإسراء : 88) . والحقيقة إن القرآن الكريم تعامل مع التاريخ ووجهه و تحكم فيه ، وأوجد قسما منه ، لكنه لم يخضع لسننه وتاريخيته التي جعلها الرجل سيفا مُسلطا على كل حوادث التاريخ .

والموقف الثاني عبّر عنه بقوله: ((نتحدث عن بشرية وتاريخية الدين والتجربة الدينية نفسها. وبعبارة أخرى: إنّ هذا الكتاب يبحث في المنهج البشري والتاريخي والأرضي للوحي والدين بدون التعرض للرؤية الميتافيزيقية لمقولة الوحي، ويسعى لتوضيح ظاهرة الوحي والغيب عندما ترتدي ثوب الطبيعة وتنزل من مركب ما وراء التاريخ إلى الأجواء

---

[1] أنظر مثلا: الموسوعة العربية العالمية ، مادة: النسبية .

التاريخية وما تتعرض له من متغيّرات وتداعيات نتيجة الغبار المتراكم على وجهها الأصيل والأعراض التي تحاصر ذاتها والقيود التي تكبل اطلاقاتها))[1].

وأقول: كلامه هذا فيه تغليط و تلاعب ومخالفات شرعية ، أقامها على خلفيات مذهبية لتحقيق غايات في نفسه. لأن الدين الحق في ذاته ومصدره- الإسلام- بعدما أنزله الله تعالى لا يُمكن أن يكون بشريا ، ولا أن يكون محكوما بحكاية التاريخية . فهو وإن كانت له ظروفه الزمانية والمكانية و البشرية التي ظهر فيها ، فليست هي التي أوجدته، و لا هي التي تتحكم فيه، ولا هي التي تحتويه، ولا هي التي تطويه في طياتها. و إنما يبقى هو بذاته قائما صامدا مُوجِهاً ، لا يطويه الزمان ولا المكان، و لا الحوادث. لأن الله تعالى هو الذي حفظ دينه وأراد له ذلك.

علما بأنه ليس للوحي في الإسلام مفهوم ميتافيزيقي، بمعنى أنه غيبي غير علمي، ، فهذا لا يصح ، لأن مفهوم الوحي في الإسلام مُحدد بعلمية ووضوح ،و بصدقية ويقين. وهو بَيّن أمامنا، حدده الشرع الحنيف بنصوص كثيرة جدا. كقوله سبحانه: (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ) (فاطر : 31)، و(َيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (سبأ : 6)، و(إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) (الزمر : 41).

ولا يصح فصل الوحي الإلهي عن تجربة النبي البشرية العملية في تفاعله معه، ولا تفاعل المؤمنين معه أيضا. لأن هذا التفاعل لا يقطع الوحي عن مصدره، ولا الوحي يتحول إلى ظاهرة بشرية. وإنما يحدث التفاعل مع بقاء الطرفين قائمين منفصلين من جهة. و يبقى الوحي هو الآمر والناهي والموجه، والإنسان هو المتلقي والمُطبق من جهة أخرى.

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ترجمة أحمد القبانجي، دار الفكر الجديد ، العراق، سلسلة ثقافة إسلامية معاصرة(13)، 2006، ص: 3 .

والموقف الثالث تضمن قوله: ((فالدين الذي يتولد بالتدريج، ويتكامل ويتسع ويتعمق بالتدريج، وبالتالي فإنّ استمرار حياته رهن بحفظ دعائمه وظروفه الأولية، فهذا الدين ليس مجرّد كتاب حتى يقال إنّ هذا الدين يبقى مع بقاء هذا الكتاب حتى لو لم يدخل في ساحة الصراع التاريخي))[1].

وأقول:قوله هذا غير صحيح، و فيه تلبيس وتغليط، لأنه أولا إن دين الإسلام لم يتولد من الظروف التاريخية التي ظهر فيها، وإنما هو دين الله تعالى منذ الأزل ، وقد جاء به كل الأنبياء، لقوله سبحانه : ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19) ،و(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13). ثم ظهر دين الله أخيرا في الرسالة الخاتمة بعد فترة من الرسل (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(المائدة : 19). فالإسلام لم يتولد من ظروف ظهوره، وإنما هو دين كان كاملا أصلا، فأنزله الله تعالى على نبيه محمد- عليه الصلاة والسلام- بالتدريج، و لم يكن لهذا التدريج أي دخل في ظهوره و لا في تكوينه ، وإنما كان سببا في نزوله مُفرقا.

وثانيا ليس صحيحا أن ظروف نزوله كانت سببا في تكامله وتعميقه وتوسيعه، لأن دين الإسلام هو دين الله تعالى، هو بنفسه كامل شامل جمع بين الدين والدولة، وبين الدنيا والآخرة . وإنما أنزله الله تعالى مفرقا لِحِكَم ربانية، منها(وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً) (الإسراء : 106)، و(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)(الفرقان : 32) . ثم أن عندما اكتمل نزوله قال سبحانه:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة : 3). فدين الإسلام لم يتولد من ظروفه كما زعم الرجل،

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 27.

فليست هي التي أظهرته، ولا هي التي كونته، و لن تستطيع أن تغيره بعد اكتمال نزوله ، لأن الله تعالى تولى حفظه بحفظ كتابه العزيز.

وأخيرا –ثالثا- إن هذا الرجل عندما قال:((فهذا الدين ليس مجرّد كتاب حتى يقال إنّ هذا الدين يبقى مع بقاء هذا الكتاب حتى لو لم يدخل في ساحة الصراع التاريخي)) ، فهو يتعمد نفي حقيقة كبرى من حقائق الإسلام لغاية في نفسه بدعوى تاريخية الإسلام. وهذه الحقيقة التي أراد نفيها هي أن دين الإسلام هو كتاب رباني، ووحي إلهي، هو القرآن الكريم، وقد سماه الله تعالى بأنه كتاب في آيات كثيرة، كقوله سبحانه: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت:41- 42). وليست مذاهب الفرق الإسلامية – التي كونها التاريخ- هي دين الإسلام، فهي في الأساس تُعبر عن نفسها قبل أن تُعبر عن جانب من دين الإسلام. فلو ضاع القرآن الكريم ما بقي إسلام حقيقي كما أنزله الله وأراده. ولهذا تكفل سبحانه وتعالى بحفظه ، دون الكتب السابقة التي أنزلها على الأنبياء السابقين. قال سبحانه : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(الحجر : 9) ،و(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت:41- 42) . لكن هذا الرجل يتعمد إنكار هذه الحقائق عن سبق إصرار وترصد لغاية مذهبية في نفسه.

والموقف الرابع مفاده أن المؤلف قال: ((ولكنّ الواقع التاريخي هو أنّ اللغة العربية مع كل ما تختزنه من قواعد وسعة ،وضيق وخصوصيات، كانت مفروضة على الوحي المحمدي ...ولذلك فإنّ بعض خصائص الخطاب الديني الإسلامي تابع لخصائص تلك اللغة بشكل عام وقسم منها تابعة لخصوصيات الأدب العربي من المحكم والمتشابه، والمجاز والحقيقة، والنص والظاهر وأمثال ذلك من الموارد الموجودة في جميع اللغات ولا يمكن التهرب منها في مجمل الخطاب البشري))[1].

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 48.

وأقول: قوله هذا فيه حق وباطل،و تغليط وتلبيس،ويفتقد إلى النظرة الشاملة للموضوع،فنظر إليه بنظرة حزئية مفصولة عن أصولها وخلفياتها،ويبدوا أنه فعل ذلك لغاية في نفسه. لأنه أولا يجب أن لا يغيب عنا أن دين الإسلام هو دين الله تعالى منذ الأزل، وقد جاء به كل الأنبياء، وأنزل الله سبحانه وحيه وكتبه بلغات كثيرة حسب لغة كل قوم أنزل الله عليهم كتابا، ولهذا قال سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(إبراهيم : 4). فليس من الشرع ،ولا من العقل، ولا من العلم أن يُنزل الله تعالى وحيه على قوم بلغة لا يفهمونها. فاللغة هنا هي وسيلة توصيل و تواصل . ومن الأحسن أن نعبر عن وظيفة اللغة بأنها وسيلة، ولا نسميها عرضا كما يرى الباحث سروش. لأن عبارة" وسيلة " مفهومة بذاتها، و هي أكثر دقة في التعبير ولا تحتاج إلى توضيح و تحديد معناها بألفاظ أخرى. لكن عبارة" عرضي " تحتمل أكثر من معنى، ومفهومها غير واضح بنفسها، و إنما تحتاج إلى توضيح من خارجها يُحدد المعنى المُراد.

وثانيا بما أن اللغة وسيلة، وأن الله تعالى خاطب كل قوم بلسانهم فهو الذي اختار الأقوام ولغاتهم، وهو الذي ضَمّن لغاتهم ما أراده هو، ولم تكن لغاتهم مفروضة على الوحي الإلهي، ولا هي التي اختارت مضمونه . ولا يصح القول بأن هؤلاء بلغاتهم فرضوا أنفسهم على الله تعالى، فهذا تعبير لا يليق، ولا يُعبر عن الحقيقة، ولا يصح قوله. فهو كلام باطل مردود على قائله. وعليه فلم تكن اللغة العربية مفروضة على الوحي الذي أنزله الله على محمد- عليه الصلاة والسلام-، ولا هي التي حددت مضمونه، وإنما الأمر كله لله تعالى، فهو الذي اختارها كما اختار خاتم أنبيائه، وضمنها كلامه الذي أراده. قال سبحانه:(وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الأنعام : 124)، ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(إبراهيم : 4).

وبما أن اللغة وسيلة للتعبير، فإن الله تعالى استخدم اللغة العربية وسيلة كلام ، أوصل بها إلينا دينه ووحيه. فهو الذي تحكم فيها، وليست هي التي

تحكمت فيه،وهو الذي استخدمها وليست هي التي استخدمته. وهو الذي ضمنها وحيه، و عبر بها عن دينه، وليست هي التي كونت الوحي ، ولا هي التي تكلمت به، ولا كان لها دخل في مضمونه. وهو الذي أثر فيها بالوحي، و ليست هي التي أثرت فيه. وعليه لا يصح أن يُقّال:إن اللغة العربية تتحكم في الوحي الإلهي، وإنما العكس هو الصحيح، ومن يقول خلاف قولنا ، فهو إما أنه جاهل بالموضوع أصلا، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه قال ذلك لغاية في نفسه. ولهذا كان القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساسي للغة العربية ، فهو مصدرها، وليست هي مصدره، وهي تابعة له ،وليس هو تابعا لها.لأنه هو الذي يستخدمها وسيلة للتعبير عن الوحي ، وليست هي التي تستخدمه في ذلك. فهي وسيلة للتعبير، وستبقى كذلك، ولن تستطيع التحكم في المتكلم ومضمون كلامه.

والموقف الخامس مفاده أن المؤلف ذكر نظرية داروين في النشوء والارتقاء المتعلقة بنشأة الكائنات الحية على الأرض، ذكرها كنموذج لتكوّن النظرية العلمية، فمدحها على أنها تقدم لنا نموذجا للتفسير العلمي الصحيح للظواهر الطبيعة من دون تفسيرها بالتدخل الإلهي المباشر في نشأتها. وهي بهذا-حسب زعمه- تمثل نموذجا يُمكن تطبيقه على الحوادث بالبشرية وفق قانون التاريخية. وعليه فإن المؤلف ذكر كلاما يتعلق بهذه النظرية، ثم عاد ووظف ذلك لتفسير ظاهرة الوحي الإلهي تفسيرا بشريا. فكان مما قاله عن الداروينية: ((وقد ذكرت هذه النظريات في كتب هؤلاء العلماء، فكلّما أرادوا تفسير ظاهرة معينة قالوا: إنّ الله أراد ذلك، فجاء داورن بنظرية أخرى وقال: ينبغي أن نفكر بشكل آخر، فنحن لا ننكر إرادة لله، ولكنّه لا يتدخل مباشرة في أحداث وظواهر الطبيعة، بل إنّ التدخل الإلهي يتحرك من وراء الستار وبشكل تدخل غيبي وغير مباشر، وهذا من قبيل أن نقول بالتطابق بين الأحياء ومحيطها الجغرافي. وعلى هذا الأساس فإنّ النباتات الصحراوية ذات الأشواك تنسجم وتتطابق مع البيئة الحارة ولغرض الحد من عملية التبخير وبالتالي يكون بإمكانها خزن الماء. ولو رأينا حيواناً في الغابة باللون الأخضر فإنّه يهدف من لونه هذا التخلص من شرّ الأعداء من خلال الاستتار بهذا اللون. ويمكن أن نقول: إنّ الله أراد أن يكون هذا الحيوان باللون الأخضر. أو نقول: إنّ الله أراد لهذا النبات أن يكون شوكاً،

ولكن في نفس الوقت يمكن القول: إنّ هذه الأحياء تتحرك من موقع تطبيق نفسها على محيطها. وهذه النظرية تفسّر وتوضح الكثير من الظواهر الطبيعية. وفي هذه الصورة لا يكون بإمكاننا تفسير هذه الشواهد فحسب، بل نصل إلى مواقع متقدمة من الأطروحات العلمية لتوضيح الكثير من الشواهد. على سبيل المثال بإمكاننا الخروج بهذه النتيجة، وهي أنّ الحيوانات التي لم تتمكن من تطبيق نفسها مع محيطها فسوف تتعرض للانقراض. وبهذا لا حاجة بنا للقول بأنّ الله أراد خلق هذه الأحياء لمدّة من الزمن ثم أراد إزالتها من صفحة عالم الوجود وخلق حيوانات أخرى بدلها. وهكذا طرح دارون نظريته هذه، ففي هذه النظرية نرى أنّ الأحداث والظواهر الطبيعية بدلاً من إسنادها بشكل منفرد إلى المشيئة الإلهية فإنّها تنظم بأجمعها تحت مظلة نظرية واحدة، كنظرية التطابق مع المحيط، وهكذا نرى أنّ العلم يوفر لنا معرفة نظرية تستوعب في أجوائها فوائد كثيرة))[1].

وأقول: ليس هنا موضع مناقشة نظرية التطور العضوي لداروين والرد عليها[2]. لكن بما أن الرجل أشار إليها ومدحها في بعض جوانبها، بدعوى أنها تُمثل نموذجا صحيحا للنظرية العلمية، فسأرد عليه في النقاط الآتية:

أولا إن القول بأن نظرية تشالز داروين تتميز بأنها فسرت تباين الوجود الحيواني على الأرض بعوامل مادية من دون اللجوء إلى التدخل الإلهي المباشر في ظهورها. فإن هذا النوع من التفسير صحيح في مجاله ، لكنه لا يستطيع أن يُفسر كل مظاهر الطبيعة خاصة نشأة الكون، لأنه يُجيب عادة عن : كيف يحدث الشيء؟ ، لكنه الغالب عليه أنه لا يُجيب عن: لماذا يحدث؟؟. وهو من جهة أخرى ليس تفسيرا جديدا، ولا خاصا بداروين ،ولا بالعلم الحديث. وإنما هو أمر طبيعي في الإنسان، وقد مارسه أهل العلم قديما في مختلف مجالاتهم. فمثلا كانوا منذ القديم يُفسرون سقوط المطر بالسحاب، وأنه يتكون من بخار الماء المتبخر من البحار. فسروه بذلك لأنهم تمكنوا من تفسيره تفسيرا ماديا مُشاهدا. لكن الكثير منهم كانوا إذا عجزوا عن تفسير ظاهرة ما تفسيرا ماديا ملموسا فسروه بتدخل قوى خارجية

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 112-113.

[2] لقد تناولت ذلك في كتابي: الداروينية في ميزان الإسلام والعلم . و الكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا.

كالآلهة ،والعقول العشرة التي قال بها أرسطو وأصحابه[1]. وهذه الطريقة ما تزال مُتبعة إلى يومنا هذا، وهي صحيحة إذا استخدمت في مكانها الصحيح، على أساس من التوحيد لا القول بتعدد الآلهة، أو بالصدفة، أو بالطبيعة الخالقة.

وطريقة التفسير بالظواهر الطبيعية، هي أيضا طريقة شرعية، وقد استخدمها القرآن الكريم بكثرة، إلى جانب التفسير بالتدخل المباشر، كل طريقة في مكانها المناسب، لأن الله تعالى يفعل في مخلوقاته بالطريقتين: السنة الجارية، والسنة الخارقة، أي الفعل المباشر،والفعل غير المباشر. فبالنسبة للتفسير بالظواهر مع الدلالة على الخالق عز وجل، منه قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (النور : 43)))،و((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) (فاطر : 27)
.

وثانيا إن القول بالتطور العضوي- النشوء والارتقاء- هو فكرة ظنية وهمية لا دليل صحيح قطعي على ثبوته. والقول بذلك التطور المزعوم يعني أن خلق الكون بما فيه من مخلوقات تم بطريقة الخلق المُتصل لا المنفصل. مما يعني أن القول بالتطور العضوي لن يثبت إلا إذا ثبُت أن الكون بما فيه من كائنات خُلق بالخلق المتصل. لكن هذا الخلق لا يوجد أي دليل صحيح يثبته، ولن يثبت إلا إذا تمت رؤيته عيانا. وهذا مُستحيل ، لأن الواقع الذي نشاهده لا يُثبت ذلك،و إنما يثبت خلافه، وتاريخ الكون بمخلوقاته لا نستطيع إعادته لنراه بأم أعييننا لنتأكد من:هل خُلقت المخلوقات بالخلق المتصل أم بالمنفصل؟؟. وإذا قيل:بل يُمكن الاستدلال على الخلق المُتصل بالهياكل العظمية المتشابهة التي تم العثور عليها ،و تعود إلى أزمنة قديمة من تاريخ المخلوقات الحية على الأرض. فأقول: إن تلك الهياكل العظمية مهما كَثُر عددها، ومهما كانت مُتشابهة، فإنها لن تستطيع أن تُثبت حدوث التطور ، لأنها لا تُبين حدوثه وإنما تبين لنا أنه كان يوجد تنوع كبير ومتشابه في هذه المخلوقات المنقرضة، وربما بعضها لم ينقرض

[1] عن ذلك مثلا أنظر كتابنا: جنايات أرسطو في حق العقل والعلم . و الكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا.

.ومثاله لو جئنا بمجموعة من الهياكل العظمية البشرية تمثل مختلف الأعراق البشرية المعاصرة: طولا وقصرا، ضخامة وصغرا، ثم قال أحدنا:إن هذه الهياكل تطورت عن بعضها، فتطور الطويل عن القصير، و الضخم عن الصغير.!!. فهل تفسيره هذا صحيح ؟؟، كلا ، إنه غير صحيح ، و سيضحك عليه الحضور و يسخرون منه. لأن تلك الهياكل تبين أن الجنس البشري واحد، لكنه مًتنوع في أعراقه وأحجامه ، و لا تدل أبدا على أنها تطورت عن بعضها، والواقع يشهد على ذلك.

ولو أتينا بنفس الهياكل ،ووضعنا بجانبها مجموعة من هياكل القرود مُتباينة الأشكال والأحجام والأعراق ، ثم قال أحدنا: إن هذه الهياكل تشهد على أن هياكل البشر -على تنوعها- تطورت عن القرود. فهل قوله هذا صحيح ؟؟، كلا إنه ليس صحيحا، و سيضحك عليه الذين معه ويسخرون منه.لأن هذه الهياكل تشهد على وجود نوعين من الأجناس: جنس البشر على تنوعه، وجنس القرود على تنوعه أيضا ، والواقع يشهد على صحة هذا التفسير. فيتبين من ذلك أن الهياكل العظمية مهما كثرت وتنوعت فإنها لن تثبت التطور العضوي للكائنات ،وأنها مهما كانت كذلك فهي تشهد على تنوعها ووحدة خالقها.

لكن في مقابل ذلك فإن الخلق المنفصل للكائنات هو الصحيح والثابت ويشهد على صحته الشرع ،والعقل ،والعلم. فأما الشرع فمن الثابت أن الله تعالى خلق الكون أولا، ثم خلق فيه مخلوقات بعد أن لم تكن، منها الجن و الإنس. قال تعالى: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً)(الفرقان : 59)، و(خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ،وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ)(الرحمن: 14-15) . فيتبن من ذلك أن الله تعالى خلق كل جنس منفصلا عن الآخر، ثم حدث التناسل و التنوع داخل كل جنس.

وأما عقلا فإن تصور فكرة التطور من الناحية المنطقية يكفي وحده لرفضها ،ولا يوجد أي مبرر عقلي صحيح لقبولها. فإذا قلنا مثلا: إن الكائنات البرية تطورت عن البحرية، والكائنات الطائرة تطورت عن البرية. فإن هذا يستلزم أنه لا يبقى على الأرض إلا الطيور، لأن البحرية هي التي أصبحت برية، و البرية أصبحت طائرة. وهذا كله باطل بشهادة التاريخ والواقع. وإذا قلنا: إن البشر تطوروا عن القرود، فهذا يعني أن

القرود انقرضوا، لأنهم تطوروا إلى بشر. وهذا غير صحيح بشاهدة التاريخ والواقع. فكل ذلك يُثبت أن القول بالتطور العضوي للكائنات زعم باطل. وإذا قيل: إن التطور الذي قال به داروين وأصحابه حدث بناء على الانتخاب الطبيعي القائم على البقاء للأصلح. فنقول: هذا مجرد تفسير ظني للتهرب مما ذكرناه.لأن هذا التطور المزعوم إما أن يكون قانونا ينطبق على الجميع أم لا. فهم يزعمون أن قرد الغوريلا هو الذي تطور منه الإنسان وليس من كل القرود. لكن لماذا ليس من كل القرود؟، ولماذا نوع من القرود يتطور إلى إنسان وآخر لا يتطور؟؟. ولماذا لم تتطور كل الغوريلا إلى إنسان؟، لأنه لو كانت تطورت حقا ما بقي منها اليوم قرد واحد من الغوريلا!!.

وإذا قيل : إن بعض الكائنات كانت قابلة للتكيف والتطور ،وأخرى لم تكن كذلك. فنقول: هذا مجرد زعم ، ووهم ،ورغبة منكم للدفاع عن موقفكم وللتهرب من أسئلة مخالفيكم. فلماذا كائنات كانت قادرة على التكيف والتطور وأخرى لم تكن قادرة على ذلك؟؟!!، ألم تكن تلك الكائنات منذ بدايتها تعيش في وسط واحد، فلماذا منها من كان قادرا على التطور ،و منها من لم يكن قادرا عليه ؟؟!. ولماذا لا ينطبق قانونكم المزعوم على الجميع ؟!. فواضح مما قلناه أن القول بالتطور العضوي ليس له منطلق عقلي صحيح، وإنما هو قول قائم على الظنون والأوهام والرغبات والتحكمات بناءً على رغبات مذهبية ومصلحية في نفوس أصحابها.

وأما من الناحية العلمية فمن الثابت علميا أن الكون له بداية ظهر فيها، وهذا يعني أن له خلقا منفصلا. ومن الثابت عند العلماء أن الكون سائر نحو التدهور والفناء،و سيأتي يوم ينتهي فيه الكون بأسره[1]. فالكون بمخلوقاته له بداية ونهاية، فهو مخلوق بالخلق المنفصل لا المتصل. وهذا يعني أن الخلق المنفصل للكائنات هو القانون الذي يحكمها، بحكم أنه هو المتحكم في العالم كله بداية ونهاية.

ومن ذلك أيضا أنه من الثابت أن الأرض تعرضت لكوارث كثيرة من من الفضاء الخارجي ومن داخلها كالجليد،والزلازل والفيضانات ،والبراكين فأدت إلى انقراض معظم الكائنات الحية فجأة من دون أن تترك خلفا لها، ثم ظهرت بعدها كائنات جديدة فجأة أيضا ، وقد تكررت هذه العملية مرات

---

[1] عبد الحميد سماحة: في أعماق الفضاء، دار الشروق، القاهرة، 1980، ص: 71 وما بعدها، 84 وما بعدها.

عديدة، وقد دلت الحفريات على وجود كثير من بقايا الكائنات الحية في باطن الأرض. ومن نتائج ذلك تكون النفط في باطن الأرض، فهو قد تكون أساسا من بقايا الكائنات المدفونة في باطن الأرض[1]. فالكائنات المنقرضة لم تنقرض لعدم القدرة على التكيف، وإنما انقرضت بسبب الكوارث الطبيعية، والكائنات الجديدة التي ظهرت لم تظهر بسبب الانتخاب الطبيعي ولا التطور العضوي، وإنما ظهرت فجأة من دون سلف. وهذا يعني أنها خُلقت خلقا منفصلا.

وثالثا إن قول المؤلف بأن تطابق(تكيف) الحيوانات مع محيطها شاهد على وجود التطور والانتخاب الطبيعي، فهو قول لا يصح، وبناه على نظرة جزئية محدودة، وبالغ في توجيهها لتأييد فكرته. لأن النظرة الصحيحة والواسعة للموضع تبين معطيات هامة تُثبت خلاف ما تدعيه نظرية التطور ، منها: إن الواقع الحيواني والبشري يُثبت أن الكائنات عندما تتغير ظروفها المناخية قد تحدث فيها تغيرات على بعض صفاتها الظاهرة ، كاللون ،و زيادة الحجم أو نقصانه . مثال ذلك إن إنسانا فقيرا نحيفا يعيش في بلد صحراوي ، لكنه رحل إلى السويد مثلا ، فلما استقر هناك تحسنت حالته المعيشية والصحية ، فأزداد وزنه وحجمه، و ذهبت عن لونه المسحة الصحراوية، حتى أصبح لا يكاد يُعرف. فهل هذا الرجل حدث له تطور عضوي؟؟!!، هل أن تغيره هذا سيستمر؟؟!، هل سيتحول إلى كائن آخر؟؟!. كلا ، وألف كلا، فماذا حدث له ؟، إن هذا الرجل لم يكن جسمه كامل النمو ،و كان يُعاني من نقص الغذاء، وأثرت في لونه حرارة الشمس، فلما ارتحل إلى بلاد السويد تحسنت ظروفه المادية والصحية، فواصل جسمه نموه الطبيعي ثم توقف. وأما لون وجهه، فالبرودة أذهبت عنه آثار الحرارة الشديدة على وجهه، لكنها لم تُخرجه عن لونه الأصلي. ونحن نلاحظ اليوم أن في البلاد الباردة يعيش فيها البيض،والسود، والحمر، والصفر منذ مدة طويلة ،ولم يُغير المناخ ألوانهم.

ومن ذلك أيضا أننا نلاحظ الرياضيين الذين يهتمون برياضة حمل الأثقال وكمال الأجسام، لهم أجسام ضخمة وقوية، وعضلات بارزة ومفتولة جعلتهم مخالفين لما عليه الإنسان العادي في تلك الصفات. لكن هل

[1] أنظر كتابنا: الداروينية في ميزان الإسلام والعلم، ص: 28و ما بعدها.

أجسامهم ستواصل نموها ؟؟!!، وهل سيتحولون إلى كائنات أخرى؟؟!! طبعا لا ، وألف لا.

وخلاصة ذلك أن التغيرات المناخية والاجتماعية لها تأثير واضح على ملامح الكائن الحي كالإنسان، لكنها سطحية، ومحدودة ومحكومة بقدرات وخصائص الكائن ،و لن تتجاوزها لتجعله كائنا جديدا.

والمُعطى الثاني يتمثل في أن الناظر في حياة الكائنات الحية على الأرض أنها على كثرتها وتنوعها، وتشابهها واختلافها، في البر والبحر والهواء، فأن كل كائن منها يعيش دورته الحياتية الخاصة به. وهذا يعني أن كل كائن كامل في خِلقته، يُؤدي دورة حياته كاملة حسب طبيعته وخصائصه، ينطبق هذا على كل الحيوانات، من وحيد الخلية، إلى الفيل.فماذا يعني هذا ؟، إنه يعني أن كل كائن كامل في خِلقته وطبيعته ولا يحتاج إلى أي تطور عضوي ليصبح كائنا جديدا. وهذا يشهد به الواقع ، والتاريخ الطبيعي للحيوانات الأرضية، فكل الكائنات التي نعرفها الآن ظهرت قبل الإنسان بملايين السنيين وما تزال تعيش معه إلى يومنا هذا،وبعضها يعود إلى 500 مليون سنة[1]. فأين خرافة التطور المزعومة؟؟!!.

والمُعطي الأخير-الثالث- مفاده أنه ليس صحيحا أن الوسط الطبيعي هو الذي يُؤدي إلى تغير كائناته الحية: نوعا وكيفا، وخصائص. نعم له تأثير محدود عليها، لكنه ليس هو الذي يُوجدها ولا هو الذي يُغير خِلقتها،ولا خصائصها الطبيعية، وإنما خلقها الله تعالى على تلك الخِلقة و الطبيعة. بدليل أننا نجد في الوسط الطبيعي الواحد كما في المناطق الاستوائية مثلا آلافا من الكائنات الحية مُختلفة الألوان ،والأحجام،و الخصائص ، مع أنها تعيش في وسط طبيعي واحد. فلماذا لم تكن على لون واحد ؟ ولماذا لم يكن لها شكل واحد ؟؟، ولماذا منها من له جسم رخوي، وآخر صلب؟ ولماذا منها المائي، ومنها البري، ومنها البرمائي ،ومنها الطائر؟؟. فلماذا هذا التعدد والتنوع كله ؟؟!! فلو كان الوسط الطبيعي هو السبب لما حدث هذا التباين كله،ولجعل كل الحيوانات على شكل واحد ،لأن الظروف المعيشية والحياتية واحدة. وبما أن هذا لم يحدث فهذا دليل دامغ على أن كل مخلوق

[1] أنظر: الموسوعة العالمية العربية، مادة : المحيط ، النسخة الإلكترونية.

خلقه الله تعالى على هيئة معينة ،و ليس الوسط الطبيعي هو الذي جعله كذلك.

وأما استشهاد المؤلف بالنباتات الصحروواية الشوكية كدليل على تأثير الوسط الطبيعي عليها ، فالأمر ليس كما ذكره. لأن النباتات الشوكية موجودة في مختلف الأقاليم المناخية، ونجدها إلى جانب الرخوة في المناطق الرطبة والمعتدلة كما في مناخ البحر الأبيض المتوسط. والمناخ الصحراوي فيه نباتات أخرى ليست شوكية ولا صلبة، نجدها في الواحات بكثرة ،ولا تختلف عن مثيلاتها في المناطق المعتدلة. وكذلك ألوانها ، فمع أن مناخ الصحراء واحد، إلا أن حيواناته كثيرة الألوان و ليست ذات لون واحد. كالجمال والغزلان مثلا، بل الجمال نفسها ليس لها لون واحد. فأين حكاية تدخل المناخ في تكوين الكائنات الحية؟؟!!.

وأما لماذا تموت كائنات و تبقى أخرى عندما يحدث تغير كبير ومُفاجئ في الوسط الطبيعي. فليس سببه حكاية التطور والانتخاب الطبيعي، وإنما سببه هو طبيعة كل حيوان و خصائصه التي خلقه الله تعالى عليها. فمنها مخلوقات زودها خالقها بقدرات تستطيع بها أن تقاوم وتتحمل حوادث الزمن وكوارثه، مثل كثير من الحشرات والنمل والديدان التي خلقها الله تعالى منذ بدايات الخلق الأول ،وما تزال تعيش إلى يومنا هذا. ومنها كائنات لم يجعل الله فيها قدرات تجعلها تتحمل ذلك فماتت، كما حدث للديناصورات وغيرها. ولهذا لو رمينا بمجموعة من الحيوانات البحرية على الأرض ستموت ولن يستطيع العيش إلا من خلقه الله تعالى قادرا على العيش في البحر والبر كالضفادع مثلا. ولو رمينا حيوانات برية إلى السماء ستسقط ولن تطير إلا من كان قد خلقه الله تعالى قادرا على الطيران كالعصافير، ولن يستطيع الوسط الطبيعي فعل أي شيء ليجعلها تطير كلها!!.

والموقف الأخير- السادس- يتضمن النموذج الثاني المتعلق بالداروينية والتاريخية، مفاده أن المؤلف بعدما ذكر نظرية داروين في حصول الانتخاب الطبيعي بتأثيرات المحيط ثم مدحها ، ذكر أنه يُطبق نفس الطريقة على الوحي وتأثير بيئته التاريخية في تكوّنه. فقال : ((ويمكننا تفسير هذه

الظواهر بشكل آخر وذلك من خلال إبداع نظرية بإمكانها تفسير هذه الظواهر من موقع التناسب الموجود في تفاصيلها، وهذا هو ما أُريد طرحه في نظرية بسط التجربة النبوية «بالاستيحاء من نظرية دارون» فما المانع من القول إنّ ظاهرة الوحي تنسجم مع مقولة التطابق مع المحيط، بمعنى أن نقوم بتفسير المسألة بهذه الصورة: إنّ الوحي يعتبر ظاهرة تنطبق مع المحيط وتقتبس لونها وصبغتها من البيئة بشكل كامل))[1].

وأقول: سأُبين لاحقا بطلان قول الرجل بأن القرآن- الوحي- هو نتاج التجربتين النبوية والظروف التاريخية ، لذا فلا أُناقشه هنا، لكن أرد عليه من زاوية أخرى حسب ما يتطلبه زعمه هذا. أولا لا مجال للمقارنة بين موضوع الوحي وبين تأثير البيئة الطبيعية والبشرية في المخلوقات الحية.لأن الوحي الإلهي يتم بين الخالق والمخلوق المُصطفى- النبي- ،و ليس بين المخلوقات كما في تأثير الوسط في غيره من المخلوقات. ولأن الوحي الإلهي يتم عن قصد واختيار من الخالق، ولا يكون فيه تأثير وتأثر كما يحدث بين المخلوقات، وإنما يحدث تكليم من الله للنبي الذي يجب عليه أن يتلقى الوحي ويلتزم بأوامره ونواهيه. قال سبحانه : (اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)(الأنعام : 124)، و(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ،إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ،فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ،ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)(القيامة : 16-19). فالمقارنة باطلة مُسبقا ،ولا يصح تطبيقها على الوحي الإلهي.

وثانيا لا يصح الاستعانة بنظرية التطور في موضوع الوحي الإلهي، لأن هذه النظرية هي نظرية وهمية ، ومن خرافات الفكر الغربي الحديث، لا أساس علمي صحيح لها، وقد سبق بيان بطلان جانب منها[2]. فهي لا تصلح حتى لتفسير موضوعها التي قيلت فيه، فكيف تصلح بآلياتها لتكون نظرية يُستعان بها في تفسير ظاهرة الوحي الإلهي ؟؟!!. وعليه فقوله: ((فما المانع من القول إنّ ظاهرة الوحي تنسجم مع مقولة التطابق مع المحيط)). غير صحيح ، لأن المانع من عدم انسجامها وصلاحيتها ليُستعان بها في تفسير الوحي الإلهي بانسجامه وتطابقه مع الوحي –كما زعم الرجل- هو مانع أساسي لأن المقارنة باطلة من أساسها كما بيناه أعلاه. فالوحي الإلهي

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 112-113.

[2] قولي هذا لا أقوله تهكما فقط، وإنما أقوله عن وعي وفهم للنظرية، وقد لأفردت لها كتابا ،و ناقشتها في أسسها وفروعها ،وبينت بطلانها ، وأن القائلين بها ليس عندهم إلا الظنون والأوهام ،و الشبهات والمغالطات. فلله الحمد على توفيقه .

جاء من خارج الإنسان ومحيطه فهو كلام الله إليه، هدفه تعريف البشر بخالقهم وتعبيدهم له بشرعه. وتعامل الوحي الإلهي وتفاعله مع الحوادث البشرية لا يجعله مُنتجا بشريا في أي حال من الأحوال. لأنه كلام الله تعالى مُنفصل تماما عن كلام البشر،وهو الذي أوجد الدعوة وختمها، وهو الذي وجهها وتحكم فيها. وعليه فلا يُمكن أن يكون الوحي الإلهي مُنتجا بشريا أنتجته ظروفه البشرية التي ظهر فيها.

وبذلك يتبين جليا أن قول المؤلف بأن الإسلام لا يختلف عن الحوادث التاريخية ، فهو مثلها خاضع لحتمية التاريخية . هو قول غير صحيح، أقامه على خلفيات مذهبية لتحقيق غايات في نفسه من جهة. وقد أثبتنا بأدلة قطعية ودامغة أن دين الله تعالى لا يُمكن أن يكون بشريا ولا محكوما بحكاية التاريخية من جهة أخرى.

<u>ثانيا: حقيقة العلاقة بين نزول الوحي وأسباب النزول:</u>

زعم المؤلف أن أسباب نزول القرآن هي التي أنتجته من جهة، وهي تشهد على بشرية دين الإسلام وتاريخيته من جهة ثانية. فمن ذلك أنه وصف الوحي القرآني بأنه: ((منتج وحياني من النبي))[1]. وقوله هذا غير واضح وفيه تغليط وتلبيس، لأنه يحتمل أكثر من معنى، منه معنى غير صحيح . فلماذا لم يُعبر عن فكرته بصراحة ووضوح؟؟!!. ولماذا هذا التلاعب بالألفاظ والاختفاء بها و من ورائها ؟. فالمعنى الصحيح هو أن نقول: إن القرآن وحي إلهي وصلنا بواسطة النبي-عليه الصلاة والسلام-. فالقرآن الكريم لم ينتجه النبي ولا أنتجه غيره من البشر. ولا يصح أن يُوصف القرآن بأنه مُنتج ، لأنه كلام الله أولا، ولأن الله تعالى لم يصفه بذلك ثانيا، ولأن وصفه أنه مُنتج يدل على أنه كلام بشري ثالثا.

ثم أن المؤلف وضح مقصوده بالإنتاج ودور الحوادث في إنتاجه فقال: ((إنّ معطيات الوحي على النبي تتناغم وتقترب تماماً مع ما كان يدور في حياة النبي الخاصة أو العامة بل كانت مقترنة مع بعضها، ولم تكن قضايا الوحي مثلاً من قبيل الأمور الجاهزة مسبقاً بدون الأخذ بنظر الاعتبار الحوادث الواقعة في إطار الزمان والمكان وبعيداً عما يدور في الوسط

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 95-96 .

الاجتماعي للناس، أي أنّ المطالب الوحيانية لم تكن منتجة سابقاً ثم تمّ إلقاؤها في ذهن وقلب نبي الإسلام وانتهى الأمر بتبليغها للناس. فهذه التعاليم والمفاهيم كانت متناسبة جدّاً مع الحوادث الواقعة على امتداد حياة النبي «وأؤكد على كلمة: متناسبة جدّاً» أي أنّ النبي كان يرتبط مع قومه برابطة ديالوكية، فهو يقول شيئاً ويسمع منهم شيئاً أيضاً، ثم يجيب عن ذلك بكلام يتناسب مع ما سمعه. فلم يقل النبي لهم: «إنني لا أتحدث معكم من موقع الارتباط بكم وبأسئلتكم وبتوقعاتكم، بل إنّ ما يدور في ذهني ويرد على لساني لا يتعلق بي شخصياً، فأنا أتحدّث معكم من جانب واحد فقط»))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، و هو من أوهام الرجل وخرافاته، وفيه تغليط و تلبيس ،وتحريف كبير وواضح ومُتعمد. والرجل يتعمد الافتراء على الله ورسوله والتاريخ. لأنه أولا ليس صحيحا أن الوحي لم يكن موجودا مُسبقا ،وحوادث الدعوة هي التي أوجدته وأنتجته. إنه قول لا يصح ، لأن الرجل لم يذكر دليلا صحيحا على زعمه، ولأن الأدلة على بطلانه كثيرة جدا، أذكر منها الشواهد الآتية:

الأول مفاده إن مما يُثبت أن القرآن الكريم كان وحيا جاهزا مُسبقا، هو بداية نزول الوحي (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)(العلق : 1) . فهو شاهد قطعي على أن القرآن كان وحيا إلهيا جاهزا سلفا، لأنه لا توجد أية حادثة أنزلته، ولا أنتجته ،ولا كانت سببا في نزوله، ولا توجد أية ضرورة عقلية ولا عملية تستلزم ظهوره ،ولا إنتاجه كما يزعم الرجل. ثم بعد ذلك فإن الله تعالى هو الذي أوجد الدعوة بوحيه ، وتحكم فيها، ووجهها وخطط لها ، ثم عندما اكتمل الوحي ، أنهي سبحانه الدعوة بعدما أكتمل الوحي(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ)(المائدة : 3). فليست الحوادث التاريخية هي التي أنتجت القرآن ولا هي التي بدأته ،ولا هي التي أنهته. فلماذا لم تستمر الحوادث في إنتاجه كما زعم الرجل؟؟ ولماذا بدأ بالطريقة المعروفة؟؟، ولماذا لم يتأخر أو يتقدم عن الوقت الذي ظهر فيه؟؟ . فلا يوجد أي مانع عقلي ولا تاريخي يمنع ذلك ، مما يعني أن الحوادث التاريخية ليست هي التي أنتجت الوحي ،و إنما الله تعالى هو الذي انزل وحيه أولا، وكان جاهزا قبل إنزاله ثانيا ، ثم هو الذي أوجد الدعوة

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 110.

بكاملها و تحكم فيها، ووجها ثالثا، ثم عندما اكتمل الدين أوقف سبحانه وحيه فتوقت الدعوة بكاملها. فأين خرافة إنتاج الحوادث التاريخية للوحي الإلهي- القرآن الكريم- ؟؟!!.

والشاهد الثاني مضمونه أن الشرع نص صراحة على أن الإسلام هو دين الله تعالى ،وأن جميع أنبيائه قبل النبي الخاتم جاؤوا بنفس الدين هو دين الإسلام . قال تعالى: (((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19) ،و(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13)،و(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(البقرة : 133) . مما يعني قطعا أن مضامين الإسلام الأساسية كدين ووحي كانت موجودة مُسبقا ،ولم تكن وليدة الحوادث التاريخية للدعوة ، ولا هي التي أنتجتها على حد زعم عبد الكريم سروش.

والثالث يتمثل في أن القرآن الكريم صرّح بما لا يدع مجالا للشك بأنه وحي من عند الله تعالى أنزله على نبيه الخاتم محمد- عليه الصلاة والسلام- و لم يأت به محمد من عند نفسه،و لم تنتجه ولا أوجدته حوادث الدعوة كما زعم المؤلف. من ذلك قوله سبحانه: ((تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (السجدة : 2)، و((تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (الزمر : 1)،و((تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (الحاقة : 43) ،و((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (يوسف : 3))) . هذه الآيات وغيرها هي أدلة قطعية ودامغة على أن القرآن مُنزل من عند الله ، وعلى بطلان زعم الرجل جملة وتفصيلا، وأنه كان يتعمد التغليط والتحريف. مما يعني أن من يقول بذلك الباطل فهو إما أنه جاهل بدين الإسلام وتاريخه. وإما أنه لا يعي ما يقول. وإما أنه صاحب هوى يتعمد الافتراء على الله ورسوله لغاية في نفسه.

والشاهد الرابع مضمونه أن المستقرئ لآيات القرآن الكريم سيجد نحو أكثر آياته ليس لها أسباب نزول، و إنما منها قسم نزل دون مناسبة[1]. ومنها قسم ليست له أسباب نزول خاصة به ، لكنه نزل مع آيات كانت لها أسباب نزول. مما يعني قطعا أن القرآن الكريم كوحي كان موجودا مُسبقا قبل نزوله، وليست حوادث الدعوة هي التي أنتجته،ولا أوجدته. وإنما الله تعالى هو الذي أنزله في الوقت الذي أراده هو بنفسه سبحانه وتعالى. وحتى الآيات التي كانت لها أسباب نزول فليست هي التي أوجدت القرآن ولا أنتجته ، وإنما هي أيضا كانت موجودة مُسبقا ضمن القرآن كله ، لأن الله تعالى هو الذي أنزله كله من عنده ، لقوله سبحانه: ((((تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) (السجدة : 2)، لكنه سبحانه علّق نزولها بحوادث الدعوة لِحِكم بالغة سيأتي بعضها لاحقا. فحوادث النزول ليست هي التي أوجدت تلك الآيات ولا القرآن كله ،ولا هي التي أنتجته،وإنما هي كانت سببا في نزول قسم منه وفق التقدير الإلهي المُسبق.

والشاهد الخامس مفاده أن الرجل قال بذلك الزعم لغاية في نفسه خطط لها مُسبقاً ،ولم ينظر إلى الموضوع من أساسه ومكوناته، ومساره ونهايته. فجاء إلى أسباب النزول، فأخرجها عن أصلها وغايتها، وقطعها عن مصدرها وزعم أنها هي التي أنتجت القرآن. وهذا عمل تحريفي و تغليطي، وزعم باطل جملة وتفصيلا. لأن الحقيقة هي أن الله تعالى هو الذي أنزل الوحي، وأوجد محمد النبي ،وأوجد الدعوة الإسلامية بحوادثها من بدايتها إلى نهايتها وسخرها لخدمة الرسالة الخاتمة، و لتكون أسبابا لنزول كثير من القرآن الكريم، و لينزل الباقي خلالها. وبما أن الأمر كذلك فهذا يعني قطعا أن أصل كل ما حدث كان بأمر وفعل من الله تعالى ، لكن بعضه كان فعلا مباشرا منه سبحانه، وبعضه كان غير مباشر مارسه النبي- عليه الصلاة والسلام- بأمر من ربه ،و بعضه كان بفعل من الصحابة والمشركين، لكنه كان محكوما بمسار الدعوة الذي حدده الله تعالى، فكان سبحانه يتدخل لتوجيهها وفق ما قدّره لها لتتحقق النبوة الخاتمة وأهدافها.

فالله تعالى كان طرفا أساسيا وفاعلا في الدعوة الإسلامية ، بوحيه و تأييده لنبيه وأصحابه ،و خذلانه لأعدائه من المشركين وأهل الكتاب. وهذا

[1] أنظر مثلا: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 40 .

الأمر العظيم والأساسي هو الذي تعمد عبد الكريم سروش إبعاده وإغفاله عندما قال بأن الحوار كان قائما بين النبي وقومه، فهم يسألون وهو يُجيب. بمعنى أن هذا الحوار وغيره هو الذي أنتج الوحي. لكن الحقيقة ليست كذلك، لأن الأصل فيما حدث هو أن الطرف الأساسي و الفاعل الأول فيما حدث هو الوحي الإلهي. فكان الوحي يأمر و ينهي، والنبي وأصحابه يُطبقون من جهة ،و يرد على الكفار ويُبطل مزاعمهم،و يتوعدهم بالعذاب الأليم من جهة أخرى. فكان النبي- عليه الصلاة والسلام- يُبلّغ هؤلاء الوحي الذي أنزله الله تعالى، قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67). فالذي أوجد الوحي وأنزله على نبيه هو الله تعالى و ليست حوادث الدعوة.

والشواهد الشرعية على صحة ما قلناه كثيرة جدا، منها قوله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)(المدثر:1-7)،و(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)(الأنفال: 30)، و(عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى)(عبس: 1-4)،و(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(الأنفال : 67) ،و(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـكِنَّ اللّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاء حَسَناً إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(الأنفال : 17) ،و(وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)(الأنفال : 7) .فهذه الشواهد القرآنية –وغيرها كثير- هي أدلة قطعية على أن الله تعالى كان هو الطرف الفاعل والأساسي والأول في حوادث الدعوة، والموجه لها ،و الآمر فيها ،و هو الذي أنزل القرآن على نبيه محمد-عليه الصلاة والسلام- ، ولم يكن نتاجا للتجربة النبوية،ولا أنتجته حوادث الدعوة كما زعم عبد الكريم سروش.

والشاهد السادس مفاده إن إخبار القرآن الكريم بحوادث بأنها ستحدث مُستقبلا تأكيدا لا تعليقا، وأنها ستكون كذا وكذا ، يعني قطعا أنه كلام الله حقيقة، وأنه سبحانه هو الُمهيمن على حوادث الدعوة الإسلامية والمُسير

لهـا. لأنــه لـو كــان القـرآن كمــا زعـم الرجـل بأنــه نتــاج التجربــة النبويــة والتاريخية، لما استطاع أن يُخبرنا بذلك،لأن الغيب لا يعلمه محمد ولا قومه ولا غيرهم ، وإنما الله تعالى هو الوحيد الذي يعلم الغيب. والآيات الآتية تُبين ما ذكرناه وتؤكده ، قال تعالى : ((سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(البقرة : 142)، و((سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ) (الأنعام : 148)، و((سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً)(الفتح : 11)،و(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً)(الفتح : 15)،و(سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ (التوبة : 95) ،و((غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ)(الروم :2، 3).

والشاهد السابع مضمونه إنه توجد حوادث كثيرة كان فيها النبي- عليه الصلاة والسلام- يُسأل فيتوقف عن الإجابة حتى ينزل عليه الوحي، ويأمره بأن يُجيب بما أنزل الله عليه ، كما في قوله تعالى:(وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً) (الكهف : 83)، و(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(البقرة : 189) . فلو كان القرآن نتاج التجربتين النبوية والتاريخية كما زعم الرجل ما حدث ذلك، ولأجاب النبي مباشرة ولا أنتظر الوحي. وبما أنه انتظره ، فهذا يعني أن القرآن الكريم لم يكن نتاج تلك التجربتين. وأما الحوادث التي كان فيها النبي- عليه الصلاة والسلام- يُجيب فيها مُباشرة من دون أن ينتظر الوحي، فهي تشهد على صدق ما قلناه ، من أنه عليه الصلاة والسلام كان نبيا مأمورا لا يتحرك ولا ينطق عن الهوى . ففي المواقف التي يأذن له فيها الله تعالى بالتصرف من دون انتظار الوحي، فإنه يفعل

ذلك، ويكون تصرفه هذا من سننته، و في المواقف التي لا يأذن له فيها بالتصرف ينتظر فيها نزول الوحي،و يكون هذا قرآنا. قال سبحانه لنبيه : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران : 128)، و(إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(القصص : 56)، و(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(القيامة : 18).

والشاهد الثامن يتمثل في أنه توجد حوادث كثيرة من السيرة النبوية كان فيها الوحي الإلهي يتدخل مباشرة لتصحيح بعض التصرفات ،ومعتابة نبيه في بعض المواقف ،كما في قوله تعالى: (عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى)(عبس: 1-4)،و(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(الأنفال : 67)، و(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(المجادلة : 1)، و(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(التحريم:1). فذلك يعني أن النبي لم يكن يتحرك من ذاته ولا استجابة لظروفه التاريخية ، وإنما كان يتحرك بتوجيه من الوحي وبأوامره. وهذا يعني أن القرآن كلام الله حقيقة، ولم يكن نتاج التجربتين النبوية والتاريخية، لأنه لو كان الأمر كذلك لما حدث تدخل ولا عتاب من الله تعالى.

والشاهد التاسع مضمونه أن تبشير الرسالات السابقة بالنبي الخاتم- محمد عليه الصلاة والسلام-، كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ)(الأعراف : 157)،و(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)(الصف: 6)، و(وَلَمَّا جَاءهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّه عَلَى الْكَافِرِينَ)(البقرة : 89) هو دليل قطعي دامغ على

أن الإسلام ونبيه الخاتم والقرآن الذي جاء به كل هذا كان أمرا مُقدرا ومقضيا مُسبقا ، وأن ظهوره لم يكن نتاجا ولا تناسبا ولا تطابقا مع التجربة النبوية ولا مع ظروف الجزيرة العربية، وإنما كان أمرا إلهيا مفروضا من السماء، هو الآمر والناهي، والمُهيمن والمُسيطر فيما حدث من أمر الدعوة الإسلامية من بدايتها إلى نهايتها.

وأخيرا- الشاهد العاشر- إذا كان المؤلف يقصد بكلامه السابق من أن القرآن أنتجته التجربة النبوية والحوادث التاريخية. بمعنى أن القرآن ليس كلام الله حقيقة، فهو قد كفر بدين الإسلام، وكَذّب القرآن والنبي وكَذَب عليهما، وما عليه إلا أن يُصرّح بذلك ،ولا يُغالط ولا يُدلس، ولا يتلاعب بالألفاظ، ويكون شجاعا فيُعلن عن موقفه بصراحة بأنه لا يعتقد بأن القرآن كلام الله.

وإذا كان يعتقد أن القرآن كلام الله حقيقة، فهذا يعني بالضرورة أنه ليس نتاجا للتجربة النبوية والحوادث التاريخية ، ولا يحق له-أي المؤلف- أن يصفه بذلك. لأنه لا يُوجد احتمال ثالث، فإما القرآن كلام الله حقيقة ،وإما أنه ليس كلامه. وهذا يفرض على الرجل أن يكون صريحا في موقفه من حقيقة القرآن الكريم، ولا يصح ولا يحق له أن يتلاعب و يُخفي حقيقة موقفه بين النفي والإثبات، لأن هذا السلوك يُسيء إليه، ولا يليق بأهل العلم الموضوعيين المُحترمين لأنفسهم ولغيرهم.

والموقف الثاني مفاده أن المؤلف زعم أن أسباب نزول القرآن الكريم تعني ((بشرية وتاريخية الدين لا غير))[1]. بمعنى أنه دين بشري لأنه محكوم بظروفه التاريخية: المكانية والزمنية التي ظهر فيها. فالإسلام دين محكوم بتاريخيته حسب زعم الرجل.

وأقول: قوله هذا زعم باطل جملة و تفصيلا، و فيه تغليط و تلبيس، و افتراء على الله ودينه ورسوله. لأنه أولا إنه لا يصح وصف دين الإسلام بأنه دين بشري ، فهذا تحريف وتلاعب ،وإنكار بكون القرآن كلام الله، و الإسلام دين الله تعالى ،و هو القائل : ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 21.

الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19) ،و(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13). فالإسلام دين إلهي رباني: مصدرا و مضمونا ، أنزله الله تعالى للبشرية جمعاء . فهو نور إلهي موجه للبشر للإيمان و الالتزام به ، ليسوا هم الذين أقروه و شرعوه ،و لا هم الذين جاؤوا بالقرآن الكريم. فالبشر هم الطرف المُتلقي و المُكَلف ، ودورهم هذا لا يجعل دين الإسلام بشريا في مصدره و مضمونه ، وإنما تطبيقه في الواقع هو الذي يحدث بأفعال البشر ،و هذه الأفعال لا تغير أبدا من طبيعة الإسلام الإلهية الربانية.

وثانيا إن المؤلف اتخذ من أسباب النزول دليلا على قوله ببشرية دين الإسلام وتاريخيته ،و نسي أو تناسى أن قسماً كبيراً من القرآن الكريم ليست له أسباب نزول مُحددة ، ولم يكن مُرتبطا بحوادث عملية معينة. فمن الثابت في علم التفسير أن آيات من القرآن الكريم كانت عندما تنزل بسبب حادثة ما ، تنزل معها أيضا آيات أخرى لا علاقة لها بسبب نزول الآيات الأولى، و هناك آيات نزلت من دون مناسبة مُحددة[1]. فهذا القسم الكبير من القرآن الكريم ليست له أسباب نزول ، و من ثم فهو ليست له ظروف تاريخية نزل فيها، و لا له تاريخية تتحكم فيه .

علما بأن نزول كثير من الأحكام استجابة لظروف الدعوة الإسلامية ، لا يعني أن هذه الأحكام مرتبطة بأسباب نزولها ، وأنها ستفقد قيمتها لأنها محكومة بتاريخيتها الزمانية والمكانية، ومن ثم فهي لا تصلح لغير زمانها. فهذا فهم باطل ، لأن تلك الأحكام إن كانت لها أسباب نزول خاصة، فهي عندما نزلت جعلها الله تعالى أحكاما عامة تشمل جميع المسلمين في كل زمان مكان . فهي أحكام مُجردة من ملابساتها التاريخية الثانوية التي نزلت بسببها ، كاسم الشخص، و المكان من جهة، وأن دين الإسلام هو الذي أوجد أسباب النزول و الدعوة الإسلامية بكاملها من جهة أخرى.

---

[1] أنظر مثلا: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 40 .

وثالثا لقد غاب عن المؤلف أن القرآن كله لا تاريخية في مضمونه. لأن مضمونه لم يفقد صلاحيته ، ولن يفقدها مُستقبلا. لأن القسم التاريخي منه المتعلق بتاريخ الكون و البشرية لن يفقد أهميته العلمية والتربوية و الإيمانية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. والقسم التشريعي منه- بأصوله العامة و جزئياته- لن يفقد صلاحية تطبيقه عندما يُوجد المجتمع الإسلامي. والقسم المتعلق بالتاريخ المستقبلي للكون ومصير الإنسان فمن المؤكد أنه لم يفقد صلاحيته، لأن هذا الزمن ما زال لم نصل إليه ، فهو ينتظرنا ونحن ننتظره. والقسم المُتعلق منه بآيات الآفاق والأنفس، فآياته المعجزة تتكشف لنا تدريجيا، ولا تنتهي ولن تفقد قيمتها العلمية و الإيمانية إلى يوم القيامة.

والموقف الأخير- الثالث- مفاده أن المؤلف ذكر الجانب السياسي من الإسلام كمثال على تاريخية دين الإسلام، فقال: ((عندما نقول:إنّ الإسلام دين سياسي فمعناه الدقيق أنّ الإسلام واجه حالات سياسية، فلو لم يواجه أموراً سياسية لكان مثل المسيحية بعيداً عن السياسة. فقد تدخل أصحاب المنافع والمصالح إلى الميدان واضطر النبي لمواجهتهم ولم ينسحب من ساحة هذه المواجهة، ومن هنا امتزج الإسلام بالسياسة وكان لها دور في تكوّنه التدريجي من خلال المواقع التاريخية والتعاليم السياسية التي بقيت مؤثرة في الذهنية المسلمة فيما بعد))[1].

وأقول: قوله هذا زعم باطل بلا شك، لأن دين الإسلام كامل بعقائده و تشريعاته ، وجمع بين الدين والدولة، والدنيا والآخرة، وصالح لكل زمان ومكان. وليس أنه بهذه الخصائص أن تشريعاته ظهرت استجابة للظروف التي مرت بها الدعوة الإسلامية، منها الظروف السياسية كما زعم الرجل. و إنما هو كذلك لأن طبيعته ،وخصائصه، والدور المنوط به كل ذلك جعله دينا كاملا شاملا لكل مجالات الحياة. وبمعنى آخر إن كمال وشمولية الإسلام للدين والدولة، والدنيا والآخرة هما من خصائصه الأصيلة المُميزة له، فحتى لو لم توجد أسباب النزول، فإن تشريعاته الشاملة للدارين كانت ستنزل لا محالة. لأنه بما أن الله تعالى جعل رسالة الإسلام عالمية ،وخاتمة

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 21.

الرسالات السماوية ، فلابد أن يكون دين الله دينا كاملا وشاملا لكل جوانب الحياة من دون استثناء، منها الجانب السياسي. و لهذا قال سبحانه:(يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة: 3)، و(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(النحل: 89)،و(وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ)(الأنعام : 38)،و(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت:41- 42) . فدين الإسلام كان كاملا قبل نزوله مُفرقا، لكنه اكتمل في الواقع بالتدريج من جهة النزول فقط، ولم يكن للظروف التي نزل فيها أي دخل في طبيعته وكماله ،و شموليته وربانيته.

وبناءً على ذلك فإن أسباب النزول ليست هي التي أوجدت التشريع، ولا هي التي أوجدت القرآن الكريم، ولا هي التي جعلت الإسلام دينا كاملا شاملا للدين والدنيا معا ، وإنما هي كانت سببا في نزول قسم منه فقط. فالتشريع الذي كانت أسباب النزول سببا في نزوله هو جزء من دين الله تعالى كان موجودا فيه قبل حدوث تلك الأسباب وقبل نزوله بسببها. وهي كانت ستنزل لا محالة حتى وإن لم تحدث أسباب النزول ، بدليل أن قسما كبيرا من القرآن الكريم نزل من دون مناسبات كما سبق أن ذكرناه.

فأسباب النزول ليست هي التي أوجدت الوحي الإلهي، ولا هي التي أنزلت جانبه التشريعي، وإنما كانت سببا في نزول قسم منه لحكمة إلهية. لعل منها إظهار أن الإسلام دين واقعي عملي جاء لتغيير الواقع الجاهلي وبناء واقع إسلامي جديد. و منها أيضا تعميق التجربة الإيمانية في نفوس المسلمين عندما يرون التشريعات الإلهية وهي تغير واقعهم كما حدث في تحريم الخمر. فلاشك أن تحريمه كان حراما في دين الله تعالى قبل نزول التحريم، لكن تحريمه المرحلي التدريجي كان حكيما ومؤثرا،وناجعا وناجحا.وعليه فإن النظام السياسي في الإسلام كان سيُشَرّع لا محالة، سواء كانت له أسباب نزول أم لا ، فلو لم تكن له لكان سينزل أيضا بدونها بلا شك.

و ليس صحيحا أن النصرانية كانت بعيدة عن السياسة:تشريعا وممارسة، فهذا خطأ يقع فيه كثير من الناس.لأنه بما أن النصرانية كانت امتداد لشريعة التوراة ،وعيسى-عليه السلام- هو من أنبياء بني إسرائيل، جاء مُصححا ومعدلا ومقوما لانحرافات اليهود، فإن فالجانب السياسي كان موجودا في دعوة عيسى- عليه السلام- وشريعته. قال تعالى عن -عيسى عليه السلام-: ((وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ، وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ)(آل عمران:48- 49)،و(وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ)(آل عمران : 50)،و(وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ)(الزخرف : 63).

وبذلك يتبين أن القرآن الكريم كتاب إلهي رباني، سواء نزل دفعة واحدة أو نزل مُفرقا، أو نزل بمناسبات أو من دونها ، فهو كلام الله لفظا و معنى ، بغض النظر عن الطريقة التي نزل بها. ولا يُمكن أن يكون بشريا، ولا تابعا لأحد من بني آدم، وليست أسباب النزول هي التي أوجدت تشريعاته، وإنما هو الذي أوجد أسباب النزول بحكم أنه هو الموجد للدعوة الإسلامية بكاملها، و المُهيمن عليها، والموجه لها، والمُتحكم فيها. فأين التاريخية المزعومة التي تمسك بها الرجل، وادعى أنها تشهد على بشرية دين الإسلام و تاريخيته ؟؟!!.

ثالثا: نقض القول بأن مضامين القرآن كانت انعكاسا لظروف محيطه:

زعم المؤلف أن مضامين القرآن الكريم-على كثرتها وتنوعها- كانت تطابقا وانعكاسا لظروف المحيط العربي الذي ظهر فيها دين الإسلام. فمن ذلك أنه قال: ((فلو دققنا النظر لتوصلنا إلى أنّ المسائل التاريخية الواردة في القرآن هي نفسها المسائل التاريخية التي كانت سائدة لدى العرب الجاهليين، وكانوا يعرفونها بنحو الإجمال أو التفصيل. مثلاً لم يرد في القرآن ذكر نبي باسم زرادشت، ولكن ورد ذكر المجوس الذين كانوا يعيشون في إيران في ذلك الزمان ويرتبطون مع الأقوام العربية الموجودة في تلك البقاع. إنّ عامة الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم هم أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا معروفين لدى العرب حين ذاك وكانوا قد

سمعوا بأخبارهم وقصصهم بشكل أو بآخر. ونقرأ في الآية الكريمة (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ)(الصافات:137)، وهذا يعني أنّكم مطلعون على قصة هؤلاء الذين كانوا يسكنون في هذه البقاع فيما سبق وكان أجدادكم يعرفونهم، ولهذا السبب فإنّكم تمرون عليهم في أسفاركم ولديكم بعض أخبارهم. ومن هنا لا نجد في القرآن أخباراً عن الأقوام البشرية التي كانت تعيش في بقاع المعمورة الأخرى وعن أديانهم ومذاهبهم. وأنا أرى في هذه الظاهرة شاهداً آخر على نظرية تطابق الآيات القرآنية مع البيئة الاجتماعية والظروف الثقافية لواقع الجزيرة العربية في ذلك الوقت))[1].

وأقول: كلامه هذا فيه حق وباطل، وتضمن إغفالا لجانب من القرآن الكريم يتعلق بالتاريخ القديم الذي ورد في كتاب الله. لأنه أولا فمن المنطقي والطبيعي أن يذكر القرآن أخبارا عن الماضي يعرفها العرب لأهداف وحِكَم تتطلبها الدعوة الإسلامية. فوجود هذا الجانب لا علاقة له بحكاية إنتاج البيئة العربية للوحي ، وإنما وجوده هو من طبيعيات و متطلبات رسالة الإسلام الخاتمة. قال سبحانه: ((ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ) (آل عمران : 44). فهي وحي إلهي وليست نتاجا للبيئة العربية!!!!.

و من الطبيعي ومن المطلوب أن يتضمن القرآن الكريم أمورا تاريخية لم يكن العرب يعرفونها ، وأخرى لم يكن يعرفها حتى أهل الكتاب،و غيرهم من الملل الأخرى . وإلا لا يُمكن أن يكون القرآن هو الرسالة الإلهية الخاتمة المُرسلة إلى كل البشر.والدين الذي لا يتضمن ذلك وغيره من متطلبات خاتمية الرسالة وعالميتها لا يُمكن أن يكون هو الدين الإلهي. وهذا الجانب هو الذي نسيه أو تناساه المؤلف، عندما قال: ((فلو دققنا النظر لتوصلنا إلى أنّ المسائل التاريخية الواردة في القرآن هي نفسها المسائل التاريخية التي كانت سائدة لدى العرب الجاهليين، وكانوا يعرفونها بنحو الإجمال أو التفصيل)).وهذا ليس بصحيح ، لأن القرآن الكريم كما نص على أن العرب كانوا يعرفون جانبا مما قصه القرآن، فإنه نصّ أيضا على أنه تضمن جانبا آخر لم يكن يعلمه نبيه ولا قومه. فبعدما قصّ الله تعالى قصة نوح- عليه السلام- وما حدث له مع قومه قال: ((تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 115-115.

نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)(هود : 49)،و(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)(يوسف : 3) . فهل الرجل نسي هذا أم تناساه لغاية في نفسه ؟؟.

وثانيا إن مما يُثبت أيضا أن القرآن جاء بأخبار لم يكن العرب أو معظمهم يعرفونها ، بل وكثير من أهل الكتاب لا يعرفونها أيضا ، قوله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ) (المائدة : 15)) .وهذا يعني أن الإسلام جاء بالصحيح من أخبار وعقائد أهل الكتاب التي كانوا يُخفونها ، فلم يكن العرب وغيرهم من الناس يعرفونها، فجاء الوحي الإلهي وأظهرها، و أخبر بها ، وكشف ما كان أهل الكتاب يخفونه.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)(النمل : 76).ومعنى هذا أنه كانت لدى اليهود ومن أخذ عنهم من النصارى والعرب أخبار كثيرة مُختلف فيها ومتضاربة، لا يُميز فيها صحيحها من سقيمها، واختلط فيها الحق بالباطل، فجاء القرآن الكريم بالحق المبين مُصححا وحاكما ومُهيمنا. وهذا يعني بالضرورة أنه جاء بأخبار صحيحة لم يكن يعرفها العرب وكثير أو أكثر أهل الكتاب.

ومنها أن الله تعالى بعدما ذكر قصة ميلاد نبيه عيسى- عليه السلام-، عقّب على ذلك بقوله: ((ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ)) (مريم : 34). وهذا يعني أن النصارى من عرب وغيرهم ومن تأثر بهم كانوا مُختلفين أشد الاختلاف في موقفهم من حقيقة النبي عيسى- عليه السلام- ، فجاء القرآن بالخبر الصحيح الخاص بهذا الموضوع الذي لم يكن يعرفه أكثر الناس من العرب وغيرهم.

ومنها قوله سبحانه: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(التوبة : 30)، و((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ)(المائدة : 77). تُبين هاتان الآيتان جانبا خطيرا من تاريخ الديانتين اليهودية والنصرانية، يتمثل في انحرافهما عن الدين الإلهي الحق،

و تأثرهما بالأديان والمذاهب الفاسدة والمنحرفة عن الدين الحق.وهذا الأمر الخطير لم يكن العرب المشركون يعرفونه ، بل وحتى أهل الكتاب- المعاصرون لنزول القرآن- أو أكثرهم لم يكونوا على علم بهذه الحقائق الخطيرة والمذهلة التي جاء بها القرآن الكريم. وهذه الحقائق قد تم اكتشافها من جديد في العصر الحديث بفضل دراسات وبحوث نقد الأديان ومقارناتها. فمن نتائجها المُذهلة أنه تبين أن النصرانية المُحرفة- الحالية- اقتبست نصوصا كثيرة جدا من الديانتين البرهمية والبوذية، اقتبسها حرفيا أو بالمعنى،وتبنتها وبنت عليها ديانتها[1] !!!!. فهل يصح بعد هذا الإعجاز القرآني التاريخي المُذهل أن يُقال: ((إن المسائل التاريخية الواردة في القرآن هي نفسها المسائل التاريخية التي كانت سائدة لدى العرب الجاهليين)). إنه لا يصح قطعا، وصاحبه إما أنه جاهل بدين الإسلام وتاريخه . وإما أنه لا يعي ما يقول. وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه!!!!.

والخبر الأخير يتعلق بغرق فرعون وإخراج جثته من البحر بعدما أغرقه الله تعالى في اليم هو وجنوده . قال سبحانه : ((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(يونس : 90)،و(آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (يونس : 91) ، و(فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ)(يونس : 92). فالقرآن الكريم نص صراحة على أن الله تعالى نجى فرعون ببدنه بعد إغراقه وقومه في البحر. وهذه الحقيقة المُذهلة لم يكن يعرفها أهل الكتاب،ولا العرب،لأن التوراة لم تذكر ذلك، وإنما أكدت على غرق فرعون وقومهم في البحر، فلم يبق منهم أحد، ولم تذكر أن جثة فرعون قد أنجاها الله تعالى.هذه الحقيقة كانت مجهولة من الناحية التاريخية والأثرية، فلما اكتُشفت مومياءات الفراعنة مُحنطة انكشف السر وظهرت الحقيقة ناصعة، بأن جثة فرعون الخروج المذكورة في القرآن هي من بين الجثث التي حنطها الفراعنة[2]. فكان هذا تصديقا لما ذكره القرآن عن نجاة جثة فرعون الخروج، ولما تضمنه الخبر القرآني من أن الفراعنة كانوا يحفظون جثث

---

[1] عن ذلك أنظر مثلا: محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان: الديانات القديمة ، دار الفكر العربي ، القاهرة، ص: 26 وما بعدها، 48 وما بعدها. توجد فيه نصوص كثيرة تُثبت ما قلناه.

[2] عن ذلك أنظر: موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ط4، دار المعارف، بيروت ، 1977، ص: 250 وما بعدها.

ملوكهم بالتحنيط. والحقيقة إن هذا إعجاز باهر ومُذهل، يشهد على صدق القرآن الكريم، وأنه جاء بأخبار لم يكن يعرفها العرب ولا غيرهم من البشر. فأين ما زعمه الرجل من أن القرآن لم يأت بأخبار تاريخية جديدة عما كان يعرفه العرب،و الذي جاء به كان نتاجا وتطابقا مع البيئة العربية التي ظهر فيها ؟؟!!. أليس هذا زعم باطل ومُضحك ، وافتراء مُتعمد على الوحي الإلهي ؟؟!!.

وثالثا إن قول المؤلف: ((ومن هنا لا نجد في القرآن أخباراً عن الأقوام البشرية التي كانت تعيش في بقاع المعمورة الأخرى وعن أديانهم ومذاهبهم)).هو قول غير صحيح، قاله المؤلف تدعيما لقوله بخرافة إنتاج البيئة العربية للوحي القرآني. إنه غير صحيح لأن القرآن الكريم أشار إلى أقوام كثيرة لم يُفصل أحوالهم، وذكر أنه يُوجد أنبياء لم يقصصهم الله تعالى على نبيه. فالقرآن أشار إلى هؤلاء بإشارات مُجملة ولم يُفصل أحوالهم، وترك للإنسان المجال مفتوحا ليبحث ويكتشف أحوال تلك الأمم، ويعتبر بها ، و يستخرج السنن التاريخية التي حكمت وتحكم العمران البشري، وقد أمره بذلك وحثه عليه. قال سبحانه:(قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ)(آل عمران: 137).

وأما عن الآيات التي أشارت إلى تلك الأمم و الرسل ، فمنها قوله تعالى: ((وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً)(الفرقان : 38)، و((وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرَاً بَصِيراً)(الإسراء : 17)، و(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) (القصص : 43)، و((أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ)(الدخان : 37)، و(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ)(غافر: 78).

ويُمكن التعرف على بعض تلك الأمم التي أجمل القرآن ذكرها بالعودة إلى القرآن والتاريخ ،والآثار المكتشفة حديثا، فندرسها ونقارنها ،و نستخرج منها حقائقها. من ذلك مثلا قوله تعالى: ((((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ

وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (التوبة : 30)))، و((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ (المائدة : 77)). يتبين من هاتين الآيتين أن اليهود والنصارى تأثروا بأقوام كفروا من قبلهم واتبعوهم في ضلالهم وأهوائهم. وبما أنه سبق أن ذكرنا أن بحوث مقارنات الأديان بينت أن النصرانية الحالية تأثرت تأثرا كبيرا بالديانتين البرهمية والبوذية ،وأخذت بأقوالهما في التثليث، فضلت بضلالهما. فهذا يعني أن من بين الأقوام الذين قصدهم القرآن في الآيتين السابقتين هم: البراهمة، والبوذيون في الهند وغيرها. وبما أنهم من الذين ضلوا من قبل وأضلوا غيرهم، فهذا يدل على أن الله تعالى أرسل إليهم بعض أنبيائه، فكفروا وحرّفوا دين الله تعالى.

وأما قوله: إننا لا نجد في القرآن أخبارا عن أديان ومذاهب الأقوام البشرية التي كانت تعيش في بقاع المعمورة الأخرى. فهذا أيضا لا يصح ، ومخالف لصريح القرآن، قاله المؤلف تأييدا لخرافته القائلة: إن القرآن هو نتاج وتطابق مع ظروف جزيرة العرب البشرية والطبيعية. إن زعمه هذا لا يصح لأن القرآن الكريم أشار في آيات كثيرة إلى ما كانت عليه الأمم القديمة –التي فصّل أخبارها وغيرها- من كفر وضلال، وشرك وفساد ، وعناد ورفض للوحي الإلهي، لذلك أهلكهم وأنتقم منهم. فكان عقابهم شاهدا على كفرهم وطغيانهم، وعدم انصياعهم لدين الله ورسله . منها قوله تعالى: ((وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرَاً بَصِيراً)(الإسراء : 17)،و(وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً) (الكهف : 59)، و(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (يونس : 13).

ومنها أيضا قوله تعالى :((((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (التوبة : 30)))، و((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ

كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ) (المائدة : 77)). فواضح من الآيتين أن هؤلاء الأقوام جاءتهم الأنبياء، فكفروا بهم وضلوا وأضلوا، ومن عقائدهم قولهم بأن لله ولدا، فتأثر بهم اليهود والنصارى وقالوا بقولهم . وبما أنه سبق أن بينا أن البراهمة والبوذيين كانوا من بين هؤلاء الأقوام الذين قصدتهم الآية، فهذا يعني أن القرآن أشار إليهم بالتضمن ،وذكر بعض أخبارهم وعقائدهم.

ومن ذلك أيضا أن القرآن الكريم أشار إلى قوم ملاحدة لم يُسمهم عُرفوا بالدهريين، وذكر أساس عقيدتهم ،ورد عليهم ردا دامغا مُفحما . فقال سبحانه : ((وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)(الجاثية : 24). فرد عليهم برد علمي دامغ بين فيه أن هؤلاء بنوا عقيدتهم على الظن لا على العلم ، وهذا يكفي وحده لنقض زعمهم وإبطاله، لأنه قائم على الظنون والأهواء لا على المنطق والعلم.وكل من يتتبع شبهات الملاحدة قديما وحديثا لا يجدها تقوم على عقل صريح ولا على علم صحيح ، وإنما يجدها كلها تقوم على الظنون والأهواء وعصيان البديهة.

والموقف الثاني عبّر عنه بقوله: ((ولا يقتصر الكلام على لغة الإسلام، بل إنّ ثقافته بدورها ثقافة عربية، ومن هنا كانت الثقافة الإسلامية عرضية أيضاً، مضافاً إلى لغة الإسلام. بمعنى أنّ هذه الثقافة بإمكانها أن تكون «نظرياً لا عملياً» بشكل آخر، وأوضح تمظهر لهذه الثقافة العربية هو في مجال اللغة العربية، ولكنّ الثقافة تمتد إلى أعمق من ذلك حيث يتمّ استخدام المفاهيم والتصورات المتولدة في جو هذه البيئة وفي أجواء الثقافة العربية في صدر الإسلام. ففي هذا المجال نرى أنّ العادات العربية والتقاليد المألوفة والأحاسيس السائدة تساهم في صياغة الثقافة الدينية. مثلاً نرى القرآن يشير إلى حور العين في الجنّة بأنّ الحورية ذات عيون سوداء، وليست زرقاء وأنّ هذه الحوريات يسكن في الخيام (حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ)(الرحمن:72)، والقرآن يوصي كذلك بالانفتاح على عمق الإيمان من خلال النظر إلى عظمة خلق الجمل (أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الأبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)(الغاشية:17) وأنّه يتحدث عادة عن الثمار الموجودة في المناطق الاستوائية والحارة التي كانت معروفة لدى العرب (وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ)(الواقعة:29)، (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ)(الرحمن:68) (وَعِنَباً وَقَضْباً* وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً)(عبس:28-29) (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ)(التين:1) ويستفيد من

التقويم القمري «حيث يوجب الصيام في شهر رمضان، والحج في شهر ذي الحجة، ويحرم القتال في الأشهر الحرم» ويتحدث عن رحلة قريش في الصيف والشتاء (لإِيلاَفِ قُرَيْش * إِيلاَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ)(قريش:1-2) ويتحدث كذلك عن أبي لهب وزوجته التي تشدّ حبلاً من مسد على رقبتها، ويخبرنا عن وجود الفرش والأكواب والأباريق في الجنّة (وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)(الغاشية:14-16) وعندما يريد الإخبار عن عظمة القيامة والوقائع المهولة فيها يعبّر عنها بالإشارة إلى الإبل ذات عشرة أشهر (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ)(التكوير:4) ويتحدث عن بعض سلوكيات العرب السلبية في دفنهم للبنات وهنّ أحياء (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْب قُتِلَتْ)(التكوير:8-9) ويمثّل لعظمة الشرر الصاعد من الجنّهم بأنّه كالجمال الصفر المائلة إلى السواد (إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَر كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ)(المرسلات:32-33)[1]ويذكر القرآن في حديثه عن الحيوانات المعروفة والمألوفة لدى العرب كالبغال والحمير والجمال والأسد والفيل والخنزير والحيّة وأمثال ذلك، ومن الأجناس يذكر الصوف والقطن والكافور والسلسلة من سبعين ذراعاً والمعدن المذاب وأمثال ذلك من الأمور والأدوات المعروفة لدى العرب، وبالإمكان البحث عن نماذج كثيرة من هذا القبيل في النصوص القرآنية والروائية، فكلها تشير إلى هيمنة التصورات والذوق والرسوم والعادات التي كانت سائدة في البيئة العربية على الذات المركزية للفكر الإسلامي كالصدف السميك الذي يحيط بذات الدين. ولا شك أنّ بعثة نبي الإسلام العزيز لو كانت في محيط آخر فإنّ الدين الإسلامي ونصوص الوحي وقوانينه ستكون بشكل آخر قطعاً من دون أن يمسّ ذلك بعظمة هذا الخطاب السماوي أو يقلل من أهميته. وعندها سوف لا يجد الوحي حاجة للإشارة إلى قصة أبي لهب وقريش ووأد البنات والعيون السوداء للحور العين، وهذا لا يعني أنّ الوحي سوف يعرض الذات بدون صدف وبدون ثياب عرضية بل يستخدم عرضيات أخرى لتغطية بهاء الذات وعرضها على المخاطبين بشكل آخر وبلباس آخر))[2].

وأقول: كلامه هذا باطل في معظمه، وفيه تغليط و تحريف ،و انحراف عن منهج الاستدلال الصحيح. لأنه أولا إن ثقافة دين الإسلام كوحي ليست ثقافة عربية، ولا عرضية وإنما هي ثقافة إسلامية ربانية أصيلة، لأنها من عند الله تعالى، و هي جزء لا يتجزأ من دينه، ومن يُخالف هذا فهو مُخطئ

1 - سورة المرسلات، الآية 32 و 33.

[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 49-50.

قطعا. و الثقافة الإسلامية كما هي ثقافة ربانية فهي أيضا ثقافة عالمية إنسانية ،لأن دين الإسلام دين عالمي موجه للبشر كلهم . ومن جهة أخرى فإن الوحي الإلهي كما أنه استخدم أمثلة وأسماء ومشاهد من المحيط العربي الطبيعي والبشري، فإنه لم يقتصر على ذلك فقط، و إنما ذكر مشاهد وأخبارا كثيرة جدا جدا ليست من الوسط العربي الطبيعي ولا البشري.فمن ذلك أنه ذكر مشاهد عن نشأة الكون والإنسان ، وذكر أخبارا ومشاهد عن الأنبياء السابقين وأقوامهم من خارج الجزيرة العربية، كنوح ، و إسحاق، و موسى ، وعيسى- عليهم السلام- . و تكلم عن مشاهد تتعلق بالفضاء وعلم الفلك، وأخرى تتعلق بباطن الأرض و تضاريسها، وأعماق البحار. من ذلك قوله تعالى:(وَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)(الأنبياء : 30)،و(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)(يس : 38)،و(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ،فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ،يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ)(الرحمن :33- 35) ،وأَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)(النور : 43)، و(أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ (الزمر : 21)،و(أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور : 40).

وتكلم أيضا عن مشاهد القيامة المستقبلية بأهوالها و نعيمها ، ولا يوجد لها مثيل في أشعار العرب ولا قصصهم، ولا في أي كتاب ديني في العالم. وتكلم أيضا عن أحوال الجنين في بطن أمه، فوصف مراحل نموه بدقة مذهلة ، لم يكتشفها العلم إلا في العصر الحديث. ولا كان العرب و لا غيرهم من الشعوب يعرفونها. من ذلك قوله تعالى: (خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ

أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)(الزمر : 6)،و(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(المؤمنون : 14). وتكلم أيضا عن كيفية تكون اللبن في بطون الأنعام بدقة مُعجزة وباهرة، قال تعالى: (وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ)(النحل : 66).

فيتضح من ذلك أن القرآن الكريم لم يكن وليد ظروفه الطبيعية كما زعم الرجل، سواء في كلامه عن مشاهد جزيرة العرب وأحوالها ، أو في ذكره لمشاهد من خارجها. فقد غطت شاشة القرآن مساحات كثيرة وواسعة و متنوعة من مظاهر الكون، وهذا النوع من الآيات هو مظهر هام جدا من مظاهر إعجاز القرآن وكماله و شموليته. قال سبحانه: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(فصلت : 53).

وثانيا ليس صحيحا أن مشاهد المحيط العربي الطبيعية والبشرية كان لها دخل في تكوين المفاهيم والتصورات الإسلامية، فهذا زعم باطل من دون شك. لأن دين الإسلام كله بأصوله وفروعه ومفاهيمه هو من عند الله تعالى. ووجود مشاهد من الوسط العربي في القرآن الكريم، لا يعني أبدا أنها تدخلت في تكوين مفاهيم الإسلام و تصوراته، وإنما يعني قطعا أن الله تعالى استخدم تلك المشاهد –و غيرها- ليُعبر بها عن مفاهيم وحقائق دين الإسلام.

وبناءً على ذلك، فإن مصدر الوحي القرآني- دين الإسلام- ليس هو ظروف البيئة الطبيعية والبشرية للجزيرة العربية كما زعم الرجل، و إنما مصدره هو الله تعالى. و حتى وإن فرضنا جدلا أن كل مشاهد القرآن مأخوذة من الوسط الطبيعي والبشري لأرض العرب ، فهذا لا يعني أن هذا الوسط هو الذي أثر في دين الإسلام، ولا أنه هو الذي أوجده، وإنما يعني أن الله تعالى هو الذي اختار تلك المشاهد عن إرادة واختيار ، فهو سبحانه يفعل ما يشاء و يختار، وفعال لما يريد. و هذا يعني أن الوسط العربي لم يكن له

أي دخل في إيجاد وتكوّن الوحي الإلهي ، فهو كلام الله : مصدرا، ولفظا ،و معنى.

وثالثا إن قوله : ((وبالإمكان البحث عن نماذج كثيرة من هذا القبيل في النصوص القرآنية والروائية، فكلها تشير إلى هيمنة التصورات والذوق والرسوم والعادات التي كانت سائدة في البيئة العربية على الذات المركزية للفكر الإسلامي كالصدف السميك الذي يحيط بذات الدين)). فهو قول غير صحيح في معظمه، والأمر ليس كما أراده الرجل.لأن مضمون القرآن الكريم مساحاته كثيرة وواسعة و متنوعة، سبق أن ذكرنا منها جوانب لم تكن تُعبر عن مشاهد العرب في جزيرتهم. وقد تناول القرآن الكريم مواضيع كثيرة اخترق بها الماضي و المستقبل، و اخترق بها النفس البشرية وصفا وتحليلا و انتقادا من جهة، و اخترق بها أيضا نفوس اليهود و النصارى، والمنافقين و المشركين وأمثالهم من الكفار من جهة أخرى. مما يعني أن القرآن الكريم لم يكن وليد ظروف العرب ولا ظروف غيرهم ،وإنما كان وحيا إلهياً مُهيمنا على حركة التاريخ : طبيعيا و بشريا .

ولا ننسى أن الوحي الإلهي كان ثورة على واقع أوضاع العرب والبشرية جمعاء : اعتقادا، وفكرا، وسلوكا.قال سبحانه: ((الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(إبراهيم: 1)،و(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2)،و(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(سبأ : 28)،و(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران : 85) ،و(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(المائدة : 19). وبما أن الأمر كذلك فلا يصح قوله بهيمنة ((التصورات والذوق والرسوم والعادات التي كانت سائدة في البيئة العربية على الذات المركزية للفكر الإسلامي)). فهذا زعم باطل شرعا وتاريخا ،ولا ينطبق على دين الإسلام، واستخدامه لأسماء ومشاهد من البيئة العربية، هو من باب التمثيل ،

والتفهيم، وإقامة الحجة، و التذكير وتسهيل الفهم ، لأنه من الحكمة أن يُفَهّم الإنسان بالشواهد التي يراها ويعرفها و يسمع بها. فوجود تلك الأسماء و المشاهد في القرآن الكريم لا يعني أبدا أن البيئة العربية كانت مهيمنة على الوحي الإلهي، فهذا زعم باطل ،و مردود على صاحبه. لأن الوحي الإلهي يُهيمن ولا يُهيمن عليه.

ورابعا إن قوله :((ولا شك أنّ بعثة نبي الإسلام العزيز لو كانت في محيط آخر فإنّ الدين الإسلامي ونصوص الوحي وقوانينه ستكون بشكل آخر قطعاً من دون أن يمسّ ذلك بعظمة هذا الخطاب السماوي أو يقلل من أهميته. وعندها سوف لا يجد الوحي حاجة للإشارة إلى قصة أبي لهب وقريش ووأد البنات والعيون السوداء للحور العين..)). فهو احتمال نظري مُستحيل الحدوث في الواقع، ذكره الرجل تحايلا ،وتغليطا ،وتلبيسا ليصل إلى القول بأن الظروف الطبيعة والبشرية هي التي أوجدت دين الإسلام وكونته. و هذا الرجل أمره غريب ، فهو يتعمد تحريف حقيقة كون الإسلام دين إلهي صالح لكل زمان ومكان. فبعدما زعم أن ظروف جزيرة العرب ساهمت في تكوّن دين الإسلام، عاد وافترض احتمالا وهميا مستحيل حدوثه فعليا، ليتخذه دليلا على صحة زعمه بأن الظروف هي التي أوجدت دين الإسلام وكونته. والحقيقة هي أن الإسلام هو دين الله تعالى (تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)(السجدة: 2)،و((تنزيل الكتاب من الله)،و(ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً)(الإسراء: 39) لا يقبل أن تُفسر نشأته وتكونه بالعوامل الطبيعة والبشرية، سواء ظهر في جزيرة العرب ، أو في شمال أوروبا. فليست تلك الظروف هي التي أوجدته وكونته، وإنما هو كلام الله ودينه من جهة، وهو الذي أوجد ظروف ظهوره و تكونه و انتصاره من جهة أخرى.

وحتى إذا أخذنا باحتماله جدلا فليس صحيحا أن دين الإسلام سيتغير، لأمرين أساسيين: الأول إن الإسلام هو دين الله تعالى (((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19)،و(وَمَن يَبْتَغِ

غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران : 85) . فهو كان موجودا منذ الأزل ، وقد جاء به كل الأنبياء دون استثناء، قال تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13) ،فلما بُعث نبينا محمد-عليه الصلاة والسلام- لم يأت بدين جديد، وإنما جاء بنفس الدين من عند الله، الذي كان موجودا من قبل، وظهر في مختلف بقاع المعمورة ، ولم تكوّنه الظروف الطبيعية والبشرية في جزيرة العرب، ولا في مناطق أخرى من الأرض.

والأمر الثاني مفاده أنه بما أن رسالة النبي الخاتم: محمد بن عبد الله-عليه الصلاة والسلام- جاءت بدين الله تعالى في نسخته الخاتمة ، فهذا يعني أن الله سبحانه ارتضاه لنا دينا. و بما أنه سبحانه جعل دينه خاتما وعالميا للبشرية جمعاء، فهذا يعني أن دينه صالح لكل زمان ومكان.و بما أن الأمر كذلك، فلو افترضنا أن هذا الإسلام ونبيه ظهرا في غير الجزيرة العربية ، فإن نفس الدين سيظهر بأصوله وفروعه، و لن يحدث فيه أي تغيير يُغير أصوله وفروعه.و لهذا عندما انتشر الإسلام- الذي ظهر في جزيرة العرب- في مختلف جهات العالم كان صالحا للتطبيق من دون أية عوائق، فكما طُبق في الجزيرة العربية، طُبق في الهند والأندلس ،وفي تركيا خُوارزم. فالأمر ليس كما زعم عبد الكريم سروش.

وأما حكاية حور العين، ووأد البنات، وقصة أبي لهب ، وقوله بأن تغير المحيط يجعل الدين لا يجد حاجة في ذكر ذلك. ، فنحن إذا فرضنا جدلا حدوث ما ذكره الرجل فالأمر ليس كما أراده . ففيما يتعلق بحور العين، فهو أمر حقيقي من دون شك و لن يتغير، لأن الله تعالى عندما وصف لنا جانبا من أوصاف نساء الجنة، كان يصف أمرا حقيقيا موجودا في الجنة، و لم يكن يصف لنا نساء العرب!!!.فوجود هؤلاء النساء في الجنة أمر حقيقي من دون شك ، ومن ثم لن يتغير الحديث عنهن، سواء نزل الإسلام في جزيرة العرب، أو في أمريكا الشمالية.

وأما وأد البنات فتغير مكان نزول الوحي لا يلزم حذف الآيات المتعلقة بوأد البنات ، وذكرهن لا يتناقض مع تغير مكان نزوله. فيُذكر على أنه فعل

مذموم من أفعال الأقوام الجاهلية، كغيرها من أفعال الكفار السابقين التي قصها الله تعالى علينا، كقوم لوط الذين كانوا يفعلون الخبائث.

وأما قصة أبي لهب فيُمكن أن تتكرر في أماكن أخرى، لأن أفعال الكفار قد تتكرر في محاربتهم لدين الله وأهله، كما تتكرر أفعل المؤمنين في نصرتهم لدين الله وإتباعه. وعليه فيوجد كثير من الكفار هم على شاكلة أبي لهب ، حتى وإن لم يحملوا نفس الاسم. بل وقد يوجد شخص آخر يقوم بنفس فعل أبي جهل ، ويُسمى باسمه !!، فما المانع في ذلك؟؟!!، إنه لا يُوجد أي مانع . فبما أن دين الإسلام هو دين الله تعالى مصدرا ، وأصولا وفروعا، و هو الذي أظهره و تحكم في ظروفه و نزوله، فلا يُوجد أي مانع من تكرار نفس الظروف و الحوادث خارج الجزيرة العربية. فلا يُوجد أي مانع من أن يُعيد التاريخ نفسه في حالتي اختلاف الزمان والمكان.قال سبحانه :(وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ لَوْلاَ يُكَلِّمُنَا اللّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(البقرة : 118)،و(مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ)(فصلت : 43)،و(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ)(الذاريات : 52)،و(كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ)(الأنفال : 54) . إن التاريخ أعاد نفسه، و يُعيده الآن ، و سيُعيده مُستقبلا في حوادث كثيرة. لأن الإنسان هو الإنسان، و سلوكياته محكومة بسنن نفسية ،واجتماعية، وطبيعية لا تتغير.

وحتى إذا افترضنا جدلا أنه حدثت في الوحي الإلهي تغيرات مست بعض الأسماء و المشاهد بسبب تغير المحيط. فإن هذا لن يُغير من حقيقة دين الإسلام بأنه دين إلهي أنزله الله تعالى للبشرية جمعاء، و انه هو الذي أراد حدوث ذلك، ولم تكن للظروف الخارجية أي دخل في مصدريته وأصوله وتشريعاته. في هذا الحالة يكون الأمر كما قال سبحانه: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ)(المائدة : 48) . فهذه التغيرات الله تعالى هو الذي أرادها و شرّعها ، و هي لا تُغير من حقيقة دينه شيئا.

والموقف الثالث مُؤداه أن المؤلف واصل قوله بخرافة كون القرآن انعكاسا وتطابقا ، وتناسبا ونتاجا لظروف الجزيرة العربية زمن النبوة. فذكر من ذلك مثالا عن تناسب القرآن مع العقائد التي كانت في الجزيرة العربية منها النصرانية كنموذج لما قاله، ثم علق عليه تأييدا لزعمه بأن القرآن هو نتاج البيئة العربية.، فقال: ((أحياناً نشارك في بعض المؤتمرات والحواريات المنعقدة بين الأديان والمذاهب في خارج البلد ونواجه هذه المسائل، المسيحيون يقولون: إنّ العقائد المسيحية التي وردت في قرآنكم لا تمثّل جميع عقائد المسيحيين كافّة، ونحن لا نعتقد بمقولة التثليث التي وردت في القرآن، فما تحدث عنه القرآن كان يختص بفئة من النصارى الذين كانوا يعيشون في الجزيرة العربية في عصر الرسالة. وتذكرتُ أنني اشتركت قبل سبع أو ثمان سنوات في ندوة في مدينة «برمنگام» البريطانية وكان بعض علماء قم حاضرين في هذه الجلسة. ومن الصدفة أنّ أحد المسيحيين الجزوئيت سألني في تلك الجلسة: إذا كنّا لا نعتقد بمقولة التثليث التي يتحدّث عنها القرآن فهل سنحسب من الكفّار في نظر الإسلام؟ فنحن لا نقول إنّ الله ثالث ثلاثة ونحن وأكثر المسيحيين لا نعتقد بهذا النوع من التثليث. فقلت في جوابه: كلا، لا يمكن الحكم بكفركم في هذه الصورة. وأيّد ذلك أحد علماء قم وهو (آية الله معرفت) الذي كان حاضراً في تلك الجلسة وقال: «إذا كنتم لا تعتقدون بهذه المقولة فلا يصدق عليكم حكم الكافر». ومن هنا فإنّ القرآن عندما يذكر اعتقادات الأقوام الأخرى فإنّه يتماهى مع العقائد السائدة في ذلك المجتمع في عصر نزول الآيات، فلم يأخذ بنظر الاعتبار تنوع هذه العقائد والمذاهب بالنسبة لليهود مثلاً ويمكنك أن تقول في هذا المجال: هناك مصلحة قطعاً وأنّ الله تعالى كان يعلم أنّ هذه العقيدة الخاصة لهذه الفرقة المسيحية الخاصة أهم كثيراً من سائر العقائد الأخرى ولهذا أشار إليها القرآن بالبنان وأكد عليها. وهذا بدوره يمثّل رأياً من الآراء المطروحة ولكنّ القول المعقول أكثر والطبيعي أكثر أن يقال إنّ القرآن كما تمظهر وتجلّى باللغة العربية التي كانت لغة المحيط الثقافي للرسول، فإنّ هذه العقائد التي كانت سائدة في ذلك المحيط انعكست أيضاً على الآيات القرآنية.

وعلى هذا الأساس يكون التناسب مع المحيط وإيجاد رابطة حوارية بين المحيط الاجتماعي وأفراد المجتمع يشتدّ ويزداد تلاحماً وقوة. وعليه فإنّ النقطة الأولى هنا هي أنّ جميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن وتحدثت الآيات عن معجزاتهم وأديانهم هم الأنبياء الذين كانوا معروفين في تلك الأجواء العربية وليست أديانهم غريبة أو بعيدة عن متناول الذهنية العربية))[1].

وأقول : قوله هذا غير صحيح في معظمه ،و فيه أخطاء فادحة، وانحراف عن منهج الاستدلال الصحيح. لأنه أولا إن الحقيقة هي أن القرآن لم يتكلم عن طائفة واحدة من النصارى، وإنما تكلم عن عدة طوائف : منها طائفة أظهرت الكفر، وأخرى آمنت بعيسى ، قال سبحانه : ((فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(آل عمران : 52))). ومنهم طائفة اتخذت عيسى وأمه إلهين من دون الله، قال سبحانه : (إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ)(المائدة : 116). ومنهم جماعة قالت بأن الله هو المسيح (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)(المائدة : 72). ومنهم طائفة قالت بأن عيسى ابن الله (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)(التوبة : 30). ومنهم طائفة قالت بالتثليث مع اختلافها في التفاصيل ، وهذه هي التي كانت لها الغلبة في النهاية والموجودة الآن . و قد ذكرها القرآن الكريم بوضوح، فقال سبحانه: ((لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(المائدة : 73)) ،و (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 116-117.

وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)(النساء : 171).فليس صحيحا أن القرآن تكلم عن نصارى الجزيرة العربية فقط، فهذا كذب و تحريف مُتعمد. إنه تكلم عن طوائف النصارى منذ تكونهم ، وما حدث بينهم من اختلافات بكلام دقيق ومركز وشامل، في مختلف أماكن وجودهم وليس في الجزيرة العربية فقط كما زعم الرجل.

علما بأن النصارى اليوم يجمعهم القول بالتثليث ، بغض النظر عن التفاصيل الجزئية التي قد يختلفون فيها ضمن قولهم بالتثليث . فهم يعتقدون : ((بما قرره مجمع نيقية في القرن الرابع الميلادي ،و هو ((الإيمان بإله، واحد: أب واحد، ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقُبِر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه. والإيمان بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو الابن يسجد له، ويمجده الناطق بالأنبياء))[1].

وبذلك يتبين أن قوله تعالى: (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(المائدة : 73)،و((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)(النساء : 171). ينطبق على نصارى اليوم، وهذا يُبطل الزعم القائل بأن ذلك لا ينطبق عليهم. وهذا الذي ذكره عنهم القرآن من مظاهر إعجازه وهيمنته على كل الأديان و المذاهب والكتب المقدسة. قال سبحانه:

---

[1] محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ص : 98 .

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)(المائدة : 48).

وأما القول بأن النصارى ليسوا كفارا إذا لم يعتقدوا بمقولة التثليث التي ذكرها القرآن وكفّر أصحابها. فهو قول باطل جملة وتفصيلا ،وافتراء على الشرع. لأن القرآن الكريم قد كفر كل من يتخذ من دون الله إلها، أو يتخذ معه إلهاً ،أو آلهة أخرى: قال سبحانه:((إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً)(النساء : 116)،و ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ)(المائدة : 72)، و((حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ)(الحج : 31)، و(وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)(النساء : 171)، و(وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ)(النحل : 51)، و(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ)(فصلت : 6).

ومن جهة أخرى فقد كفر القرآن الكريم كل من لم يُؤمن بدين الإسلام من اليهود و النصارى والمشركين وغيرهم ، لأن الإسلام هو دين الله تعالى الذي جاء به كل أنبياء الله –عليهم السلام. قال سبحانه: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران : 85)،و(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ)(آل عمران : 19)،و(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)(البينة : 1)،و(أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)(الحشر : 11) . فكيف يُقال : إن القرآن لا يُكفر النصارى؟؟!. فهذا قول باطل بلا شك. والغريب في الأمر أن المؤلف ومن أيده وافق هؤلاء النصارى الذين اعترضوا عليه بأن تكفير القرآن للقائلين بالتثليث لا

ينطبق عليهم. وهذا مع أن موقفهم باطل ومخالف للقرآن، فإنه كان على عبد الكريم سروش أن يُبين لهم خطأ استدلالهم بتلك الآية أولا، ثم يُوضح لهم أن الإسلام يُكفر كل من لا يُؤمن به ثانيا. فالكفر لا يُرفع عنهم ولا عن غيرهم من غير المسلمين، لكن المؤلف رفعه عنهم ، مع أن مذهبه الشيعي الإمامي يُكفر حتى المسلمين الذين لا يُؤمنون بأئمته[1]!!!!!.

وثانيا إن القرآن عندما تكلم عن أهل الكتاب وما حدث لهم مع أنبيائهم تكلم عنهم أولا وهم في مواطنهم الأصلية، كمصر،و فلسطين، وهذا دليل قاطع على أن كلامه عنهم أولا لم يكن انعكاسا ولا تناسبا مع المحيط العربي. لكنه من جهة أخرى تكلم عنهم أيضا عندما تعاملوا مع النبي-عليه الصلاة والسلام- في المدينة خاصة اليهود. وهذا لم يكن انعكاسا ولا تطابقا ولا تناسبا وإنما كان تصرفا و تعاملا مع واقع جديد، وفق ما يقرره الإسلام.

ومن جهة أخرى فإن القرآن تكلم أيضا عن انحرافات أهل الكتاب وجرائمهم وأحوالهم منذ نشأتهم خارج الجزيرة العربية، في مصر والشام و الحبشة قبل أن يظهر الإسلام ،و لم يكن كلامه عنهم انعكاسا ولا تناسبا لما يحدث في الجزيرة العربية، وإنما تكلم عنهم انطلاقا من رسالة دين الإسلام المصدق للصحيح من الكتاب والمُهيمن عليه، والرافض لكل أنواع الشرك والانحراف، والداعي إلى الدين الحق والتوحيد الخالص. من ذلك ذكره لما حدث لليهود في مصر على يد فرعون، ومن قبله ما جرى لنبي الله يوسف-عليه السلام- . وكذلك أخباره عن المسيح-عليه السلام- مع قومه الحواريين، وأشار أيضا إلى انحراف اليهود والنصارى عن دين الله ، وتأثرهم بالأقوام التي انحرفت وضلت قبلهم ، كالبراهمة والبوذيين، وهذا أمر سبق بيانه.

علما بأن تكلم القرآن الكريم عن أهل الكتاب لم يكن كلاما سرديا حتى يُقال عنه: إنه كان انعكاسا و تناسبا للوسط الذي ظهر فيه، وإنما كان كلاما علميا نقديا تصحيحيا مُميزا لصحيح الأخبار والعقائد من سقيمها وباطلها. قال سبحانه :(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ

[1] الكليني: الكافي من لأصول، ط3، دار الكتب الإسلامية، طهران، ج1 ص: 187.

وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(المائدة : 48)،و(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ)(المائدة : 15)،و(وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)(البقرة : 102)، (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)(النمل : 76) ،و(وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (المائدة : 116)، و(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ)(المائدة : 78). هذه الشواهد القرآنية- وغيرها كثير- هي أدلة قطعية ودامغة على أن القرآن لم يكن انعكاسا ولا تناسبا مع العقائد والمذاهب التي كانت السائدة في الجزيرة العربية كما زعم الرجل ، وإنما هي براهين دامغة على أن القرآن كلام الله (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)(المائدة : 48)،و(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2)،و(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء : 107). فجاء ليُغير الواقع من الشرك والكفر والضلال بكل أنواعه إلى التوحيد الخالص والشريعة الربانية التي ارتضاها الله لنا. ولهذا كان الإسلام هو الرسالة الخاتمة والناسخة لكل الشرائع والرسالات السابقة. من ذلك أن القرآن نص على أن رسالة عيسى-عليه السلام- كانت رسالة مؤقته وخاصة ببني إسرائيل ، ولم تكن خاتمة ولا عالمية، ولهذا بشر بالنبي الخاتم الذي يأتي بعده. قال سبحانه: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ)(الصف : 6) .
وهذا الذي ذكره القرآن كان معظم النصارى يُنكرونه عندما نزل القرآن الكريم،لأن النصرانية كانت قد تبنت العالمية والتثليث منذ مؤتمر نيقية سنة

325 م[1].بل إن نصارى نجران القريبين من المدينة المنورة كانوا يقولون بالتثليث وقد رد عليهم القرآن ردا دامغا وبين فساد قولهم[2]. فلو كان القرآن نتاجا و تناسبا وتطابقا مع واقع العقائد في الجزيرة العربية ما خالفها ،وحكم عليها بالبطلان . فالقرآن رسالة الله الخاتمة والعالمية جاء لإخراج البشر من جاهلياتهم وإرجاعهم إلى دين الله تعالى الذي كان عليه جميع الأنبياء،وجاء مُصدقا لما سبقه من الكتاب ومُهيمنا عليه بأمر ووحي من الله تعالى، ولم يكن أبدا نتاجا ولا تناسبا ولا تطابقا مع أوضاع الجزيرة العربية ولا مع العالم بأسره. فهذا زعم باطل، وتحريف مُتعمد، وافتراء على الشرع والعقل والعلم.

وثالثا ليس صحيحا أن القرآن الكريم لم يُشر إلى انقسام اليهود والنصارى إلى طوائف مذهبية، انسجاما وانعكاسا، وتناسبا وتطابقا مع ما كان موجودا في الوسط العربي. فهذا قول غير صحيح، لأن القرآن ذكر أن أهل الكتاب لم يكونوا طائفة واحدة، وإنما كانوا طوائف كما سبق أن بيناه ، فكان منهم المؤمنون، وكثير منهم ضالون فاسقون. من ذلك قوله تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ)(المائدة : 78) (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)(الحديد : 27) ،و(ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (الحديد : 27))، و((فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(آل عمران : 52))، و(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا

[1] أنظر مثلا: رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية ، المكتبة العصرية، بيروت، ص: 96 وما بعدها.
[2] أنظر مثلا: ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ج1 ص: 228، ج 2 ص: 143، 207.

فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً)(النساء : 171)، و(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)(المائدة : 111). كل تلك الانحرافات والانقسامات التي بين اليهود والنصارى حدثت خارج الجزيرة العربية، وقبل ظهور الإسلام بقرون . فأين خرافة الرجل القائلة بأن ما ذكره الإسلام عن عقائد أهل الكتاب وغيرهم كان نتاجا و تناسبا وتطابقا للعقائد التي كانت في الجزيرة العربية ؟؟!!.

وبناءً على ما ذكرناه فإن الحقيقة هي أن القرآن الكريم تعامل وتفاعل و تصرف مع الأوضاع العقدية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية، لكنه لم يكن انعكاسا ولا نتاجا لها، ولا تناسبا معها ،وإنما جاء مُغيرا ومُصلحا ومُصححا لها وفق الشريعة التي جاء بها، ليُخرج أهلها من ظلمات الجاهلية والشرك إلى نور الإسلام. وفي نفس الوقت تكلم القرآن الكريم عن العقائد والفرق الدينية خارج الجزيرة العربية ، كمصر والشام والحبشة . وبما أن الإسلام دين الله الخاتم جاء إلى البشرية جمعاء في كل بقاع العالم ليُخرجها مما هي فيه من كفر وشرك ، وضلال وانحرف إلى عبادة الله الواحد القهار وفق شريعته ، فلا يُمكن أن يكون القرآن نتاجا ،ولا تطابقا ،ولا انعكاسا ،ولا تناسبا مع أوضاع الجزيرة العربية . ومن يقول بهذا فهو مُخطئ، ومن يصر عليه فهو معاند ومغالط ومُحرف للحقيقة عن سبق إصرار وترصد لغاية في نفسه.

وأما قوله: ((فإنّ النقطة الأولى هنا هي أنّ جميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن وتحدثت الآيات عن معجزاتهم وأديانهم هم الأنبياء الذين كانوا معروفين في تلك الأجواء العربية وليست أديانهم غريبة أو بعيدة عن متناول الذهنية العربية)). فهو قول فيه حق وباطل، ومبالغ فيه جدا، فحوّل الحبة الصغيرة إلى قبة كبيرة . لأن غالبية العرب كانوا مشركين أميين، ولا علم لهم بكتب اليهود والنصارى، إلا القليل منهم.و كانت أميتهم من جهتين:الأولى عدم معرفتهم القراءة والكتابة ، والثانية هي أنهم لم يكن لديهم علم بالكتب السابقة عامة ، وكتب اليهود و النصارى خاصة. قال تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2)،و(تِلْكَ

مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)(هود : 49) .

وأُنبه هنا إلى أن قول المؤلف: ((إنّ جميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن وتحدثت الآيات عن معجزاتهم وأديانهم هم الأنبياء)) ، هو كلام غير دقيق، و لا يُعبر عن الحقيقة، لأن الأنبياء-عليهم السلام- لم يأتوا بأديان، وإنما جاؤوا برسالات سماوية حملت كلها دينا واحدا هو الإسلام ، لقوله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13). ولهذا جاء في الحديث عن النبي-عليه الصلاة والسلام : (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد)[1].

وأما قوله بأن جميع الأنبياء المذكورين في القرآن كانوا معروفين بأسمائهم ، وأن أديانهم لم تكن غريبة أو بعيدة عن متناول الذهنية العربية في المحيط العربي. فهو قول غير ثابت، بل ولا يصح. وإذا فرضنا جدلا أنهم كانوا على معرفة بأسماء الأنبياء المذكورين في القرآن، فإنه لا يصح القول بأنهم كانوا على معرفة بأديانهم و لم تكن غريبة عن ذهنياتهم. إنه لا يصح بدليل الشواهد الآتية:

أولها إن الرجل عمم حكمه من دون أن يوثقه، ولا ذكر دليلا واحدا عليه. وهذا ليس من منهج الاستدلال الصحيح، فيجب عليه أن يُوثقه، وإلا فلا يُقبل منه دون دليل صحيح يُثبته.

والثاني مفاده أن حكمه الذي عممه بحثتُ عنه فلم أجده في الشرع ولا في مصادر أخرى، ولا عثرت على دليل يُثبته.مما يعني أن الرجل قال به وعممه من دون دليل صحيح ،وإنما قاله لغاية في نفسه.

والثالث ذكرنا أعلاه أن معظم العرب كانوا مشركين وثنيين ولم يكونوا موحدين، والغالب عليهم الأمية بنوعيها. وأمة هذا حالها إذا فرضنا جدلا أنها كانت على معرفة بأسماء جميع الأنبياء المذكورين في القرآن ،فإنها لا

---

[1] البخاري: الصحيح، ج4 ص: 167، رقم: 3443.

يُمكن أن تكون لها معرفة بأديان هؤلاء الأنبياء، بسبب حالة الأمية التي كانت فيها، وهذا سجله القرآن الكريم ،و قد سبق بيانه.

والشاهد الرابع هو أنهم لو كانوا على علم بهؤلاء الأنبياء وبأديانهم كما زعم الرجل ، لما جاءهم أمر النبوة غريبا ، ولما تعجبوا منه، ولما استنكروه واستبعدوا حدوثه ((فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ)(القمر : 24)،و (وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)(صـ : 4)، و((أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ)(صـ : 8)، و((قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ)(يس:15).
والخامس مفاده أنه لو كانت لهم معرفة بأديان هؤلاء الأنبياء ما جهلوا أخبار النبي نوح- عليه السلام- فبعدما ذكر الله تعالى أخباره مع قومهم وقصة الطوفان قال: ((تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)(هود : 49). ،وهذا الحكم لا يدل على أنه خاص بتلك الأخبار وإنما هو مفتوح يصدق على أخبار أخرى، وعلى أكثر العرب بحكم أنهم كانوا أميين في معظمهم.

والشاهد الأخير- السادس- مضمونه لو أن العرب كانوا على علم بدين الأنبياء السابقين ما استنكروا التوحيد وقاوموه ، قال تعالى: ((أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ، وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (صـ 5- 7).

واستنتاجا مما ذكرناه يتبين أن العرب لم تكن لهم معرفة مُجملة ولا مفصلة بكل نبي وما جاء به، وإنما كانت فيهم قلة لها معرفة بكتب أهل الكتاب ، وهي معرفة مضطربة باطلها أكثر من صحيحها بحكم أن اليهود والنصارى كانوا قد انحرفوا عن الدين الحق،وكتبهم قد تعرضت للتحريف. ومن جهة أخرى فإن ذلك لا ينفي بأن عامة الناس كانت لها معارف وأخبار ترويها وتتوارثها كقصص وأساطير عن الماضين ، كما هو حال كل

الشعوب . لكنها لم تكن معرفة صحيحة مفصلة ولا مُجملة بحيث أنها كانت تخص كل نبي ورسالته.

وبناءً على ذلك فلا يُمكن أن يكون القرآن الكريم نتاجا،ولا تطابقا ،ولا تناسبا مع ما كان يعرفه العرب عن الأنبياء ورسالاتهم. ومن جهة أخرى فإن القرآن الكريم جاء بأخبار مُفصلة ومُجملة عن هؤلاء كلها حقائق وإعجاز وآيات بينات. لكنه في نفس الوقت وظف المعرفة التي كانت عند العرب بالأنبياء لخدمة الإسلام ودعوته. فذكّرهم أن النبوة ليست أمرا جديدا فلماذا يُنكرونها ؟!، وأن النبي محمد-عليه الصلاة والسلام- لم يكن بدعا من الرسل ، فلماذا يُكذبونه وهو الصادق الأمين؟؟!!. وإن هم كذبوا به وبالإسلام فسيصيبهم ما أصاب الأقوام التي كذبت أنبياءها،و هم قد سمعوا ببعضهم .و بذلك تمكن القرآن الكريم من الرد عليهم بما لديهم من أخبار صحيحة قليلة عن الماضين، وربط الحاضر بالماضي، والماضي بالحاضر ليُبين لهم أن رسالات الأنبياء كلها جاءت بدين واحد.

وعليه فإن الأخبار التي جاء بها القرآن الكريم عن الأنبياء ورسالاتهم ، كانت ثورة في عمقها واتساعها، وحقائقها وإعجازها، ومفاهيمها ومناهجها، وتصديقها وهيمنتها، ولم تكن نتاجا ،ولا تطابقا، ولا تناسبا مع ما كان يعرفه العرب من أخبار عن الأنبياء ورسالاتهم. فلم تكن كذلك لأنها كانت وحيا من عند الله تعالى، ولم تكن كما زعم عبد الكريم سروش نتاجا لمحيطها العربي الذي ظهرت فيه.

والموقف الرابع مفاده أن المؤلف كرر المفهوم السابق في موضع آخر من كتابه ، فقال: ((ولهذا السبب كان العرب يفهمون كلام النبي ويدركونه من موقع الوضوح في الرؤية، أي عندما يقول النبي إنني أوحي إليّ وأنّ ملكاً أوحى إليّ هذا الكلام لم يكن كلامه هذا مثارا للعجب لديهم ولم يعترضوا على النبي بأنّ ما تقوله أمر عجيب وغريب. فالعرب أنفسهم كانوا يعتقدون بمثل هذه العقائد، ويرون أنّ الشعراء يوحى لهم وأنّ هناك ملكاً أو شيطاناً يوحي لهم هذه الأبيات الشعرية. وعلى هذا الأساس لم يتحركوا في مقابل

النبي من موقع التعجب والاستغراب والاعتراض، بل كان الأمر طبيعياً جدّاً بالنسبة لهم))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح، وهو نموذج لتكلم المؤلف بلا علم، وتعمده مخالفة الوحي والأخبار الصحيحة المعارضة لرغباته ومذهبيته. لأنه أولا إن قوله بأن العرب كانوا يعرفون معنى الوحي و النبوة ، وأنهم لم يتعجبوا من ذلك ولا استغربوه، فهو قول غير صحيح . لأنه لو كان الأمر كذلك لما ذكر الله عنهم ، أنهم تعجبوا منه واستغربوه، واستنكروه واستبعدوا حدوثه، وحاروا في تفسيره ، فذكر أنهم قالوا: ((فَقَالُوا أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (القمر : 24)،و (وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) (صـ : 4)، و((أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (صـ : 8).و((وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (الزخرف : 31)، و((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (سبأ : 43)، و((((بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ (الأنبياء : 5).

وثانيا لو كانت ظاهرة الوحي والنبوة معروفة لدى قريش والعرب، لما أضطرب النبي-عليه الصلاة والسلام- عندما نزل عليه الوحي أول مرة ، ولما خاف على نفسه وذهب يرتجف إلى بيته.وفي تصرف زوجته خديجة –رضي الله عنها- عندما أخذته إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل لتعرض عليه ما حدث لزوجها شاهد على أنها لم تعرف حقيقة ما حدث له. وفي ذهابها إلى ورقة بن نوفل دون غيره يعني أن هذا الأمر لم يكن يعرفه من قريش إلا القليل الذين كان لهم علم بكتب اليهود والنصارى، كورقة بن نوفل[2]. وأما غالبية المجتمع فلم يكونوا على معرفة بذلك، وهذا أمر سبق بيانه وتوثيقه.

والموقف الأخير- الخامس – مضمونه أنه قال: ((والخلاصة أننا لا نواجه مشكلة في كون الوحي أمراً إلهياً، فعندما نقول إنّ الوحي الذي نزل على

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 137.

[2] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

النبي هو أمر تاريخي وخاضع لعنصر الزمان والمكان ومقتضيات العصر فإنّ هذا الكلام لا يثير خللاً في كونه إلهياً، لأنّ معنى هذا الكلام أنّ النبي ينطلق في كلماته وتعليماته من موقع الهداية الإلهية والإشراف الرباني ويتكلّم بما يناسب تلك الأجواء وذلك العصر. فليس معنى كون الكلام إلهياً أن يكون قول الإنسان وفعله فوق الزمان وفوق المكان، فهذه خصوصية ما وراء الطبيعة... ففعل النبي وكلامه ورسالته جميعها إلهية، أي أنّها تتحرك من موقع الهداية الإلهية والإشراف الرباني. ولكنّ ذلك لا يعني أنّها فوق الزمان والمكان، لأنّ النبي نفسه خاضع لمؤثرات الزمان والمكان...))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تلبيس وانحراف عن منهج الاستدلال الصحيح . وهذا الرجل لا ينسى مغالطاته وتحريفاته، إنه ينطلق من رغباته ومذهبياته ويُغفل موقف الشرع ثم يفرض عليه ما يريد هو منه، وكأنه هو الشرع، وهذا تصرف ليس من الموضوعية ولا من البحث العلمي الصحيح في شيء. وتفصيل ذلك أولا إن كون الكلام إلهيا لا يستلزم أنه صالح لكل زمان ومكان، لكنه لا يستلزم أيضا أنه غير صالح لكل زمان، فهذا راجع للإرادة الإلهية، وليس للتاريخية التي تحكم حوادث التاريخ البشري. فالله تعالى أنزل دينا واحدا مع كل الأنبياء بشرائع مُتعددة ، لكنه أبقى أصول دينه وفروعه الأساسية صالحة لكل زمان ومكان، ونسخ أحكاما أخرى. قال تعالى: (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13)،و(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(المائدة : 48). ومن جهة أخرى فإنه سبحانه جعل رسالة نبي الإسلام هي الرسالة الخاتمة والخالدة بكل أصولها وفروعها ومفاهيمها. فهذا أمر من الله ، ومن ثم فهو صالح لكل زمان ومكان ولن تستطيع تاريخية البشر أن تتجاوزه ، ولا أن تمنعه .

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 133.

وثانيا إن الرجل لا يُريد أن يفهم بأن عدم تاريخية دين الإسلام ليس سببه أنه فعل بشري، ومع ذلك لا يخضع للتاريخية المتحكمة في معظم سلوكيات البشر، وإنما سبب ذلك هو أن الإسلام من عند الله تعالى ، وهو الذي جعله خالدا، خاتما، عالميا، صالحا لكل زمان ومكان. فهو يُنكر هذه الخاصية، ويُصر على وجوب خضوع دين الإسلام للتاريخية!!. وهذا خطأ كبير ، وإصرار منه على باطله، وإنكار منه على عدم صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان بغير حق.

وواضح أيضا أن الرجل مُصر على إنكار كون الوحي من كلام، وعلى هذا الإنكار بنى موقفه السابق، وقد صرّح به عندما قال بأن ((النبي ينطلق في كلماته وتعليماته من موقع الهداية الإلهية والإشراف الرباني ويتكلّم بما يناسب تلك الأجواء وذلك العصر. فليس معنى كون الكلام إلهياً أن يكون قول الإنسان وفعله فوق الزمان وفوق المكان، فهذه خصوصية ما وراء الطبيعة...)). و هو كلام باطل، وفيه تغليط وتلبيس على القراء. لأن الوحي الذي جاء به النبي-عليه الصلاة والسلام- ليس هو من كلمات النبي وتعليماته، وإنما هو كلام الله تعالى لفظا ومعنى، أوحاه إليه الله تعالى بواسطة الروح الأمين جبريل-عليه السلام- ،ولم يتكلم به النبي من موقع الهداية الإلهية والإشراف الرباني. فهذا لا ينطبق أبدا على القرآن الكريم، وإنما ينطبق على الحديث النبوي، الذي هو من كلام الرسول- عليه الصلاة والسلام- بأمر و توجيه وحصانة إلهية، لكنه ليس كلاما لله تعالى . ولهذا كان عليه الصلاة والسلام عندما ينزل عليه القرآن يأمر بتدوينه ، ولا يأمر بتدوين كلامه، بل إنه نهى أن يُكتب عنه غير القرآن[1].
كما أن قوله: ((فليس معنى كون الكلام إلهياً أن يكون قول الإنسان وفعله فوق الزمان وفوق المكان، فهذه خصوصية ما وراء الطبيعة...)). فيه تغليط وتلاعب وافتراء، لأن كون الكلام إلهيا، لا علاقة له بقول الإنسان وفعله. فما العلاقة بينهما؟؟!! اللهم إلا أن يكون هذا من مغالطات الرجل لغاية في نفسه. يريد منه أن يُوهمنا بأن تكلم النبي بالكلام الإلهي هو في حقيقته قول وفعل بشري بناءً على زعمه أن الكلام الإلهي نابع من نفس النبي. وهذا زعم باطل من دون شك. وعليه فالصحيح هو أن كون الكلام

[1] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 50.

إلهيا يحتمل أمرين: إذا أراد لـه الله تعـالى أن يكـون ظرفيـا محـدودا بزمـان ومكان محدودين فسيكون كذلك. وإذا أراد لـه أن يكـون خالـدا عالميـا يصـلح لكل زمان ومكان فسيكون كذلك. وفي هذا الحالة لن يخضـع للتاريخيـة التـي تحكم حوادث التاريخ ، لأنه تم بأمر من الله تعالى. أما أقوال الإنسان وأفعاله فهي ليست من وراء الطبيعة من دون شك، و ستكون خاضـعة للسـنن التـي تحكم العمران البشري.

كما أن الرجل لا يمل من تكرار خرافته بأن الإسلام نتاج التجربة النبوية والظروف التاريخية التي ظهر فيها. وهذا واضـح مـن قولـه بـأن مـا جـاء بـه النبـي لـيس فـوق الزمـان والمكـان ، لأن ((النبـي نفسـه خاضـع لمـؤثرات الزمـان)). فهذا الرجل يتعمد فرض رغباتـه ومذهبيتـه ، ويتناسـى حقـائق الشـرع والتـاريخ التـي تـنقض زعمـه مـن أساسـه. لأن النبـي-عليـه الصـلاة والسلام- ليس إنسانا عاديا لكي يكـون مـا جـاء بـه خاضـعا لمـؤثرات الزمـان والمكـان. فهـو بمـا أنـه نبـي الله صـاحب الرسـالة الإلهيـة الخاتمـة والعالميـة، فلاشـك أن الـوحي الـذي جـاء بـه فـوق مـؤثرات الزمـان والمكـان. نعـم إنـه يتعامل و يتفاعل معها ، لكنه فوقها، فهو الذي أوجدها، وهو الـذي يتصـرف ويتحكم فيها، و هو الآمر والناهي فيما يحدث، وعليه فلن يكون خاضعا لها. لكـن الرجـل مُصـر علـى تجاهـل هـذه الحقـائق عـن سـبق إصـرار وترصـد انتصارا لمذهبيته الزائفة.

وإنهاءً لهذا المبحث يتبين أن القرآن الكريم لم يكن وليد ظروفـه الطبيعيـة ولا البشرية التي كانت سائدة في بلاد العرب ولا التي كانت في باقي مناطق الأرض. ولا كـان هـو انعكاسـا ولا تطابقـا ولا تناسـبا مـع ظـروف المحـيط العربـي كمـا زعـم الرجـل. لأنـه تبـين بالأدلـة الدامغـة أن مضـامين القـرآن الكـريم لا يُمكـن أن تكـون انعكاسـا لمحيطـه ، لأنهـا شـملت مختلـف مظـاهر الطبيعة والعمران البشـري التـي لا مثيـل لهـا فـي الوسـط العربـي مـن جهـة . وتضمنت من جهة أخرى حقـائق تاريخيـة وعلميـة إعجازيـة مُذهلـة لـم يكـن العرب ولا غيرهم من الشعوب يعرفونها.

رابعا:نقض تقسيم دين الإسلام إلى عرضيات وذاتيات:

زعم المؤلف أن دين الإسلام يتكون من قسمين: قسم يُمثل عرضيات الدين ، وهي مؤقتة وزائلة بتغير الظروف التاريخية التي ظهرت فيها. والقسم الثاني يُمثل ذاتيات الدين، وهي أصوله الأساسية ، وهي دائمة لا تتغير بتغير ظروفها التاريخية. فمن ذلك أنه زعم أن الإنسانيات في القرآن ، والإشارات العلمية الواردة فيه هي من عرضياته لا من ذاتياته، ومن ((جملة الأمور العرضية في الدين جميع الأسئلة والقصص والحوادث التي ورد ذكرها في القرآن والسنة من قبيل الحروب، الاعتراضات والعداوات، اعتناق العرب للإسلام، نفاق البعض منهم، التهم والطعون والشكاوى، السؤال عن الأهلة، ذي القرنين، الساعة، الروح، القتال في الأشهر الحرم، والمحيض، والانفال، وكذلك ذكر بعض الأشخاص مثل أبي لهب وزوجته وزيد. ومن البديهي أنّ هذه الأمور كان بإمكانها أن تقع بشكل آخر. فلو لم يكن أبو لهب، أو كان مؤمناً، فهذا يعني عدم وجود سورة المسد. ولو وقعت معركة بدر «سورة آل عمران» والأحزاب «سورة الأحزاب» بنحو آخر وكانت لها نتائج وعواقب أخرى لتغير ذكرها في القرآن. فلا أنّ وقوع هذه الحروب وما حققه المسلمون من نصر فيها من ذاتيات الإسلام ولا اتهام المنافقون لعائشة «سورة النور» ولا أحقاد أبي لهب وزوجته تجاه النبي «سورة مسد» ولا السؤال عن قصة ذي القرنين «سورة الكهف» ولا حديث زواج النبي من زوجة زيد «سورة الأحزاب» ولا بث الشائعات فى المدينة (المرجفون في المدينة) «سورة الأحزاب» ولا ردة فعل اليهود والمسيحيين تجاه الإسلام «سورة البقرة» كلها لا يشكّل وجودها أو عدمها في التاريخ خللاً في عمق الخطاب الأصلي للإسلام. وعندما نراها موجودة في النصوص المقدّسة فلا ينبغي أن نعدّها أكثر من أمور عرضية بإمكانها أن لا تكون أو تكون بشكل آخر، وبعبارة أخرى أنّ القرآن بإمكانه أن يكون أقلّ أو أكثر من القرآن الفعلي ورغم ذلك يبقى القرآن قرآناً لأنّ القرآن قرآن بذاتياته لا بعرضياته... نصل هنا لبحث المقدمات لموضوع العرضيات في الفقه وبعض الأحكام الفقهية والشرائع الدينية لبعض الأديان «ومنها الإسلام» وهي عرضية بالمعنى المتقدم، أي أنّها وليدة الأسئلة اعتباطية وحصيلة حالات مهزوزة «وأحياناً غير مطلوبة» وكان بإمكانها أن لا ترد

في الشريعة. والقرآن الكريم بدوره يتضمن بعض هذا الأسئلة وأجوبتها وكذلك ينهى عن بعض آخر من هذه الأسئلة،))[1].

و أقول: كلامه هذا باطل جملة و تفصيلا، بناه على خرافة العرضيات التي تسلط بها على الشرع نفيا وتحريفا وتعطيلا. وأنا هنا أولا لا أدخل معه في مناقشة الأمثلة التي ذكرها تأييدا لخرافته، لأنه سبق أن ناقشته في بعضها و بينت بطلان قوله وفساد مزاعمه ، وإنما أرد عليه ردا عاما حاسما يُبطل خرافة العرضيات من أساسها، والتي تسلط بها على دين الإسلام:تحريفا تعطيلا حسب هواه. وبذلك تنهار كل الأمثلة الجزئية التي ذكرها وألحقها بخرافة العرضيات من دين الإسلام.

وثانيا إن قول الرجل بخرافة العرضيات في دين الإسلام باطلة لأمرين أساسيين: الأول مفاده أنه بما أن دين الإسلام هو دين الله تعالى ووحيه، فهذا يعني أنه كله حق ولا يأتيه الباطل أبدا. وبما أن الإسلام هو دين الله الذي اختاره لعباده،وهو الذي جاءت به الرسالة الخاتمة للبشرية جمعاء، فهذا يعني أن دين الله تعالى لم يتغير، ولا يقبل ذلك، و لن يحدث فيه تغيير أبدا. وبما أن الأمر كما ذكرناه فذلك يعني أنه لا يصح تقسيم الوحي الإلهي إلى ذاتي و عرضي،ولا إلى أصلي وثانوي ،و إنما هو كله أصلي وأصيل ،لكن لا حرج إذا قسمناه إلى: أصول الدين و فروعه. فهذا التقسيم يختلف تماما عن التقسيم الذي بناه الرجل على خرافة الذاتيات والعرضيات. لأن تقسيمنا هذا مأخوذ من الشرع نفسه ، كقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)(البقرة : 277). أما تقسيم الرجل فهو تقسيم باطل شرعا وعقلا أقامه على رغباته ومذهبيته عن سبق إصرار و ترصد لتحقيق غايات في نفسه.

والأمر الثاني مفاده أن قول الرجل بخرافة الذاتيات والعرضيات في دين الإسلام، هو موقف بناه على فكرة وهمية تغليطية احتيالية مُستحيلة الحدوث في الواقع، لكنها مُمكنة الحدوث من جهة الإمكان العقلي المجرد دون الوجود الحقيقي الواقعي. ثم رد بها حقائق موضوعية موجودة في الواقع لا يُمكن أن تزول من الواقع بذلك الاحتمال النظري، ولا بعوامل أخرى

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 59-60، 62 .

موضوعية مشهودة. فماذا يعني هذا ؟؟!!، إنه يعني بالضرورة أن الشيء الموجود في الواقع الذي لا يزول ولا يقبل التغيير هو أصلي، ولا يصح وصفه بأنه عرضي، لأنه قائم بذاته ولن يزول. ويعني أيضا أن الاحتمال النظري هو مجرد احتمال لا حقيقة له في الواقع ،ولن يكون له وجود في الواقع، ومن ثم لن يستطيع تغيير ذلك الموجود في الواقع.وهذا يفرض علينا أن نتعامل مع ما هو موجود في الواقع و لن يتغير، وليس مع ما هو غير موجود ، و مُستحيل أن يكون له وجود في الواقع.

وعليه فمن الواجب عقلا أن نتعامل مع الموجود القابل للتغير والزوال على حالته التي عليها في الواقع، ومنها نحكم بها عليه ،ولا نتعامل معه ونحكم عليه بناء على حالته التي سيكون عليها لو تغير. وبمعنى آخر فإنه في هذه الحالة لا نتعامل معه إلا إذا تغير في الواقع، ولا يصح أن نغير الموجود من أجل الاحتمال النظري الذي لا وجود له ، ولن يكون له وجود حقيقي في الواقع. وأما بالنسبة للموجود الذي لا يقبل التغير والزوال فلا يصح أبدا الحكم عليه بناءً على احتمال نظري لا يُمكن حدوثه في الواقع. وبذلك يتبين أنه لا يصح نفي الموجود باحتمال نظري لا وجود له.

علما بأن قول الرجل بحكاية الذاتيات والعرضيات وتطبيقه لها كان على مقاسه ،وحسب رغباته وخلفياته المذهبية ،ولم يستخدمها كما يتطلبها منه المنطق والاستدلال العلمي الصحيح، بأن يُطبقها على كل موجود ويلتزم بلوازمها. فلا أدري هل تنبه لخطر تلك الحكاية ، وأنها ستقضي عليه وعلى كل موجود أيضا ، أم أنه لم ينتبه إليه ؟؟!!.

فمن ذلك يمكننا أن نقول :إنه كان من الممكن أن الله تعالى لا يبعث أي نبي، وهذا يعني أن علاقة الله بالبشر كانت ستكون مغايرة لما حدث. وهذا يعني أن وجود الأنبياء كان عرضيا وليس ذاتيا!!. و من ذلك أيضا إنه كان من الممكن أن الله تعالى لا يتخذ الإسلام دينا، ولا يرسل أنبيائه به ، وهذا يعني أنه سبحانه ربما كان يتخذ دينا آخر، أو لا يتخذ أي دين !!. مما يعني أن الإسلام بكامله دين عرضي، و ليس دينا ذاتيا!!.

وإنه كان من الممكن أن لا يجعل الله تعالى خاتم الأنبياء من العرب، وهذا يعني أن محمدا كان من المُمكن أن لا يكون نبيا!! ، مما يعني أن وجود محمد النبي كان وجودا عرضيا لا ذاتيا !!.
وإنه كان من المُمكن أن لا يخلق الله تعالى هذا العالم، ويخلق مكانه عالما آخر مغايرا لعالمنا هذا ، مما يعني أن وجود العالم الذي نراه الآن بكل مخلوقاته له وجود عرضي وليست ذاتيا!!.
و أخيرا إنه كان من المُمكن أن لا يقول الباحث عبد الكريم سروش بحكاية الذاتيات العرضيات في تفسيره للظواهر الشرعية والبشرية، ويقول بنظرية أخرى يُفسر بها تلك الظواهر. وهذا يعني أن قول سروش بحكاية العرضيات و الذاتيات هو أمر عرضي لا ذاتي، ولا يصح الأخذ به!!.
وأما من ناحية حقيقة الأشياء في ذاتها فلا يُوجد شيء منها يُسمى عرضيا ،و آخر ذاتيا ، وإنما كل شيء بما أنه موجود فهو ذاتي أصلي و ليس عرضيا. لكن يُمكن أن يُوصف الشيء بأنه ثانوي أوعرضي بالنسبة إلى غيره وموقعه ودوره الذي يقوم به. لكن هذا لا يُغير من حقيقته شيئا من أنه سيبقى أصلي الوجود و ليس عرضيا.

وبناء على ما ذكرناه، فماذا يتبين لنا من نقدنا لتلك المقولة؟؟!! إنها مقولة وهمية هادمة للشرع والعقل والعلم، بل وهادمة أيضا للعالم بأسره. ليس لأنها صحيحة،و إنما لأنها خاطئة ولا تصلح لتفسير الظواهر التي فسرتها. بل لا تصلح بأن تكون دليل كُليةً ، لأنها لا تحمل دليلا أصلا، وإنما هي مجرد احتمال نظري فقط .ومن يستخدمها يمكن أن تُستخدم ضده لتدميره ونقض كلامه من أساسه. والأمر الذي يُسمى ذاتيا يُمكن أن نحوله عرضيا ، ومن ثم تسقط المقولة، و تفقد ذاتيتها ووظيفتها.

علما بأن كل مخلوق يُمكن أن نفترض في حقه احتمالات نظرية كثيرة مُمكنة في حقه تتعلق بوجوده وصفاته، لكن ليس كل ما هو يُمكن أن يحدث يجب أن يحدث في الواقع. وبما أن الأمر كذلك فلا يصح الاعتماد على الإمكان النظري، وإنما علينا النظر إلى الموجود كما هو في الواقع ،فهل هو قابل للتغيير؟، وهل يُمكن تغييره ؟. فإذا لم يكن قابلا لذلك،ولا يُمكن

تغييره فلا يصح القول: إنه يتصف بصفات عرضية، وأخرى ذاتية. و إنما الصحيح أن نقول: إن كل صفاته هي صفات ذاتية أصلية.

فالرجل بنى موقفه في قوله بتلك الحكاية على احتمالات نظرية ليست ضرورية الحدوث لنفي موجودات حقيقية في الواقع. وهذا لا يصح، ولكي يحدث لابد من التأكد أن الاحتمال النظري سيحدث، وأن الموجود المتعلق به، قابل للتغير،ويُمكن تغييره. وبهذا يسقط المبرر النظري الذي اعتمد عليه الرجل في قوله بحكاية العرضيات والذاتيات، وتسقط معه خرافة قوله بعرضيات دين الإسلام وذاتياته!!.

وثالثا إن قوله عن القرآن: ((وبعبارة أخرى أنّ القرآن بإمكانه أن يكون أقلّ أو أكثر من القرآن الفعلي ورغم ذلك يبقى القرآن قرآناً لأنّ القرآن قرآن بذاتياته لا بعرضياته)). فهو كلام باطل، وفيه تغليط وتلبيس. لأن القرآن بما أنه كلام الله فهو بالضرورة كله حقائق أصلية ولا عرضيات فيه .وبما أنه سبق أن بينا أن كل موجود فهو ذاتي وأصلي الوجود و ليس عرضيا، فهذا يعني أن قوله بوجود عرضيات في القرآن غير صحيح. وليس صحيحا أن القول بالعرضيات لا ينفي وجود الذاتيات في القرآن . و إنما الرجل أخفى ذلك و لم يُفصح عنه لغاية في نفسه، أو لعدم تنبهه إلى ما يترتب عن قوله بخرافة العرضيات في القرآن من نتائج قد تنقلب عليه، وتدمر كل شيء. لأن قوله بها ينتهي إلى جعل القرآن كله عرضيات، بحكم أننا يُمكن أن نقول: بما أن القرآن كلام الله، و كان من الممكن أن لا يتكلم به الله ولا ينزله،أو يُنزل مكانه كتابا آخر ، فهذا يعني أن القرآن كله عرضيات ولا ذاتيات فيه !! فهذا هو الذي أخفاه الرجل، وهذا الباطل أوصلت إليه خرافة الذاتيات والعرضيات التي قال بها المؤلف!!.

ونفس الكلام ينطبق على موقفه من الحوادث والشخصيات الفاعلة في القرآن ، فقال: ((إنّ الحوادث التي وقعت في تاريخ الإسلام، سواء في زمن صدر الإسلام أو بعد ذلك، كلها من العرضيات وكان من الممكن أن لا تقع، ولهذا لا يمكن اعتبارها أصلاً من أصول العقائد، وبشكل عام فإنّ دور الشخصيات والرموز الدينية في عمق المنظومة الدينية (سوى شخصية النبي التي تعتبر من ذات الدين) كلها أمور عرضية وخاضعة في وجودها

وحركتها للمناسبات والاتفاقات التاريخية))[1].و هذا كلام باطل كما سبق بيانه، ولا يصح توقفه عند شخص النبي- عليه الصلاة والسلام- لأن المنطق يفرض عليه تطبيقه على كل إنسان، وفي كل الأحوال وليس حسب رغباتنا ومصالحنا. فلماذا لا نطبقه على الجميع؟! . إنه لا يُوجد أي مانع ، ولا يُوجد أي دليل صحيح يجعل أمرا ما ذاتيا، وآخر عرضيا!!. و عليه فإنه كان من الممكن أن لا يبعث الله محمدا رسولا، ومعظم أنبيائه من بني إسرائيل، فكان من الممكن أن يكون نبيه الخاتم منهم .و هذا يعني أن وجود النبي محمد هو وجود عرضي،وليس ذاتيا. وهذا خلاف ما قاله الرجل. ونحن قد ناقشناه بناء على حكاية العرضيات في دين الإسلام ، وإلا فهي خرافة من خرافات الرجل.

و أُشير هنا إلى أن قول الرجل بالعرضيات في تفسيره للحوادث هو قول يندرج ضمن قوله بالتاريخية التي سبق أن ذكرنا موقفه منها. والتي تعني أن كل حادث محكوم بظروفه التي ظهر فيها، فإذا تغيرت ظروفه فقد هذا الحادث مبرر وجوده كحادث فاعل في الحاضر، وإنما أصبح من التاريخ ،ويُمكن الاستغناء عنه وإحالته على التقاعد .وحسب حكاية الرجل ، فإذا قلنا: هذا الكائن له صفات عرضية، فهذا يعني أنه سيفقدها إذا تغيرت ظروف وجوده. وإذا قلنا: هذا الكائن كل صفاته عرضية، فهذا يعني أنه سيفقد وجوده كليةً إذا تغيرت ظروف وجوده!!. بمعنى آخر إن تغير الظروف هو الذي يُفقد الكائنات صفاتها العرضية. وأما المقياس الذي نحدد به الصفات العرضية من الذاتية، فهو الإمكان النظري للتغير حسب زعم الرجل، وقد سبق أن ناقشناه في هذا الأمر وبينا تهافته وبطلانه شرعا وعقلا وواقعا.

والموقف الثاني يتعلق بذاتيات دين الإسلام في نظر المؤلف، فقال: ((وهذه الذاتيات عبارة عن: 1 ـ إنّ الإنسان عبد وليس إلهاً (عقيدة) 2 ـ إنّ السعادة الأخروية أهم هدف للحياة لدى الإنسان وأهم غاية أخلاقية دينية (أخلاق) 3 ـ إنّ حفظ الدين والعقل والنسل والمال والنفس تمثّل أهم مقاصد الشارع في الحياة الدنيوية (فقه))[2].

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 68-69.
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 69.

وأقول: سبق أن ذكرنا أن دين الإسلام كله أصلي وأصيل،و لا يصح تقسيمه إلى ذاتي وعرضي كما زعم الرجل ،وبينا بطلان فكرته هذه شرعا وعقلا، و نحن هنا لا نعود إلى مناقشته فيها، إنما نقلِبُها عليه، ونبين تهافت قوله بهذه الفكرة أصلا، وأنه يُمكن أن نوجهها ضده، وندمر بها أي شيء، لأنها لا تصلح أن تكون دليلا أصلا، وأن قوله بها غير صحيح.

فالذاتي الأول" إنّ الإنسان عبد وليس إلهاً " يُمكن أن يرد بقولنا: لكن بما أن الإنسان من مخلوقات الله العاقلة والحكيمة ،والقادرة على التأثير في الواقع فكان من الممكن أن يجعله الله إلهاً في الأرض تابعا له بدلا من يكون خليفة في الأرض، فالله إله مخلوقات العالم غير الأرضي ،و الإنسان إله مخلوقات العالم الأرضي ، فيكون هو معبودها . وبما أن هذا مُمكن الحدوث عقلا، فالقول بأن الإنسان عبدا و ليس إلهاً هو أمر عرضي و ليس ذاتيا!!!.

و أما الذاتي الثاني: "إنّ السعادة الأخروية أهم هدف للحياة لدى الإنسان وأهم غاية أخلاقية دينية". فيُمكن أن يُرد بقولنا: إن ذلك جيد ، لكنه ليس في صالح كل البشر، وعليه فكان من الممكن أن يجعل الله كل البشر سعداء في الدنيا، من دون أن يخلق لهم الجنة ولا النار في الآخرة. و كان من الممكن أن يُسعد عباده الأتقياء في الدنيا ويُعذب الآخرين في الدنيا دون الحياة الأخروية . وكان من المُمكن أن تكون الجنة والنار على طريقة القائلين بتناسخ الأرواح ، فالناس الطيبون يلتحقون-عند موتهم- بالأرواح الخيرة والجميلة ،والخبيثون منهم يلتحقون- عند موتهم- بالأرواح الشيطانية والشريرة ، من دون أن يُجمع الناس ويُحاسبون يوم القيامة، و يقرر مصيرهم ، إلى الجنة أو إلى النار، ولا توجد بينهما منزلة بين المنزلتين. بما أن هذه الاحتمالات كلها مُمكنة، فوجود السعادة الأخروية في الإسلام أمر عرضي وليس ذاتيا حسب تقسيم الرجل لذلك!!!!.

وأما الذاتي الأخير"إنّ حفظ الدين والعقل والنسل والمال والنفس تمثّل أهم مقاصد الشارع في الحياة الدنيوية". فيُمكن رده بقولنا: بما أنه لا حياة للإنسان في هذه الدنيا من دون أن يُحافظ على عقله ونسله،وماله ونفسه، فهذا يعني أن الحفاظ على ذلك هو من ضروريات الحياة وبديهيات العقول. وبما أن الأمر كذلك، فلا يحتاج الإنسان من الدين أن يحثه على ذلك ويجعله من ذاتياته، بل ويُمكنه أن يستغني عن ذلك تماما. و بما أن هذا مُمكن فالأمر بتلك المقاصد ليس من ذاتيات الدين، وإنما هو من عرضياته!!.

وأما عن حفظ الدين، فيُمكن أن يُقال: بما أن الله تعالى فرض على البشر عبادته، ودين الإسلام جاء لتعبيد العباد لرب العباد من دون شرك ، فهذا يعني أن مقصد حفظ الدين هو من ضروريات الإسلام، ومن بديهيات الإيمان عند المسلمين. مما يعني أنه يُمكن الاستغناء عن تركيز الدين عن مقصد حفظ الدين، بل وحتى عن ذكره، لأنه سيتحقق بالضرورة والبديهة . وبما أن الأمر كذلك، فهذا يعني أن ذكر مقصد حفظ الدين في الشرع هو ذكر عرضي و ليس ذكرا ذاتيا.

لكن هل تلك الصفات التي جعلها المؤلف من ذاتيات الإسلام ، وقد بينا أنها ليست كذلك في ردنا عليه، هل هي عرضية أم ذاتية ؟، وإذا كانت ذاتية فكيف تمكنا من الرد عليه،وبينا أنها عرضية وليست ذاتية ؟؟!!. وأين الخلل في استدلاله؟؟.

وأقول: إن الوحي الإلهي- دين الإسلام- كله علوم وحقائق، وهو ذاتي أصلي بأصوله وفروعه، ولا توجد فيه عرضيات أصلا. و قد تمكنا من الرد عليه وقلب موقفه ضده، لأنه أخطأ في منطلقين أساسيين: الأول إنه انطلق من موقف مفاده أن الحوادث والموجودات التي في الواقع كلها قابلة للتغير، ومن ثم فهي تتصف بصفات عرضية. وهذا خطأ ،لأنه ليس كل موجود قابل للتغير، و لا كل قابل للتغير يجب أن يتغير.

والمنطلق الثاني مفاده أن المؤلف انطلق في قوله بعرضية الصفات بناء على الاحتمال النظري القائل بإمكانية حدوث التغير في الموجود الذي في الواقع. وهذا خطأ ، لأنه ليس كل ما يُمكن أن يقع من الناحية النظرية، يجب أن يقع في الواقع المشهود. وإنما لابد من توفر الدليل الذي يُثبت بأن هذا الاحتمال حدث حقا في الواقع، وإلا لا يصح الاعتماد على مجرد الإمكان النظري. فالرجل أخطأ في موقفه من الوحي الإلهي-دين الإسلام- وأخطأ في استخدامه لمنهج الاستدلال.

والموقف الثالث هو تابع للسابق، والمتعلق بخرافة عرضية معظم مكونات دين الإسلام، وهنا ختم المؤلف موضوعه بكلام عام قسم فيه الإسلام إلى قسمين، فقال: ((الإسلام العقائدي يمثّل عين الذاتي، والإسلام

التاريخي يمثّل عين العرضيات، والمسلم إنّما يكون مسلماً إذا التزم بالعقائد التي تمثّل الذات للدين، والمعرفة الدينية في الحقيقة تتلخص في معرفة الذاتيات وتمييزها من العرضيات))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، بناه على خرافة العرضيات في دين الإسلام، وقد سبق أن بينا بطلان قوله بهذه الخرافة، فلا نعيد ذلك هنا. وإنما نبين هنا فساد ما ذكره في كلامه هذا. إنه أولا لا يصح أن يُقَسّم مُضمون الإسلام حسب أهواء ورغبات ومذهبيات الباحثين، لأن من يفعل هذا فهو ليس باحثا موضوعيا طالبا للحقيقة، وإنما هو باحث ذاتي مُتعصب همه الانتصار لمذهبيته بحق وبغير حق. و من هذا حاله فلا قيمة علمية لما يقوله عن دين الإسلام.وعليه فيجب أن يُقسم مضمون الإسلام ليس كما زعم الرجل، إنما انطلاقا من الإسلام نفسه، فهو الذي يُعرفنا بنفسه، وبأصوله وفروعه،و منطلقاته وغاياته. فماذا يقول الإسلام عن نفسه؟؟.إن الإسلام هو دين الله تعالى المُتضمن في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة الموافقة له. وهو دين كامل شامل للدنيا والآخرة ،ولا يقبل التجزئة ،ولا الانتقاء،ولا التعطيل، ولا تقسيمه إلى: إسلام عقدي ،و إسلام تاريخي.قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19)، و(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء : 65)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)، و(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153).

وثانيا إنه لا يوجد في دين الإسلام قسم منه يُسمى : الإسلام التاريخي، بمعنى أنه قسم فقد صلاحياته، لأنه من عرضيات الدين التي عطلها و أبطلها التطور التاريخي حسب زعم الرجل، فهذا زعم باطل. نعم لدين الإسلام تاريخ سجل الحوادث المتعلقة بتاريخ الوحي الإلهي من بداية نزوله إلى ختامه من جهة، وله تاريخ آخر يتعلق به من ناحية مدى التزام المسلمين به منذ زمن النبوة إلى يومنا هذا. وأما الإسلام كمضمون فهو ليس

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 71.

دينا تاريخيا في أي جانب من جوانبه، وإنما هو دين عالمي ختم الله تعالى به رسالاته السماوية ، وجعله صالحا لكل زمان ومكان. فهو دين حي لا يموت حتى وإن فرّط المسلمون في تطبيقه، فهو كذلك رغم أنف عبد الكريم سروش وأمثاله.

وثالثا يتبين من كلام المؤلف أنه أفصح عن الغاية التي كان يريد الوصول إليها من حكاية الذاتيات والعرضيات في دين الإسلام. فالرجل كانت له غاية مذهبية يريد الوصول إليها باستخدام تلك الحكاية. وهي الوصول إلى هدم الإسلام وعلمنته- من العَلْمانية لا العِلم- فالإسلام التاريخي عند الرجل قصد به الشريعة الإسلامية بمعناها الواسع. فهي حسب زعمه من عرضيات الإسلام، و من ثم تجاوزها التطور التاريخي فأصبحت في ذمة التاريخ،ولا تصلح لغير زمانها. و النتيجة أنه لم يبق للإسلام إلا جانبه العقدي لا العملي التطبيقي. وهذا الذي تريده العلمانية من الدين عامة ،و الإسلام خاصة. فبما أن العلمانية ديانة أرضية-بلا إله ولا آخرة-، لها عقائدها و منهجها في الحياة، فهي لا تريد من الإسلام أن يكون دينا ودولة، عقيدة وشريعة موجهة للحياة، وإنما تريد منه أن يكون مجرد عقيدة قلبية بلا شريعة، لتتولى هي توجيه الحياة العملية بكل جوانبها. وهذا الأمر هو الذي أخذ عبد الكروم سروش على نفسه القيام به بكل ما لديه من قدرات فكرية لينتهي إلى تقرير كلامه السابق الذي عطل شريعة الإسلام و أبقى جانبه العقدي، لتحل العلمانية محل الشريعة الإسلامية.

وأُشير هنا إلى أن المؤلف قد تعمد الافتراء على دين الإسلام ومخالفته وتحريفه بطريقة مفضوحة تجعل القارئ مُتعجبا ومُتحيراً من أمر هذا الرجل كيف بلغ به تعصبه إلى فعل ذلك؟؟!!.إنه زعم أن الإسلام يتكون من قسمين: الإسلام العقدي، والإسلام التاريخي. و هذا زعم باطل وافتراء على دين الإسلام كما سبق أن بيناه.

ومن ذلك أنه زعم أن المسلم إنما يكون مُسلما إذا التزم بالجانب العقدي من الدين. وهذا زعم باطل، وفتوى غريبة، وافتراء مُتعمد ومفضوح على دين الإسلام، يعرف بطلانه عامة المسلمين قبل خاصتهم!!. قال تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات: 15)، و(إِنَّ الَّذِينَ

آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة : 277)،و((فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء : 65)، و(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)(المائدة : 49)، و(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(المائدة : 50).فواضح من ذلك أن المسلم لا يكون مُسلما – في الظروف العادية- إن لم يجمع بين أصول الإسلام و مُقتضياته التطبيقية في الواقع.

ولاشك أن ذلك العمل الذي قام به سروش هو عمل باطل شرعا وعقلا. إنه باطل شرعا لأنه مخالف لدين الإسلام الكامل الشامل والجامع للدارين: الدنيا والآخرة ،وهذا أمر سبق أن بيناه وأكدنا عليه مرارا فلا نعيده هنا. وباطل عقلا لأن الرجل قال بذلك الزعم انطلاقا من قوله بحكاية العرضيات في الإسلام، و نحن قد ناقشناه في قوله بهذه الحكاية وبينا فسادها شرعا وعقلا،وأنها ما هي إلا وهم من أوهام الرجل ،وخرافة من خرافاته. وهو من جهة أخرى قد قام بعمل تحريفي تغليطي وإجرامي في حق الإسلام وأهله،و في حق العقل و العلم أيضا.لأنه تعمد تحريف الشرع و التلاعب به، وفرض رغباته ومذهبيته عليه، واستخدم منهجا استدلاليا فاسدا لتحقيق غايته العلمانية التي خطط لها سلفا،وأفصح عنها صراحة في كلامه السابق.

فلماذا قام هذا الرجل بذلك العمل التحريفي الإجرامي ؟؟!!. نعم من حقه أن ينتصر لأفكاره ومذهبيته ، لكن ليس من حقه أن ينتصر لها بالباطل والتحريف والتغليط. فهو قد انتصر لها بغير حق، و بلا دليل صحيح من الشرع ،ولا من العقل،ولا من العلم. ولو كان موضوعيا صادقا مع نفسه ودينه ما أقدم على ذلك الفعل المخالف للشرع والعقل. ولو أنه تفرّغ لعلمانيته، و ترك دين الإسلام لحاله لكان أحسن له!!.

والموقف الأخير- الرابع- مفاده أن المؤلف تساءل: هل الدين جاء بالحد الأكثر أو الأدنى في مجال العقائد والمعارف الإلهية ؟، فكان مما أجاب به :

((إنّ أحد المعضلات الكلامية المهمّة للفكر الإسلامي هي مسألة «كلام الباري» فجميع المسلمين يعتقدون أنّ الله تعالى قد تحدّث مع أنبيائه ورسله، إلاّ أنّ الكلام كله في أنّ الله كيف يتكلم؟ ونفس هذه المشكلات الكلامية نجدها في اللاهوت المسيحي أيضاً، وهذه النزاعات الفكرية لم تجد لها حلاً نهائياً إطلاقا، فلماذا وقعت هذه النزاعات والبحوث على مستوى العقائد الدينية؟ أليس في ذلك دلالة على أنّ المتون الدينية لم توفر إجابة واضحة لعلامات الاستفهام التي يطرحها الحكماء والمتكلمون؟))[1].

وأقول: ليس الأمر كما قال الرجل،و كلامه هذا غير صحيح في معظمه.لأنه أولا يجب أن لا يغيب عنا أن علم الكلام الذي عند المسلمين (بمنطلقاته وأصوله وغاياته) لم ينشأ نشأة طبيعية صحيحة، ولم تكن له أسباب علمية موضوعية مشروعة نبعت من صميم علم العقائد الشرعية، ولا من أسئلة العقل البديهي، وإنما نشأ بسبب الخلافات السياسية والقبلية و المصلحية بين المسلمين في الفتنة الكبرى وما بعدها. فهي نشأة لعبت بها الأهواء والعصبيات والمذهبيات، وليست نشأة طبيعية. فلم تكن نشأة بريئة في مُنطلقاتها،ولا في غايتها ، ثم بعدها تكونت الفرق و المذاهب ،وأصبح لكل طائفة مذهبها الذي يُمثلها ويُدافع عنها في أصول الدين وفروعه. وعليه فإن معظم علم الكلام الذي عند المسلمين غير بريء ، ويفتقد إلى الشرعية الدينية والعقلية والعلمية بسبب انحرافاته المنهجية وكثرة أخطائه الشرعية والعقلية[2]. ولهذا فأن أن أكثر الخلافات في هذا العلم ليس سببها أن الإسلام ليس فيه الإجابات والحلول لتلك الخلافات،و إنما سببها انحراف ذلك العلم عن الإسلام في معظم أصوله وفروعه ونتائجه.

وثانيا يجب أن نعلم أنه ليس كل ما يطرحه علم الكلام –أو غيره من العلوم- من أسئلة هي أسئلة مشروعة ولابد لها من إجابات. فقد يكون السؤال مشروعا شرعا وعقلا، ومُفيدا في الدين والدنيا معا . قال تعالى: (فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل : 43)).و قد لا يكون مشروعا لانحرافه المنهجي، أو لضرره ، أو لعدم القدرة على التحقق منه ، أو لأن ضرره أكثر من نفعه .... قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 93.

[2] للوقوف على نماذج من ذلك أنظر : خالد كبير علال: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث.و كتاب: جناية المعتزلة على العقل والشرع، و الكتابان منشوران ورقيا وإلكترونيا.ي

اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ)(المائدة : 101) . وعليه فإذا لم نجد في الدين إجابة واضحة عن قضية ما، فهذا لا يعني أن الدين فرّط في ذلك، أو أنه ناقص، وإنما قد يعني ذلك أن الإنسان هو الذي أخطأ في الفهم فلم يصل إلى الجواب الصحيح ،أو أن الإجابة عنه غير ضرورية، أو أن الشرع تركها للإنسان ليبحث عنها بنفسه، تنشيطا و توظيفا لقدراته العقلية والروحية والبدنية.

وثالثا إن موضوع صفة الكلام التي وصفها المؤلف بأنها أحد المعضلات الكلامية المهمة في الفكر الإسلامي . فالأمر ليس كذلك أبدا، لأن هذه الصفة هي مهمة في أمر واحد فقط ، هو: هل الله تعالى يتكلم أم الله ؟. و بما أن الله ذكر صراحة أنه يتكلم ، فالأمر قد حُل و لم يصبح قضية ولا إشكالا،ولا مُعضلة .قال سبحانه : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة : 30)،و(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى : 51)،و(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(القصص : 30)،و(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً)(النساء : 164).

وأما السؤال عن: كيف يتكلم الله تعالى ؟، فهذا سؤال غير مشروع لأن الله تعالى لم يُرد لنا معرفة ذلك، ولأنه سبحانه ليس كمثله شيء، والعقل البشري بطبيعته وخصائصه لا يُمكنه أن يدرك خالقه،ولا كيفية كلامه. ولأن هذا الموضوع ليس مما يهم الإنسان في حياته الدنيوية، فهو مُكلف بأن يعبد خالقه وفق شرعه، فعليه أن يجتهد بكل إخلاص واجتهاد للقيام بهذه المهمة،ولا يشغل نفسه بفضول العلم،ولا بالأمور التي لا يُمكنه إدراكها.

فدين الإسلام جاء بالجواب الصحيح والكافي والشافي المُتعلق بصفة الكلام، وبغيرها من الصفات، ولا يُوجد فيه نقص ولا إهمال، ولا ترك أسئلة مشروعة و يحتاجها الإنسان بلا جواب. وإنما الخلل في هذه القضية جاء من علماء الكلام الذين انحرفوا عن الشرع والعقل في موقفهم من هذا الموضوع.

ورابعا لا يغيب عنا أن معظم القضايا الكلامية التي اختلف حولها المتكلمون، سببها الأساسي والمباشر هم المتكلمون أنفسهم ،و ليس أن الشرع لم يوفر ((إجابة واضحة لعلامات الاستفهام التي يطرحها الحكماء والمتكلمون))، على حد زعم المؤلف. فهذا زعم باطل مردود على صاحبه، لأن هؤلاء المتكلمين كان الغالب عليهم أنهم ينظرون إلى قضايا علم الكلام بخلفياتهم المذهبية والمصلحية، ولم ينظروا إليها بمنهج الشرع الصحيح، ولا العقل الصريح،ولا العلم الصحيح[1]، مع أن الشرع قد أجاب عنها وبينها بوضوح !!.

وأبرز مثال على ذلك مسألة الصفات التي اختلف حولها المتكلمون،و قسمت الأمة إلى طوائف متناحرة و مُتصارعة، وحدثت بسببها فتن مُدمرة ، وتبادلت الفرق الكلامية التكفير والاتهام بالتجسيم ،والتشبيه والتعطيل،و التكييف. وهي في الشرع واضحة وضوح الشمس،ولا يوجد فيها أي إشكال لمن أخذها من الشرع بمنهجه الصحيح، ومن دون خلفيات و شبهات مذهبية، ومصالح طائفية. فالله تعالى وصف نفسه بصفات كثيرة، كقوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)(طه : 5)،و(أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)(الملك : 16)،و(قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى)(طه : 46)،و(وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً). لكنه من جهة أخرى أخبرنا سبحانه أن اتصافه بتلك الصفات وغيرها لا يعني أنه مُشابه لمخلوقاته، لذا فلا يصح النظر إليه من خلال صفاتهم، وإنما النظر إليه سبحانه من خلال ذاته وصفاته المخالفة لمخلوقاته. فهو سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ)(الشورى : 11)،و(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ)(الإخلاص :1-4)،و(وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)(الأعراف : 180)،و(فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)(النحل: 74). فهل يُوجد في هذه الآيات إشكال؟؟ إنه لا إشكال فيها قطعا لمن أحسن الفهم . أليس الشرع قد جمع بين الإثبات والتنزيه بطريقة صحيحة؟ أليس القول بوجود مُشكلة صفات في الشرع ، هو زعم باطل وافتراء عليه؟؟!!. أليس أن الذي حدث بين المتكلمين من

[1] كلامي هذا أنا مُتأكد منه ، وقد أقمت الدليل على صحته في بعض كتبي ، منها: الأزمة العقيدية بين الأشاعرة وأهل الحديث.و كتاب: جناية المعتزلة على العقل والشرع . و منهج أهل الحديث في الرد على المُتكلمين . و هذه الكتب منشورة ورقيا وإلكترونيا.

اختلاف ونزاع حول الصفات هم السبب فيه وليس الشرع؟؟!!. إن الإسلام دين كامل وشامل جاء بكل ما يحتاج إليه البشر في كل مجالات الحياة دون استثناء، لكن هذا لما لم يُعجب هذا الرجل سعى جاهدا لشل دين الإسلام وهدمه بخرافة العرضيات والذاتيات التي أقامها على التاريخية.

وختاما لهذا الفصل يتبين أن الكاتب عبد الكريم سروش بنى مواقفه السابقة على منهج استدلالي غير صحيح. لأنه أقامه على رغباته ومذهبيته على حساب الشرع الصحيح و العقل الصريح من جهة. و بناه على قوله بحكاية عرضيات دين الإسلام وذاتياته الوهمية والخرافية من جهة أخرى. مما يعني أن المؤلف قد تعمد الافتراء على دين الإسلام ومخالفته وتحريفه بطريقة مكشوفة تجعل القارئ مُتعجبا ومُتحيراً من أمره ، كيف بلغ به تعصبه إلى فعل ذلك؟؟!!.

واتضح أيضا أن تطبيق المؤلف لقانون التاريخية على دين الإسلام، كان خطأ فاحشا أقامه أساسا على القول ببشرية المصدر القرآني انطلاقا من رغباته وخلفيته المذهبية.وقد ناقشناه في ذلك أثبتنا بأدلة قطعية ودامغة أن دين الله تعالى لا يُمكن أن يكون بشريا ولا محكوما بحكاية التاريخية. وأن القرآن الكريم هو كلام الله سواء نزل دفعة واحدة أو مُفرقا، وليست أسباب النزول هي التي أنزلته ولا هي المُتحكمة فيه، وإنما هو الذي أوجدها بحكم أنه هو الذي أوجد الدعوة الإسلامية بكاملها، و المُهيمن عليها، والموجه لها، والمُتحكم فيها.

وتبين أيضا أن القرآن الكريم لم يكن وليد الظروف الطبيعية والبشرية التي كانت سائدة في بلاد العرب وخارجها.ولا كان نتاجا ،ولا انعكاسا ،ولا تطابقا ،ولا تناسبا لظروف الوسط العربي على حد زعم المؤلف. وقد تبين بالأدلة الدامغة أن مضامين القرآن الكريم بتنوعها و كثرتها، وحقائقها وإعجازها لا يُمكن أن تكون انعكاسا للمحيط العربي ولا العالمي، وإنما هي براهين وآيات بينات على أنها من عند الله تعالى.

وأخيرا فقد اتضح أن قول المؤلف بحكاية عرضيات الإسلام وذاتياته، وتقسيمه إلى: إسلام عقدي، وإسلام تاريخي، كان الهدف منه هو هدم دين الإسلام وعلمنته.لأن فصل الجانب التشريعي منه- العرضيات حسب زعم الرجل- بدعوى خضوعه للتاريخية يجعل الإسلام دينا له عقائد من دون

شريعة تجمع بين الدين والدولة، والدنيا والآخرة. ونحن قد ناقشناه في ذلك وبينا فساد منهجه وبطلان مزاعمه ولله الحمد.

....

الفصل الثاني
نقض قول المؤلف بأن التجربة النبوية هي مصدر الوحي الإلهي

أولا: نقض موقف المؤلف من النبوة وطريق معرفتها واكتسابها
ثانيا: نقض قول المؤلف بأن النبي هو مصدر الوحي:
ثالثا: نقض تسوية المؤلف بين الوحي والرؤيا:
رابعا: نقض موقف المؤلف في جمعه بين النبي والنبوة والله والكون:

نقض قول المؤلف بأن التجربة النبوية هي مصدر الوحي الإلهي

طرح المؤلف عبد الكريم سروش- في كتابه بسط التجربة النبوية- أفكارا ومواقف تتعلق بمصدر الوحي الإلهي، زعم من خلالها أن التجربة النبوية الذاتية للنبي محمد- عليه الصلاة والسلام- هي مصدر الوحي الإلهي- القرآن الكريم-. و هي من جهة أخرى لا تختلف في أصلها عن الأحلام التي يراها الناس في مناماتهم !!. فما تفاصيل ذلك ؟!. و ما حقيقة هذه المزاعم؟!. وكيف تعامل هذا الرجل مع النصوص الشرعية والشواهد العقلية والعلمية التي تُبطل مزاعمهم؟؟!!.

أولا: نقض موقف المؤلف من النبوة وطريق معرفتها واكتسابها:

اتخذ المؤلف مواقف كثيرة تتعلق بالنبوة ، خالف فيها الشرع مخالفة صريحة من دون أي دليل صحيح من الشرع، ولا من العقل، ولا من العلم. من ذلك أنه قد سبق أن ذكرنا أن المؤلف جعل الوحي الإلهي نتاجا لظروف الجزيرة العربية، لكنه من جهة أخرى جعله أيضا نتاجا لتجربة النبي الذاتية. فقال: ((عندما نقول إنّ هذه الأمور ترتبط بشخصية النبي فليس معنى ذلك أنّ النبي هو مخترع هذا الكلام، بل معناه أنّ هذا الكلام يرتبط بقدرته ورصيده المعنوي والمعرفي))[1].

وقوله هذا باطل لأن النبوة لا علاقة لها بشخصية النبي في اكتسابها، ولا في مضمونها، وإنما هي اختيار من الله لنبيه، وتكليم له بوحيه بواسطة أمين الوحي جبريل. ومن ثم فزعم الرجل باطل من أساسه ومردود عليه، لكن هذا الرجل المُحرف لا يمل من ترديد أباطيله وتلبيساته وتغليطاته انتصارا لرغباته ومذهبيته. ومن جهة أخرى فإن من الشواهد التي تُثبت صحة حكمنا هذا، هو أن الرجل نفى أمرا ، ثم عاد وأثبته بطريق غير مُباشر. لأن قوله: ((فليس معنى ذلك أنّ النبي هو مخترع هذا الكلام، بل معناه أنّ هذا الكلام يرتبط بقدرته ورصيده المعنوي والمعرفي)). يعني أن الوحي ليس من عند محمد-عليه الصلاة والسلام- وإنما هو من عند الله تعالى، وليس

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ،ص: 137.

للنبي فيه أي أثر ،ولا تدخل، ولا تصرف.و هذا هو الصحيح ، لكن الرجل عاد ونقض كلامه عندما قال: ((بل معناه أنّ هذا الكلام يرتبط بقدرته ورصيده المعنوي والمعرفي)). وهذا يعني أن الوحي الذي جاء به النبي مُرتبط بذات النبي من جهة قدراته ،وتجاربه النفسية والمعرفية . و معنى هذا أن الوحي نبع من ذاته، وهذا يتناقض مع نفيه من أن يكون النبي اخترعه. ويتناقض أيضا مع القرآن الذي نص صراحة على أنه وحي من عند الله ولم يكن للنبي-عليه الصلاة والسلام- أي دخل فيه، وإنما كان مُتلقيا فقط. فالرجل متلاعب، ومُتلون ، ومُغالط لغاية مذهبية في نفسه.

ثم أنه قال: ((ولكن بما أننا نعتقد أنّه نبي وأنّه يعيش بعض الحالات الروحانية وأنّه يعيش التسديد الإلهي، وهو مأمور بإيصال بعض التعاليم السماوية للناس، أضحى هذا الموضوع معقولاً وقابلاً للفهم ولا توجد مشكلة فيه))[1].

قوله هذا غير صحيح ، وفيه مخالفة صريحة للشرع في تعريف النبي. فالرجل سمى النبي-عليه الصلاة والسلام- نبيا، وذكر بعضا من صفاته ليست من صفات النبي الأساسية التي تثبت نبوته. وتكلم عن نبوة نبي الإسلام من دون أن يُعرفه بتعريف الإسلام للنبي والنبوة !!. وتفصيل ذلك أولا إنه ليس صحيحا أن النبي يعيش بعض الحالات الروحانية ، وإنما النبي حياته كلها لله، وهو أول المؤمنين والعابدين . ومن هذا حاله لا يُمكن أن يكون يعيش بعض الحالات الروحانية، و إنما حياته كلها روحانية مُنورة بنور الوحي. ولهذا قال له ربه:(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)، و(قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)(الزخرف : 81) .

وليس صحيحا أن من صفات النبي أنه كان يعيش التسديد الإلهي، وإنما الصحيح أنه كان يعيش أولا تلقي الوحي الإلهي وتطبيقه انطلاقا من قوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67)، و((قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ)(الزخرف : 81)،و(وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 138.

جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (الشورى : 52). ثم بعد تلقيه للوحي كان يعيش في جو من الربانية والنورانية برعاية وحماية وتسديد من الله تعالى .

وليس صحيحا أن نبيانا كان مأمورا بإيصال بعض التعاليم السماوية، فهذا افتراء مفضوح على الله ورسوله . وإنما كان مأمورا بتبليغ كل ما أنزله الله عليه من دين الإسلام. بدليل قوله سبحانه: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)(المائدة : 49)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18) . فعجبا من هذا الرجل كيف يتعمد مخالفة الشرع والافتراء عليه، ثم يطرح بدله رغباته ومذهبيته على أنها تُعبر عن الشرع ؟؟!!. فهذا تصرف ليس من الموضوعية ولا من العلم في شيء، وإنما هو من التحريف المُتعمد القائم على سبق الإصرار و الترصد.

وليس صحيحا أن كلامه أصبح معقولا ، وقابلا للفهم، ولا تُوجد فيه مُشكلة!!!!. بل كله مشكلات، ومخالف للشرع و العقل معا، ومُثير للاستغراب والتعجب من صاحبه الذي ترك الإسلام وراء ظهره، وتكلم عن نبي الإسلام برغباته ومذهبيته الفاسدة!!!!. إنه تكلم عن صفات النبي من دون دليل صحيح من الشرع، ولا من العقل،ولا من العلم، وإنما تكلم في ذلك برغباته ومذهبيته. فمتى كانت الرغبات والأهواء والمذهبيات أدلة صحيحة بذاتها؟؟!!. إنها لا تصح ،ولن تصح إذا لم تكن تحمل الدليل الصحيح من الوحي، أو من العقل ، أو من العلم.

وثانيا إن الرجل بذلك الكلام يكون قد اختلق نبوة على مقاسه انطلاقا من رغباته ومذهبيته، ولم يَكن في ذلك مُعبرا عن النبوة في الإسلام ولا عن نبيه، وإنما كان مُعبرا عن نبوة النبي الذي اختلقه عبد الكريم سروش الذي يتفق مع رغباته ومذهبيته!!!!.

ومن جهة أخرى فإنه يتبين من الصفات التي ذكرها الرجل أن كل البشر في إمكانهم أن يكونوا أنبياءً!!. لأن ما من إنسان إلا وينالـه التسديد الإلهي، وإلا ولـه لحظـات وجدانيـة روحانيـة، أو يسـتطيع أن يكتسبها بالمجاهدات والتأمل، وإلا ويستطيع أن يدعوا الناس ليس لبعض التعاليم السماوية، وإنما إلى كثير منها. ولهذا وجدنا الرجل زعم أن كل إنسان يستطيع أن يكون نبي نفسه من جهة. وسوى بين النبي والشاعر من جهة ثانية،و سوى بين وحي النبي والأحلام التي يراها الناس في مناماتهم من جهة ثالثة[1] !!!!.ولا شك أن هذه كلها مزاعم باطلة، بل وإنها من خرافات الرجل ، والذي لم يذكر عليها دليلا صحيحا من الشرع ،ولا من العقل، ولا من العلم . فقد رأيناه يُقرر أمورا انطلاقا من رغباته ومذهبيته، وكأنها أدلة بذاتها. وهذا ليس من الموضوعية ،ولا من الاستدلال العلمي في شيء.

والموقف الثاني مفاده أن المؤلف قال:((إنّ أول خصوصية للنبي هي أنّه يستمد تعاليمه السماوية بطريق الوحي وأنّه يرتبط بعالمه الباطني بالغيب، الخصوصية الأخرى هي أنّ النبي حافظ لأسرار الغيب، فالأنبياء كلهم حفظة السرّ...))[2].

وقوله هذا فيه حق وباطل، وفيه عدم دقة في التعبير، وانحراف عن منهج الاستدلال الصحيح .لأن الأصح في علاقة النبي بالسماء أنه يتلقى دين الله من عند الله تعالى بواسطة أمين الوحي جبريل. وهي في الحقيقة ليست تعاليمه، وإنما هي تعاليم الله تعالى، سواء وردت في القرآن الكريم أوفي السنة النبوة .قال سبحانه: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)،و(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)(المائدة : 49).

وأما حكاية أسرار الغيب فهذا كان على المؤلف أن يُثبته بالدليل الصحيح، ولا يصح أن يُقرره دون دليل. لأن هذا الأمر لا يثبت إلا بحجة صحيحة، ولن يستطيع أحد إثباته أو نفيه إلا الوحي الصحيح .وبما أن الرجل لم يذكر دليلا على موقفه، وأن الله تعالى نص صراحة على أن رسوله لا يعلم الغيب (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ

---

[1] سيأتي توثيق ذلك لاحقا .
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 166.

كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(الأعراف : 188) ،وأنه سبحانه هو وحده الذي يعلم غيب السموات والأرض وأسرارها ، لقوله سبحانه:(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)(النمل : 65). فإن هذا يعني أن الأنبياء ليسوا حافظين لأسرار الغيب، وليس عندهم من ذلك إلا بما أعلمهم الله به. قال تعالى: (وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً)(النساء : 113).

والموقف الثالث عبرّ عنه المؤلف بقوله: ((إنّ أدنى مرتبة للتجارب الدينية هي «الرؤيا الصالحة» وهناك مراتب أسمى منها في المكاشفات والأذواق والمواجيد العرفانية (ومن خلال هذا الطريق نحصل على اليقين في مسألة النبوة لا من خلال انقلاب العصا إلى حية أو شق القمر، لأنّ هذه الطرق لو لم تقترن بشواهد أخرى فمن المحتمل أن تكون من جنس السحر والخيال) ولذلك لا يمكن الاعتماد، لإحراز نبوة النبي، على المعجزة أو الشواهد والإسناد التاريخية والأخبار المتواترة بل يجب في البداية معرفة حقيقة النبوة ثم معرفة مصداقها الخارجي. فمن يقول: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» أو يقول: «من أصبح وهمومه همّاً واحداً كفاه الله همّ الدنيا والآخرة». فهذا القائل نبي، وهذا الكلام له رائحة الوحي وينبع من سرّ التجربة الدينية العميقة للنبي حيث ثبت صدق هذا الكلام بالتجربة مرات عديدة. وفي نظر الغزالي فإنّ الأشخاص الذين يمتلكون التجربة العرفانية فإنّ تجربتهم من جنس التجارب النبوية ولذلك يدركون معنى النبوة ويصدقون بذلك الكلام النابع من هذه التجربة ويفهمون ويعلمون مصدر هذا الكلام والمرتبة التي نالها المتكلّم. وعلى هذا الأساس فإنّ الطريق لمعرفة ماهية النبوة والتعرف على النبي مفتوح لكلّ إنسان. ومن العجيب أنّ النبي نفسه فتح هذا الطريق للآخرين)).

وأقول: إن كلامه هذا غير صحيح في معظمه، لأنه أولا إن القول بإمكان الإنسان أن يعرف حقيقة النبوة وماهيتها معرفة وجدانية ذوقية، هو قول لا يصح. لأن النبوة لا يتذوقها ولا يعرفها على حقيقتها إلا النبي ، وهذا لا يتحقق إلا لمن أختاره الله تعالى نبيا. قال سبحانه : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى : 51 ،)و(وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى

مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ)(الأنعام : 124)،و(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(الحج : 75) . وبما أن الأمر كذلك فإنه لا الزهاد ولا العُباد يعرفون حقيقتها بأذواقهم وأحوالهم ، ولا العلماء ولاالفلاسفة يعرفون ماهيتها بتحليلاتهم و نظرياتهم و تجاربهم. فهذا مطلب مُستحيل أن يصل إليه غير النبي. و كل ما يُمكن أن يصل إليه هؤلاء هو معرفة عامة عن النبوة: مُنطلقا، وخصائص، وآثارا . يصلون إليها بدليل الشرع، والعقل و التجربة الدينية. و لن يصلوا إلى تذوقها و معرفة حقيقتها معرفة مباشرة و كاملة.

وثانيا ليس صحيحا أن المكاشفات والمواجيد و الأذواق الصوفية- العرفانية- هي الطريق الموصل إلي اليقين في مسألة النبوة، خلاف الطرق الموضوعية الأخرى التي هي أدلة ظنية. فقد نسي الرجل أو تناسى أن كل طرق المعرفة لدى الإنسان نسبية، سواء كانت وجدانية، أو عقلية، أوبدنية . بمعنى أنها طرق ظنية تحتمل الخطأ والصواب ، ولا يُوجد من بينها طريق قطعي في نتائجه. وعليه فإن المواجيد و المكاشفات و الأذواق التي قد يحصل عليها العُباد والزهاد من مختلف المذاهب و الأديان، ليست يقينية في ذاتها ،ولا في نتائجها ، ويُمكن التشكيك فيها بسهولة. فقد تكون خليطا من الظنون والأهواء ، وقد تكون انعكاسات عاطفية ومرضية لما عليه هؤلاء من مجاهدات و معاناة ، وجوع و تعذيب للجسم . وكم من أحوال باطنية مرضية نتجت عن الممارسات الطقوسية التي يقوم بها النُساك من مختلف الملل !!. وقد تكون أحوالهم تلبيسات شيطانية لا رحمانية ، قال تعالى **:(** تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل : 63)،و(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53)، و(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)(الأنعام : 112). وقد تكون أحوال بعضهم أحوالا إيمانية صحيحة إذا كانوا مسلمين مؤمنين مُستقيمين.وفي هذه الحالة يُستفاد بها في معرفة

الأحوال الإيمانية وتذوّقها، لا أنها توصلنا لمعرفة حقيقة النبوة وتذوقها، فهذا لن يحدث لغير النبي.

وأُشير هنا إلى أن الأحوال الوجدانية-الطريق الصوفي- مع أهميتها و ضرويتها إذا كانت صحيحة ، فهي ليست يقينية في نتائجها ، وتبقى نسبية كغيرها من وسائل المعرفة الأخرى. وهذه الأحوال يجب أن تُكبح بلجام الشرع الصحيح، والعقل الصريح ، والعلم الصحيح، لكي تكون عامل بناء لشخصية المسلم الكامل، لا عامل هدم وتدمير له. لأنها إن تُركت بمفردها فستكون منزلقا خطيرا ، قد تنتهي بصاحبها إلى هدم الشرع والعقل والعلم، حتى أنه قد يصبح يقول: ((ثبُت في الوجدان ما يُنافض صحيح المنقول ،و صريح المعقول، وصحيح المعلوم !!). وهنا يكون قد جعل الشرع والعقل والعلم وراء ظهره، واتخذ رغباته وظنونه، وهواجسه ووساوسه مقياسا للحقيقة . وفي هذه الحالة تكون أحواله قد تحولت إلى أحوال شيطانية ، وستُهلك صاحبها لا محالة إن لم تتداركه الرعاية الإلهية.

علماً بأن الاستدلال الوجداني- الصوفي، العرفاني- عندما يكون صحيحا فمع قوته و أهميته فإنه لا يكفي وحده ،و يبقى ضعيفا من جهة قوة الإقناع . فإذا قال الصوفي المسلم: إني أجد في نفسي إحساسا بصدق نبوة نبي الإسلام. فقد يرد عليه الصوفي اليهودي بقوله: ليس كذلك، أنا أجد في وجداني إحساس بصدق نبوة نبي اليهودية، وبطلان نبوة كل أنبياء الأديان الأخرى. و يقول الصوفي النصراني : ليس كذلك، فأنا أجد في وجداني أن عقيدة التثليث هي العقيدة الصحيحة ، من بين كل العقائد !! . وقد يقول الصوفي البوذي : لقد تأكد لدي من تجربتي الوجدانية الصوفية أن ما يقوله أتباع الأنبياء غير صحيح ، وأنه لا فائدة من يوم القيامة،ولا من إرسال الرسل. و قد نجد صوفيا مُلحدا يقول: لقد تأكدتُ من تجربتي الوجدانية في العزلة والمجاهدة النفسية أن هذا الكون أزلي، ولا خالق له، ولا غاية منه!!. و هكذا ، فكل صوفي يتكلم عن تجربته من خلال خلفياته الدينية المذهبية. فأين الحق هنا؟ ، ومن هو الذي على صواب من بين هؤلاء؟؟ ، ومن الذي يستطيع إقناع الآخر بالدليل الموضوعي الصحيح ؟؟!!. إنه لا يُمكن أن يكونوا كلهم على صواب لأنهم متناقضون . فإما أنهم كلهم على خطأ ، أو

واحد منهم على صواب . لكن من هو الذي على صواب ؟!، و ما هو الدليل الموضوعي الذي يُثبت ذلك. لا يُوجد دليل موضوعي ملموس يُعتمد عليه للحكم بين هؤلاء انطلاقا من الدليل الوجداني !!.

فذلك هو الخلل الموجود في الدليل الوجداني الصوفي ، إنه دليل ذاتي محدود وقاصر،وعاجز عن إقامة الدليل الموضوعي الصحيح على صدق وصحة موقف من المواقف، أو دين من الأديان. كما أنه يُمكن أن يُرد بسهولة كما بينا أعلاه، وغير قادر على أن يطرح نفسه بطريقة موضوعية يُمكن التأكد منه . ولا هو قادر على أن يُقنع العلماء المطالبين بالبراهين والأدلة اليقينية والملموسة، والتي يُمكن اختبارها والتأكد من مدى صحتها. ولا قادر أيضا على أن يرفع التناقض الذي أشرنا إليه أعلاه .

فالدليل الصوفي ضعيف من داخله، فهو إن أقنع صاحبه، فإنه لا يستطيع أن يقنع صوفيا آخر مخالفا له في دينه ومذهبه. ولا يستطيع أن يطرح نفسه كدليل موضوعي يقنع به العلماء والعقلانيين. وهذا خلاف الأدلة الموضوعية من شرعية، وعقلية، وعلمية التي تطرح نفسها بطريقة ملموسة، و يُمكن مناقشتها والاحتكام إليها والتأكد من صحتها . وهذا ينقض زعم الرجل الذي أراد أن يُوهمنا بما ذهب إليه ، بتفضيله الدليل الذاتي على الدليل الموضوعي.

وثالثا إن الرجل أخطأ خطأ فاحشا عندما قزّم الآيات والبراهين المادية التي أيد الله تعالى بها رسله، كانقلاب العصا حية، و شق القمر. فلو لم تكن هذه الآيات براهين دامغة وكافية لنصرة الأنبياء، وإقامة الحجة على الكفار ما أيد الله بها رسله، وما جعلها حجته على المكذبين !!. ومثال ذلك انقلاب العصا حية تسعى، هذه المعجزة جعلها الله تعالى آية باهرة، وحجة دامغة على فرعون وقومه . فقد كانت معجزة مناسبة زمانا ومكانا ، في مجتمع بلغ فيه السحر شأنا كبيرا ، فتحداهم موسى- عليه السلام- بعصاه التي تحولت إلى حية تسعى بتأييد من الله تعالى، وبيّن لهم تهافت سحرهم. والدليل القطعي على صحة ذلك هو أن كبار السحرة استسلموا ، و اعترفوا بالحق، وآمنوا وقدموا أنفسهم شهداء لله بعدما تبين لهم الحق القطعي الدامغ . وأما فرعون فلم يُؤمن ليس لأن المعجزة ضعيفة، أو يُمكن التحايل عليها وتفسيرها تفسيرا آخر، وإنما أنكرها لأنه معاند وجاحد رفض أن ينصاع

للحق بسبب كفره وظلمه وطغيانه. فهو من الذين يصدق عليهم قوله تعالى: (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)(النمل : 14)،و(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ)(الأنعام : 33) .

وليس من الحكمة ، ولا من الشرع ،ولا من العقل أن يبدأ النبي دعوة الناس إلى ممارسة التعبدات الصوفية لكي يعرفوا حقيقة النبوة، وهم لا يُؤمنون بالنبوة أصلا ولا به نبيا !!!! . ولهذا وجدنا الله تعالى أيد أنبياءه بالآيات والبراهين الدامغات، وأمرهم أن يُجادلوا أقوامهم بالتي هي أحسن ، ويُبينون لهم معنى النبوة، وإمكانية حدوثها من جهة ، ويُذكرونهم بخالقهم ويُعرفونهم به من جهة أخرى. فكانت هذه هي أول الخطوات التي قام بها الأنبياء مع أقوامهم منهم نبينا محمد- عليه الصلاة والسلام-. فالذي لا يُؤمن بالله من العبث دعوته إلى الإيمان بالنبوة !! . والذي يُؤمن بالله و يُنكر إمكانية حدوث النبوة ، من العبث دعوته إلى الإيمان بنبوة نبي من الأنبياء !!. والذي يُؤمن بإمكانية حدوث النبوة ولا يُؤمن بأي نبوة ، من العبث دعوته إلى القيام بالطقوس التعبدية ليتأكد وجدانيا من صحة نبوة نبي من الأنبياء !!. وبناء على ذلك فإنه يجب معالجة كل حالة حسب طبيعتها والمرحلة التي فيها. وعليه فإن الذي لا يُؤمن بالله تعالى يحتاج إلى براهين موضوعية تجعله يُؤمن به. والذي لا يُؤمن بإمكانية حدوث النبوة لابد له من أدلة تُبين له إمكانية حدوثها. ثم عندما يُؤمن بإمكانية حدوث النبوة يحتاج إلى أدلة ملموسة وآيات بينات تُثبت له صدق الرجل الذي قال أنه نبي مُرسل من عند الله. فإذا آمن هنا يدخل مرحلة الالتزام بالأوامر والنواهي ، كممارسة الشعائر التعبيدية . قال تعالى: (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ)(التوبة : 17). في هذه المرحلة إن ظل المؤمن مُخلصا صادقا مُستقيما عابدا فإنه سيتذوق طعم العبادات، ويغمره الله تعالى بأنواره ، ويزداد يقينا بصدق دين الإسلام الذي آمن به.

تلك المراحل ليس بالضرورة أن يمر بها كل إنسان، وإنما هي مراحل قد يمر بها أناس ، ولا يمر بها غيرهم، فهي حسب أحوال كل قوم. وأما بالنسبة للفرد المسلم فالمطلوب منه أن يجمع بين المعرفيتين القلبية والعقلية.

فيصل إلى المعرفة القلبية بالإخلاص والصدق والالتزام بالعبادات والأوامر الشرعية الأخرى . ويصل إلى المعرفة العقلية بالاطلاع على البراهين الشرعية والعقلية والعلمية التي تدل على عظمة الله تعالى ،و على صحة دينه، وعلى عظمة و صدق نبيه. علماً بأن المعرفيتين مُتكاملتان ، وكل منهما يُوصل إلى الآخر، فهما وجهان لحقيقة واحدة ، هي معرفة الله تعالى معرفة صحيحة على منهج دين الإسلام.

فالأدلة والشواهد الملموسة من عقلية ،وعلمية ،وتاريخية ، وواقعية هي الأصل في معرفة الدين الحق، وهي التي اعتمد عليها ألأنبياء في دعوة أقوامهم إلى الإيمان بهم أولا. ثم بعد إيمانهم دعوا المؤمنين إلى التزام بالدين طاعة لله تعالى، وتزكية لنفوسهم ثانيا جمعا بين كل الأدلة العقلية والعلمية ،والواقعية والوجدانية على حد سواء.

ورابعا إنه قال:((بل يجب في البداية معرفة حقيقة النبوة ثم معرفة مصداقها الخارجي. فمن يقول: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم» أو يقول: «من أصبح وهمومه همّاً واحداً كفاه الله همّ الدنيا والآخرة». فهذا القائل نبي، وهذا الكلام له رائحة الوحي وينبع من سرّ التجربة الدينية العميقة للنبي حيث ثبت صدق هذا الكلام بالتجربة مرات عديدة)).

وأقول: سبق أن بينا أن الدعوة إلى معرفة حقيقة النبوة معرفة ذوقية وجدانية هو أمر لا يعرفه ولا يتذوقه إلا الأنبياء، وأما غيرهم من البشر فمستحيل أن يُدركوا ذلك. وليس صحيحا أن البداية تكون من معرفة حقيقة النبوة، فهذا كما بينا مُستحيل في حق البشر العاديين. وعليه فإنه يجب على من يطلب معرفة صدق إيمانه معرفة وجدانية عامة عليه أن يُؤمن أولا بالنبي ونبوته ،وهذا لا يتأتى إلا بطلب البراهين والآيات الملموسة و المشهودة .لأن المعرفة الخارجية القائمة على البراهين الموضوعية الصحيحة هي الخطوة الأولى في التجربة الدينية ومعرفة الدين الحق ، وليست هي الثانية كما زعم الرجل. فهل يُعقل أن يجتهد إنسان لمعرفة وتذوق صدق نبوة نبي من الأنبياء، وهولا يُؤمن بإمكانية حدوث النبوة، أو لا يُؤمن أصلا بنبوة ذلك النبي؟؟!!. وإذا آمن بنبوته هل يُمكن أن يُؤمن بها من دون براهين مادية مشهودة؟؟!!. فهذا لا يُمكن، فإذا أراد إنسان معرفة وتذوق صدق نبوة نبي من الأنبياء ، فهذا يعني أنه يُؤمن به بأنه نبي أولا،

وهذا لا يتم إلا بوجود أدلة ملموسة تُثبت صدقه . ثم بعدها يجتهد في العبادات والطاعات الأخرى ليتذوق صدق نبوته وجدانيا ،و ليس ليعرف ويتذوق حقيقة النبوة.

ومن جهة أخرى إن الدليل الذي ذكره على أنه شاهد على صدق النبي- عليه الصلاة والسلام- هو دليل ضعيف جدا، بل إنه ليس دليلا حاسما ويقينيا ، ولا يُمكنه إثبات نبوته أبدا . فهو وإن كان كلاما جيدا، فهو ليس كلام نبي بالضرورة، وإنما هو يدل على أنه كلام حكيم. والحكيم ليس نبيا، ومع أن النبي حكيم ، فإن ذلك القول يدل على أنه كلام حكيم لا كلام نبي. ومن ثم فهو كلام بشر يُمكن الإتيان بمثله ،وبأحسن منه. فالنبوة لا تثبت بمثل تلك الأقوال والحِكَم ، وإنما تثبت بالبراهين والآيات المعجزة التي ينفرد بها النبي عن كل البشر بما فيهم العباقرة والحكماء ،وكبار العلماء و المصلحين. ولهذا كان القرآن الكريم الذي تحدى الله به الجن والإنس معا على أن يأتوا بمثلة ، هو البرهان الدامغ و القطعي،والأول والأساسي على صدق نبوة محمد- عليه الصلاة و السلام- . و بدونه –أي القرآن- لا يُمكن إثبات نبوته عليه الصلاة و السلام . فالقرآن يكفي وحده لإثبات صدق نبوته . نعم هناك أدلة وشواهد كثيرة يُمكن الاستشهاد بها على صدق نبوته على أنها شواهد إضافية ومساعدة في وجود المعجزة القرآنية، لكنها ليست يقينية ، ويُمكن التشكيك فيها، وتفسيرها تفسيرا بشريا وتفريغها من مضمونها كأدلة على صدق النبوة . فهي لا يُمكن أن تقوم لوحدها كبراهين وآيات قطعية على صحة نبوة محمد-عليه الصلاة والسلام-.

والموقف الرابع مفاده أن المؤلف قال: ((بيد أنّ الأنبياء يستندون في حركتهم الرسالية على التجربة الدينية التي تثير في أنفسهم اليقين والقطع بصدق كلماتهم وحقانية دعواهم وبالتالي ينطلقون من موقع تكليف الناس بقبول هذه الدعوى وامتثال هذه الأحكام والأوامر وكذلك يمنحهم هذا اليقين الحق في التصرف بأموال الناس ونفوسهم))[1].

وقوله هذا فيه حق وباطل، وفيه غموض يبدو أنه تعمده لغاية في نفسه انطلاقا من خلفيته المذهبية. لأن الصواب هو أن النبي ليست له تجربة

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 171.

دينية، لأن هذه التجربة يمر بها كثير من الناس أو أكثرهم، وإنما له تجربة نبوية حقيقية ليست باختياره، وإنما هي اصطفاء من الله تعالى. وفيها يُكلمه الله تعالى ، لقوله سبحانه :(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى : 51) . وهذا التكليم- الوحي الإلهي- هو الذي يُعطي للنبي في نفسه اليقين والشجاعة والقوة ، والقطع بصدق كلماته وحقانية دعوته، وليست التجربة الدينية –من دون وحي- هي التي أعطته ذلك. فكان على الرجل أن يكون دقيقا في كلامه إن كان يريد الحقيقة التي نص عليها الشرع وأكد عليها في آيات قرآنية كثيرة .

والموقف الخامس يتمثل في قول المؤلف بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- عندما ((وصل إلى مرتبة الكمال والنضج التام وبعد سنوات من ممارسة الحياة الزوجية والاجتماعية دخل ميدان التجربة النبوية حيث كان مستعداً لذلك تماماً. ومن جهة أخرى لم يقنع النبي بالخلوة والعزلة، بل انطلق في تبليغ رسالته في أجواء المجتمع وكان يرى أنّ مواجهة التحديات المفروضة يعدّ فريضة)) [1].

وأقول: إن الرجل استخدم تعبيرات غير دقيقة، وتحمل أكثر من معنى بعضها لا يصح، و يتضمن إبعادا للدور الإلهي في تهيئة النبي- عليه الصلاة و السلام- من جهة ، وكأن النبي نفسه هو الذي يُهيئ نفسه عن تخطيط مُسبق ليكون نبيا ويتحمل الدعوة ومشاقها من جهة أخرى. وهذا قول باطل من دون شك. فليس النبي هو الذي دخل ميدان التجربة النبوية ، وإنما الله تعالى هو الذي هيأه لها، وأدخله فيها من دون استشارة ولا إذن منه. فالرسول- عليه الصلاة و السلام- عندما كان يتحنث في غار حراء لم يكن يريد أن يكون نبياً، ولا كان يُهيأ نفسه ليكون كذلك، وإنما كان يعتزل الناس طلبا للراحة ،والخلوة من أجل التأمل الفطري ، في نفسه والكون . فهذا سلوك طبيعي ما يزال يُمارسه كثير من الفنانين، والزهاد، والعلماء . ولم يكن النبي يعلم أبدا بأنه سيكون نبيا، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى :

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 17.

52)، و(وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ (القصص : 86). وعندما نزل عليه جبريل أول مرة اضطرب وخاف على نفسه.

فالنبي- عليه الصلاة والسلام- ليس هو الذي جعل نفسه مُستعدا لتحمل الرسالة، ولا هو الذي دخل تجربة النبوة بإرادته وبتخطيط مُسبق منه.ولا هو الذي أخرج نفسه من العزلة ليتحمل أعباء الرسالة ويدعو الناس إليها ، وإنما الله تعالى هو الذي اختاره و كلفه بذلك وأمره به . قال سبحانه :(وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ)(الأنعام : 124)،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (المائدة : 67). –

وقوله بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- كان ((يرى أنّ مواجهة التحديات المفروضة يعدّ فريضة)) . فهذه الفريضة لم تكن رأيا منه، وإنما كانت فريضة إلهية كلفه الله تعالى بها. فهو رسول مُكلف من رب العالمين لأداء الرسالة، ولم يكن مُصلحا اجتماعيا رأى انه من الواجب عليه أن يقوم بحركة إصلاحية في مجتمعه. فلماذا هذا المؤلف يستخدم هذه التعابير المشبوهة التي تحتمل أكثر من معنى ، و بعضها غير صحيح ومحالف للشرع مخالفة صريحة؟؟!!.

والموقف الأخير- السادس من المبحث الأول- مفاده أن المؤلف قال: ((وأمّا على نظرية القبض والبسط فمعنى النزول الدفعي والتدريجي هو أنّ القرآن نزل مرّة واحدة في ليلة القدر بحيث إنّ شخصية النبي في تلك الليلة صارت شخصية قرآنية وأنّ النبي وصل في تلك الليلة إلى مراده ومحبوبه، فالنبي كان يمارس رياضة مدّة أربعين سنة وفي سن 38 سنة أو 40 سنة، على اختلاف الأقوال، تجلّت للنبي حقيقة النبوة وصار منوراً كبوذا، ونزل عليه الوحي وزالت عن عينه الحجب والأستار دفعة واحدة، ففي تلك الليلة صار نبيّاً، وهذه الليلة هي ليلة القدر في شهر رمضان، فهذه الليلة هي ليلة

الوصال والليلة التي حصل النبي فيها على نتيجة أتعابه ورياضته ... فهذه الليلة كانت بالنسبة للنبي ليلة قرآنية، بمعنى أنّ الحقيقة القرآنية بأجمعها نزلت عليه ليكون نبيّاً ثم تترشح منها آيات القرآن بعد ذلك. فهذه الشخصية النبوية الجديدة كانت بمثابة الرصيد والخزين القرآني الذي حصل عليه النبي دفعة واحدة ثم تحرك على مستوى تعليم الآيات القرآنية وإرشاد الناس بها بالتدريج))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، وفيه تحريف وتغليط وتلبيس على القراء، وفيه افتراء على الله ورسوله. لأنه أولا إن قوله بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- هو الذي كان يريد النبوة ، فأحبها واجتهد لتحصيلها، وتعب في طلبها مدة 40 عاما حتى نالها . هو افتراء مُتعمد، وكذب مفضوح على الله ونبيه، وتكذيب لهما. لأن زعمه هذا ليس أنه باطل فقط، وإنما هو أيضا خرافة من خرافات هذا الرجل. والدليل على بطلانه الشواهد الآتية:

الأول مؤداه أن الرجل قرر ذلك الزعم من دون أن يُؤيده بدليل صحيح ولا ضعيف، وإنما قرره انطلاقا من ظنونه ورغباته، ومذهبيته الفاسدة. وهذا وحده يكفي لنسف زعمه من أساسه، لأنه زعم بلا حجة،و ليس من الموضوعية،ولا من الاستدلال العلمي القول به.

والشاهد الثاني مضمونه أن القرآن الكريم نص صراحة على أن النبي – عليه الصلاة والسلام- لم يكن ينتظر أن يكون نبيا، ولا أنه تهيأ لها. مما يعني أن ما زعمه الرجل باطل من أساسه وخرافة اختلقها الرجل أو أخذها عن غيره. قال سبحانه: (وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ (القصص : 86).

و الشاهد الثالث يتمثل في أن قوله بأن النبي أراد النبوة وأحبها، فطلبها واجتهد في تحصيلها حتى نالها. يعني أنه كان على علم بمعنى النبوة وأهدافها، ومتطلباتها، ومعنى الكفر والإيمان ،وبنبوة الأنبياء السابقين. وبما أن هذا كله باطل لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الشورى : 52)،و(وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)(العنكبوت : 48) . فإنه

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 134-135.

يتبين من ذلك ان ما زعمه الرجل باطل من أساسه، وهو افتراء مُتعمد على الله ورسوله، وعلى الناس و التاريخ.

والشاهد الرابع مفاده أنه صح الخبر أن النبي- عليه الصلاة والسلام- عندما نزل عليه جبريل أول مرة اضطرب وأبى الاستجابة له عندما طلب منه القراءة ، ثم عندما قرأ وتركه جبريل ذهب إلى أهله خائفا ((يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- فقال: زملوني، زملوني ،فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق))[1]. فلو كان الرسول-عليه الصلاة والسلام- على علم بالنبوة، وأنه أرادها وأحبها وطلبها، واجتهد في تحصيلها، ما حدث له هذا الخوف والاضطراب.

والشاهد الخامس مضمونه أن النبي- عليه الصلاة والسلام- عندما نزل عليه الوحي، فخاف واضطرب وذهب إلى زوجته خديجة ، فهدأته وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل جرى بينهما ما يأتي: ((. فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟، فأخبره رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خبر ما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أو مخرجي هم ؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي))[2]. فهذا شاهد دامغ ينسف مزاعم الرجل من أساسها لأنه نص صراحة، على أن النبي- صلى الله عليه وسلم- ما كان يطلب النبوة، ولا كان له علم بها.

والشاهد السادس مفاده أن الصحيح الذي حدث للنبي-عليه الصلاة والسلام- قبيل نبوته أنه كان ((لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء ،وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة، فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء. فجاءه الملك فقال: اقرأ ...))[3]. فالنبي لم يكن يذهب إلى حراء طلبا للنبوة، ولا خطط لها ، ولا

---

[1] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

[2] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

[3] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

طلبها، ولا اجتهد في طلبها كما زعم الرجل . وإنما الحقيقة هي أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كانت العناية الإلهية توجهه وتُهيئه لتحمل الرسالة الخاتمة وهو لا يدري. ولهذا قالت الرواية إن النبي كان لا ((يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء)) [1].

والشاهد الأخير- السابع- مضمونه أن زعم الرجل بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- اجتهد وتعب في طلب النبوة حتى نالها، هو شاهد دامغ على بطلان زعم الرجل، وأنه تعمد الافتراء على الله ورسوله. لأن الثابت قطعا أن النبوة لا تُكتسب، ولا تُنال بالاجتهاد ، وإنما هي اختيار من الله تعالى وفضل ورحمة منه. لقوله سبحانه: (وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ)(الأنعام : 124)،و(وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ)(القصص : 86) . فالنبي-عليه الصلاة والسلام- لم يصبح نبيا لأنه طلبها واجتهد في تحصيلها فنالها كما زعم الرجل، وإنما لأن الله تعالى اختاره وهيأه لها من دون طلب ولا اجتهاد منه.

ومما يشهد على أن هذا الرجل يتكلم بهواه و مذهبيته، ولا يُبالي بعد ذلك أوافق الحق أم خالفه. أنه زعم أن الرسول-عليه الصلاة والسلام- ظل يمارس الرياضة الروحية مدة 40 سنة ليكسب النبوة ؟؟. وهذا كلام باطل بلا شك ، بدليل الشاهدين الآتيين: الأول هو أن النبي نزل عليه الوحي في سن الأربعين ، ومعنى هذا –حسب زعم الرجل -أنه ما إن خرج من بطن أمه حتى شرع في ممارسة تلك الرياضة!!!. فهل يُعقل هذا؟، أليس من يقول هذا الكلام المُستحيل والمُضحك، فهو إما أنه جاهل بما يقول، وإما أنه لا يعي ما يكتب، وإما أنه تعمد فعل ذلك إهمالا واستهتارا لغاية في نفسه ؟؟!!.

والشاهد الثاني أنه صح الخبر بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- لم يكن يذهب إلى غار حراء، إلا في الفترة القريبة من بداية نزول ، لأن الرواية قالت : ((أول ما بدئ به رسول الله- صلى الله عليه وسلم -من الوحي الرؤيا

---

[1] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ،حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال)) [1]..

ومما يشهد على بطلان زعمه أيضا، وأنه يتكلم برغباته ومذهبيته، أنه قال: ((ونزل عليه الوحي وزالت عن عينه الحجب والأستار دفعة واحدة)). وهذا زعم باطل بلا شك، لأن النبي-عليه الصلاة والسلام- عندما نزل عليه جبريل أول مرة ، رفض الاستجابة له عندما أمره بالقراءة، وحتى بعدما قرأ ظل مُضطربا، وذهب إلى أهله خائفا مُرتجفا، وقال لزوجته خديجة- رضي الله عنها- ((زملوني، زملوني ،فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق))[2].

وثانيا إن موضوع نزول القرآن على النبي- عليه الصلاة والسلام- نزولا مُنجما لا دفعة واحدة ، هو أمر قطعي ثابت من دون شك ، ومن الأمور المعروفة من دين الإسلام بالضرورة.ومن يُنكره فهو إما جاهل بدين الإسلام . وإما أنه لا يعي ما يقول. وإما أنه صاحب هوى يتعمد القول بذلك الافتراء لغاية في نفسه. والشواهد التي تُثبت أن القرآن نزل مُفرقا لا دفعة واحدة، وأنه من عند الله لا من ذات النبي كثيرة جدا جداً. منها أن القرآن الكريم مملوء بالآيات التي نصت وأكدت على أن القرآن وحي إلهي أنزله الله تعالى على نبيه محمد- عليه الصلاة والسلام-، ولا توجد فيه أية آية ذكرت أن الله أنزله عليه دفعة واحدة. قال تعالى:(وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً)(الإسراء: 106)،و(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)(الفرقان : 32).

والشاهد الثاني مضمونه أنه ثَبُت من سيرة النبي-صلى الله عليه وسلم- أنه كان يتوقف في مواقف كثيرة لا يتخذ فيها موقفا، حتى ينزل عليه الوحي. فلو كان القرآن قد نزل عليه دفعة واحدة لكان على علم به، وما انتظر حتى ينزل عليه.

---

[1] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

[2] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

والثالث مفاده أن في عتاب الله تعالى لنبيه في عدة مواقف ونزول القرآن بذلك، هو دليل دامغ على أن القرآن لو كان مخزونا في نفسه دفعة واحدة ما تصرف تلك المواقف التي عاتبه فيها القرآن، وما نزل عليه قرآن يُعاتبه، لأنه سيكون على علم به، ومن ثم لا يُخالفه[1].

والشاهد الأخير- الرابع- يتمثل في أنه لو كان القرآن نزل كله دفعة واحدة على النبي-صلى الله عليه وسلم- لعرف ولعلم بكل ما سيحدث له ، ومن ثم ما كان يضطرب ويخاف على نفسه عندما نزل عليه جبريل في غار حراء، وذهب إلى زوجته يرتجف قلبه. وما ذهب إلى ورقة بن نوفل ليسأله عما حل به. وما قَلِقَ وما تخوّف عندما فَتُر الوحي[2]، حتى أنزل الله تعالى قوله: (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)(الضحى : 3).

وأخيرا-ثالثا- إنه فيما يخص معنى إنزال القرآن ليلة القدر، فإن القرآن هو الذي يتحدث عن نفسه، ويُفسر نفسه بنفسه أولا ثم تُفسره السنة النبوية الصحيحة الموافقة له ثانيا، ثم يُفسر ثالثا بحقائق التاريخ والعقل والعلم. ولا يُفسر بظنون وأهواء وخلفيات المحرفين للشرع، والمفسدين للعقل والعلم. وعليه فإن سورة القدر واضحة وصريحة في أنها تكلمت عن نزول القرآن جملة واحدة، لكنها لم تذكر أن الله أنزله على النبي- عليه الصلاة والسلام- ،وإنما ذكر ذلك الإنزال دون إشارة من قريب ولا من بعيد إلى النبي. قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)(القدر :1-3) . ثم من جهة أخرى نجد القرآن تكلم عن إنزال آخر للقرآن على النبي-عليه الصلاة والسلام- كانت له بداية (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)(العلق : 1)،و امتد في النزول منجما مدة 23 سنة ، ثم ختمه الله تعالى بقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة : 3) . فهذا هو الإنزال الثاني الذي تكلم عنه القرآن الكريم في آيات كثيرة جدا جدا .كقوله سبحانه: (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً)(الإسراء: 106)،و(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً)(الفرقان : 32

[1] سبق توثيق ذلك .
[2] البخاري: الصحيح، ج1 ص:7 رقم:3 .

).،و(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(القيامة : 18) . فهذا الإنزال هو الذي بدأت به نبوة محمد-صلى الله عليه وسلم- ولم تبدأ بالإنزال الأول الذي أشارت إليه سورة القدر. فهذا الإنزال لا علاقة ل ببداية نبوة محمد –صلى الله عليه وسلم-، وهذا خلاف ما زعمه المؤلف.

وأما أين أُنزل الإنزال الأول ليلة القدر؟ ، فالآية لم تحدده، لكن أهل العلم قالوا: إن ليلة القدر نزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل- عليه السلام- على النبي محمد- صلى الله عليه وسلم منجمًا على مدى ثلاثة وعشرين عامًا[1]. وأما التفسير الذي قدمه الرجل ، فلا دليل صحيح يُثبته من الشرع ولا من التاريخ من جهة، وتوجد حقائق شرعية وتاريخية تُبطله من جهة أخرى. وقد ذكرنا طرفا منها فيما تقدم أعلاه. مما يُثبت أن كلامه السابق باطل جملة وتفصيلا.

وبذلك يُستنتج من تلك المواقف- التي قال بها المؤلف- ، أنه أخطأ أخطاء فاحشة في تعريفه للنبوة، وطريق معرفتها. وأنه افترى على الله ورسوله وعلى التاريخ عندما زعم أن النبي– عليه الصلاة والسلام- كان مُنتظرا للنبوة، فتهيأ لها وتعب من أجلها حتى تحصل عليها!!.

ثانيا: نقض قول المؤلف بأن النبي هو مصدر الوحي:

زعم المؤلف أن النبي- عليه الصلاة والسلام- هو مصدر الوحي القرآني، أنتجته تجربته النبوية الذاتية. وقد عبّر الرجل عن زعمه هذا وأكد عليه في مواضع كثيرة من كتابه بسط التجربة النبوية، أفصح من خلالها عن موقفه الحقيقي من الوحي والنبوة ،وعن غايته من كل ما كتبه عن بسط تجربة النبوة، الرامية إلى إنكار نبوته ورسالته العالمية.

فمن ذلك أنه قال: ((وهناك ملاحظة أخرى أود ذكرها لكم، فإنني أعتقد أنّ النبي هو المشرع للأحكام الفقهية، أنّ النبي نفسه هو المقنن لهذه المسائل وبالطبع فإنّ الله تعالى أمضى القوانين التي شرعها النبي))[2].

---

[1] أنظر مثلا: ابن كثير : تفسير ابن كثير، ج 1 ص: 205، ج5 ص: 127.
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 120.

وأقول: كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، وكذب سافر على الله ورسوله و تكذيب لهما أيضا.وفيه تحريف وتغليط وتلبيس ،وانحراف عن منهج الاستدلال الصحيح . لأنه أولا لا يحق له-شرعا، ولا عقلا، ولا علما- أن يُحدد مكانة ودور النبي محمد-عليه الصلاة والسلام- في الإسلام ودعوته إلا من خلال القرآن الكريم ،أو السنة النبوية لصحيحة الموافقة له، ومن يُخالف هذا فهو لا يتكلم عن الإسلام ومبادئه ، وإنما يتكلم عن رغباته وظنونه، وأهوائه ومذهبيته، وهذه المنطلقات لا قيمة علمية لها في ميزان الحق، كقول الرجل : ((فإنني أعتقد أنّ النبي))، فمتى كان اعتقاده حجة على الإسلام؟!، ومتى كان الإسلام في حاجة إلى اعتقاده ليوضح مبادئه ؟؟!!.و متى كان اعتقاده هو المُعبر عن موقف الإسلام من دور النبي؟؟!!. ومتى احتاج الإسلام إليه ليُبين موقفه من مكانة النبي ودوره؟؟!!. فكلام الرجل باطل من أساسه، ولا قيمة له في ميزان البحث العلمي الصحيح ،لأن صاحبه أقامه على ظنونه ورغباته ومذهبيته، ولم يُقمه على شرع صحيح، ولا عقل صريح، ولا علم صحيح.

وثانيا إن القول بأن النبي هو المشرع للأحكام الفقهية، هو افتراء مُتعمد على الله ورسوله، لأن دين الإسلام كله من عند الله تعالى من جهتين: الأولى أن القرآن كلام الله ، وهو الأصل الأول والأساسي لدين الإسلام، بما فيه من عقائد وعبادات ، علوم وتاريخ، وآداب وأحكام فقيهة، فهو وحي إلهي دون شك. مما يعني بالضرورة أن الله تعالى هو الذي شرّعه.

والجهة الثانية هي أن النبي- عليه الصلاة والسلام- هو رسول مأمور بتطبيق الوحي ، وتشريع الأحكام التي أمره الله تعالى بها. فهو لم يكن يُشرّع من عند نفسه، وإنما كان مأمورا بذلك. فتشريعه هو من دين الإسلام وليس من عنده، قال تعالى: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)(النساء : 80). ولهذا كثيرا ما كان يتوقف في مواقف ينتظر فيها نزول الوحي لكي يتصرف من دون إذن من الشرع. وأحيانا كان الوحي الإلهي يتدخل لتقويمه وتأنيبه وعتابه. وأحيانا يتدخل للفصل في قضايا فقهية وغيرها كما في قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(المجادلة : 1) . فدين الإسلام كله من عند الله ، سواءً كان قرآنا أو

سنة صحيحة موافقة له. ولهذا قال الله تعالى لنبيه: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)(المائدة : 49) و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18). فالله تعالى هو المشرع لكل دين الإسلام بالوحي والسنة معا.

وأما قوله: ((وبالطبع فإنّ الله تعالى أمضى القوانين التي شرعها النبي)). فهو تغليط وتلاعب وتحريف، ومحاولة منه لذر الرماد على العيون ، لإخفاء حقيقته العلمانية المحرفة لدين الله تعالى.لأن الحقيقة ليس أن الله هو الذي أمضى ذلك، وإنما هو الذي شرع كل دين الإسلام بما فيه جانبه الفقهي . شرّعه بالوحي- القرآن- أولا ، ثم بالسنة النبوية ثانيا ، لأنه هو الذي جعلها المصدر الثاني بعد القرآن ،و هو الذي أمر نبيه بأن يلتزم هو بدين الله تعالى أولا ، ثم يُبين لأمته دينها ثانيا، ثم يُشرّع الأحكام التي أمره بها ربه ثالثا. قال سبحانه: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(الحشر : 7)،و(مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)(النساء:80).

ثم أنه قال: ((الهاجس الأساس للنبي في أمر التقنين هو أنّ هذه الأحكام والقوانين لابدّ أن تكون عادلة في أجواء زمانه وتبتعد عن الظلم في عرف ذلك الوقت لا أنّها تمثّل العدالة المطلقة وفوق التاريخية. بمعنى أنّ النبي عمل على إصدار قوانين وتشريعات كانت تقترن بالعدل في مفهوم تلك الأجواء وتلك الأذهان وبعيدة عن طبيعة الظلم والجور في ذلك الزمان... وبالنسبة للأحكام الدينية في فقهنا فإنّ عرف المجتمع العربي المعاصر للنبي أخذ هذه الا حكام بجدّية وباهتمام كبير ولكن لا يوجد دليل على أنّ عرف المجتمع في عصر النبي يمثّل أفضل الأعراف الممكنة في تاريخ البشري، ولكن لا مناص من أخذ العرف بنظر الاعتبار... فإنّ كل نبي يظهر في بيئة معينة، يتحرك في تفاعله الثقافي والاجتماعي عبر أدوات عصره فيقاتل بالسيف لا بالمدفع والدبابة لعدم وجود المدفع والدبابة، ويتحدّث للناس بتلك المفاهيم السائدة في أجوائهم الثقافية، ولا يمكنه أن يخترع مفاهيم سوف

توجد فيما بعد ويعلّم الناس أو يطلب من الناس استخدام تلك المفاهيم التـي لا تتوفر لـديهم. ومن هنـا نفهم حـال الأحكـام الفقهيـة أيضـاً بأنّهـا مؤقتـة إلاّ أن يثبـت خـلاف ذلـك، فجميـع الأحكـام الفقهيـة فـي الإسـلام مؤقتـة وتـرتبط بـالمجتمع العربـي فـي صـدر الإسـلام والمجتمعـات المماثلـة لـه إلاّ أن يثبـت بالـدليل خـلاف ذلـك، فنحن يجب أن نثبـت بالـدليل القـاطع أنّ هـذه الأحكـام وضـعت للأبـد وفـوق مقتضـيات الزمـان والمكـان وغيـر مشـروطة بشـروط خاصــة. وبــالطبع فأنــا أعلـم أنّ رأي عامــة الفقهـاء خــلاف ذلـك، أي أنّهـم يعتقدون أنّ جميع هـذه الأحكـام أبديـة ومطلقـة إلاّ أن يثبـت خلافـه، ولكـن إذا كـان كلامـي هـذا صـحيحاً فلابدّ من الالتزام بلوازمه ونتائجه))[1].

وأقـول: كلامـه هـذا باطـل جملـة وتفصـيلا، وفيـه افتـراء مُتعمـد علـى الله ورسوله، وفيه إصرار على التحريف والتغليط والتلبيس عن سبق إصـرار وترصـد.لأنــه أولا إن النبـي- عليـه الصـلاة والسـلام- لـم يكـن يحمـل ذلـك الهاجس ولا أي هاجس آخر، وإنما كان يحمل الدعوة التي كلفه وشرفه بهـا الله تعـالى: (إِنَّـا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً)(المزّمّل : 5) (إنـا سـنلقي عليـك)،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (المائدة : 67)،و(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام : 162). ولـم يكن عليه الصلاة والسلام يشك أبدا فـي أن رسـالته هـي رسـالة عادلـة عدالـة مُطلقـة، فهـذا الأمـر كـان مـن بـديهيات ديـن الإسـلام ومقتضـياته. لأن أحكـام الإسلام عادلـة عدالـة مُطلقة ليس لأنها من عند النبي-عليـه الصـلاة والسـلام- كما زعم هذا المفتري على الله ورسوله، وإنما لأنها من عند الله تعالى . قـال سبحانه: (وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً)(الكهف : 49)،و(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَـنُ مِـنَ اللّهِ حُكْمـاً لِّقَـوْمٍ يُوقِنُـونَ)(المائـدة : 50)،و(وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153).

وواضـح من تحريفات المؤلف وتلبيساته أنـه فعل ذلك ليصـل إلـى القـول بأن الإسلام بأحكامـه كـان نتـاج التجربـة النبويـة وظـروف المحـيط العربـي. ومن ثم فهو محكوم بظروفه الزمنية والمكانية التـي ظهـر فيهـا. فـإذا تغيـرت

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 120.-121.

تلك الظروف فَقَد صلاحيته من أن يكون صالحا لكل زمان ومكان، ولن يكون بعدها فوق قانون التاريخية، فستطويه وتلفه وتُفقده صلاحياته، وتُدخله خزانة التاريخ. ونحن لا ننكر أن الحوادث البشرية محكومة بظروفها التي ظهرت فيها بصفة عامة. لكن هذا لا يصدق في كل الأحوال ،ولا على كل الأفكار والعقائد، والنظم. فقد تتهيأ الظروف لفكر من الأفكار أن ينتشر خارج مكانه ، ويستمر حيا قرونا طويلة، إذا وجد من يأخذ به ،و يُدافع عنه، حتى وإن لم يكن صحيحا، فكم من مذاهب وعقائد باطلة منذ قرون ، وما تزال قائمة إلى يومنا هذا، وعشرات بل مئات الملايين يُؤمنون بها و يموتون من أجلها.

ولا ننكر أيضا أن الله تعالى أنزل كثيرا من الشرائع حسب ظروف الأقوام الذين ظهر فيهم النبي المرسل إليهم. لكنه من جهة أخبرنا بأنه سبحانه جعل دينه واحدا في أصوله كالعقائد والآداب ،والمفاهيم الكونية، والمعاد الأخروي، فهذه لن تتغير. بل وكذلك هناك عبادات جعلها الله تعالى دائمة لا تتغير بتغير الرسالات السماوية، كالصيام، والزكاة ، والصلاة ، قال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة : 183)،و(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً)(مريم :54- 55).

وبما أن الأمر كذلك فلا مانع من أن يكون دين الإسلام دينا صالحا لكل زمان ومكان، بأصوله وخصائصه ،ومفاهيمه و قواعده، وتشريعاته ودعوته إلى الاجتهاد. و بالفعل فإن هذا هو الذي حدث، فقد شاء الله تعالى أن يختم الرسالات السماوية بنبوة نبيه- محمد بن عبد الله-عليه الصلاة والسلام- ليجعل رسالته عالمية صالحة لكل زمان ومكان. وقولنا هذا دليل قطعي على بطلان مزاعم الرجل ومفترياته التي تضمنها كلامه السابق.

وأما قوله عن النبي: ((ولا يمكنه أن يخترع مفاهيم سوف توجد فيما بعد ويعلّم الناس أو يطلب من الناس استخدام تلك المفاهيم التي لا تتوفر لديهم)). ففيه افتراء وتلاعب ،وتلبيس وتغليط. لأنه ليس النبي هو الذي يخترع، وإنما هو يتلقى التشريع والدين كله من عند الله تعالى.والوحي الإلهي يُشرع للناس مفاهيم وأحكاما تكون صالحة لكل زمان ومكان، ويُشرع لهم قواعد

ومفاهيم أساسية في التشريع يستطيع بها الدين الحق مواكبة التغيرات التي تحدث في حياة بني آدم.

وثانيا إن قوله : ((ومن هنا نفهم حال الأحكام الفقهية أيضاً بأنّها مؤقتة إلاّ أن يثبت خلاف ذلك، فجميع الأحكام الفقهية في الإسلام مؤقتة وترتبط بالمجتمع العربي في صدر الإسلام والمجتمعات المماثلة له إلاّ أن يثبت بالدليل خلاف ذلك، فنحن يجب أن نثبت بالدليل القاطع أنّ هذه الأحكام وضعت للأبد وفوق مقتضيات الزمان والمكان وغير مشروطة بشروط خاصة. وبالطبع فأنا أعلم أنّ رأي عامة الفقهاء خلاف ذلك، أي أنّهم يعتقدون أنّ جميع هذه الأحكام أبدية ومطلقة إلاّ أن يثبت خلافه، ولكن إذا كان كلامي هذا صحيحاً فلابدّ من الالتزام بلوازمه ونتائجه))[1].

وأقول: موقفه هذا غير صحيح، ومخالف لدين الإسلام، تبناه انطلاقا من رغباته ومذهبيته العلمانية، ولم يتخذه انطلاقا من دين الإسلام. فهو موقف ذاتي ،وليس موقفا مُعبرا عن موقف الإسلام من ذلك الموضوع. لكن الغريب من أمر هذا الرجل أنه فرض ذاتيته ومذهبيته على دين الإسلام من دون دليل من الإسلام. فهو هنا قرر حكما مُطلقا بأنه من دين الإسلام من دون أن يذكر دليلا شرعيا واحد صحيحا ولا ضعيفا. وهذا لا يصح، وليس من الموضوعية ولا من الاستدلال العلمي في شيء. إنه لم يذكر دليلا على موقفه ، مع أنه هو المُطالب به أولا، ولن يثبت حكمه إلا بدليل شرعي صحيح.و هذا الدليل لن يظفر به إلى الأبد !!.

وأُشير هنا إلى أن الرجل لَمَّا كان يعلم أنه لن يجد دليلا شرعيا صحيحا يُثبت زعمه فإنه سبق من يُخالفه إلى مُطالبته ((بالدليل القاطع أنّ هذه الأحكام وضعت للأبد وفوق مقتضيات الزمان والمكان وغير مشروطة بشروط خاصة)). وهذا الأسلوب يندرج ضمن التغليط والسفسطة، لمخادعة من يُخالفه. مع أن الحقيقة هي أن هذا الرجل هو المُطالب بالدليل قبل غيره، لأنه نفى وأثبت من دون دليل صحيح.

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 120.-121.

وأما زعمه بأن جميع ((الأحكام الفقهية في الإسلام مؤقتة وترتبط بالمجتمع العربي في صدر الإسلام والمجتمعات المماثلة له إلاّ أن يثبت بالدليل خلاف ذلك)). فهو زعم باطل لأنه أقامه على هواه ومذهبيته ،ولم يُقمه على دليل صحيح. ولأن حُكمه هذا مُخالف لدين الإسلام ومقتضياته، بدليل الشواهد الآتية:

أولها مفاده أن ختم الله تعالى للرسالات السماوية برسالة النبي- محمد- عليه الصلاة والسلام- لتكون آخر وحي إلهي ينزل على بني آدم من السماء قبل يوم القيامة (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)(الأحزاب: 40) يعني بالضرورة أن هذه الرسالة يجب أن تكون صالحة لكل زمان ومكان لتستطيع أن تؤدي دورها في الدنيا قبل المعاد الأخروي. وبما أنها هي الرسالة الخاتمة، فهذا يعني بالضرورة أنها رسالة خالدة دائمة.

والثاني يتمثل في أن كون الإسلام دين الله لكل البشر(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء : 107)،و(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ)(الأعراف : 158) يعني أنه صالح لكل زمان ومكان، ولو لم يكن كذلك لما جعله الله تعالى دينا عالميا لكل بني آدم.

والثالث مضمونه أن كون الإسلام هو دين الله تعالى الذي ارتضاه لنفسه ولنا، وأنه لا يقبل من أحد دينا سواه ، ومن لم يَدين به سيكون مصيره الخسران الأبدي، لقوله سبحانه : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19)،و(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران : 85)،و(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (محمد : 2). فإن كل هذا يعني ويقتضي أن الإسلام بأصوله ،وفروعه، ومفاهيمه صالح لكل زمان ومكان. وإلا لا يُمكن أن يجعله الله تعالى حجته على كل بني آدم.

والرابع يتمثل في التحدي الإلهي للإنس والجن بأن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، ثم القطع بأنهم لن يأتوا بمثله حاضرا ولا مُستقبلا ، لقوله سبحانه: ((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء : 88)))، و((وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (البقرة : 23) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (البقرة : 24).وهذا يعني بالضرورة أن الله تعالى جعل دين الإسلام حجته على كل بني آدم إلى يوم القيامة، وهذا يقتضي أن الإسلام بأصوله وفروعه صالح لكل زمان ومكان. وإلا لا يُمكن أن يكون حجة الله تعالى الدامغة على عباده إلى يوم القيامة، لو لم يكن كذلك.

والشاهد الأخير-الخامس- مفاده إن اتصاف الإسلام بأنه دين كامل ،وأنه دين ودولة، وشامل للدارين بأصوله وفروعه، ومفاهيمه وعلومه، وقواعده وقوانينه ،وتشريعه للاجتهاد ودعوته إليه، كل هذا يعني أن الله تعالى جعل دينه كذلك، ليكون دينا صالحا لكل زمان ومكان. وإلا فلا معنى من أن يجعله كذلك، وهو سبحانه الحكيم المُنزه عن العبث ، وقد وصف دينه بأنه كامل وقيم (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (الروم : 30)، و(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة : 3).

والموقف الثاني مفاده أن المؤلف عبد الكريم سروش نص صراحة على أنّ ((الوحي والرسالة تابعان لشخصية النبي))[1]. وقوله هذا زعم باطل، وكلام بلا علم، والزعم بلا بينة ليس دليلا ولا يعجز عنه أحد. و عليه فنحن نُطالبه بالدليل الصحيح الذي يُثبت زعمه هذا. و لن يجده، لأن زعمه هذا باطل . والصحيح أن الوحي هو الذي أوجد الرسالة والدعوة والنبوة، والوحي هو الذي كوّن النبي والمؤمنين. ولا يُمكن أن يكون كلام الله تعالى-الوحي- تابعا للنبي محمد –عليه الصلاة والسلام- و لا لأي مخلوق آخر.

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ترجمة أحمد القبانجي، دار الفكر الجديد ، العراق، سلسلة ثقافة إسلامية معاصرة(13)، 2006، ص: 3 .

فالوحي كلام الله تعالى الآمر الناهي، منه بدأ وإليه يعود. و هو الحكم و المرجع ، قال تعالى: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)(النساء : 163)،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67)،و(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران:128)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18).

وقال أيضا: ((ولذلك كان الوحي تابعاً لشخصية النبي لا أنّ النبي تابع للوحي، و«كلما يفعل خسرو فهو حسن» كما يقول المثل))[1]. وقوله هذا هو من شطحاته ، إنه يتكلم بهواه ،ولا يهمه مخالفة الشرع والتاريخ ، أو موافقتهما. وهذا قوله مخالف للشرع، و لم يذكر عليه دليلا صحيحا ولا ضعيفا، وإنما قرره وقال به انطلاقا من رغباته ومذهبيته . وقوله هذا هو طعن في الوحي وفي النبي محمد - عليه الصلاة والسلام- . ومن الثابت شرعا و تاريخا أن الوحي هو الذي أوجد محمد النبي-عليه الصلاة والسلام- ودعوته وأصحابه ، وهو الذي نصره ، وكوّن دولة الإسلام . وهو الذي علمه ورعاه ،و أمره ونهاه، وعاتبه وحذّره . قال سبحانه: ((لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران : 128)، و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة:67).،و(لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ)(الغاشية : 22)، و(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(الزمر : 65) . فمن الذي كان تابعا للآخر ؟؟.

وليس صحيحا أن : «كلما يفعل خسرو فهو حسن» ، فهذا لا يصدق على علاقة محمد- عليه الصلاة و السلام- بربه سبحانه و تعالى. فلم يكن محمد مدللا ،ولا كان الوحي تابعا له ، وإنما كان عبدا طائعا شكورا خائفا محبا لله

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 17.

حياته كلها له، كما أمره سبحانه : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام : 162).

وإذا فسرنا قول الرجل وما ينتج عنه، بحكم أن الوحي كلام الله ، يصبح هكذا : ((إن الله تابع لمحمد ، و ليس محمد تابعا له)) . وهذا كلام باطل قطعا، فحاشا لمحمد –عليه الصلاة والسلام- أن يدعي ذلك، لكن زعم الرجل هو الذي يُؤدي على هذا الضلال بالضرورة. و هذا منزلق خطير قد يُوصل صاحبه إلى الكفر.

ومن شطحاته أيضا أنه قال: ((فكلام النبي حق، وليس النبي تابعاً لجبرائيل بل جبرائيل تابع له، فهو الذي ينزّل الملك، ومتى أراد أن يرحل عنه تحقق ذلك))[1].

وأقول: هذا الرجل يتكلم بهواه ، ولا يتكلم بشرع صحيح،و بلا علم صحيح . و كان عليه أن يذكر دليلا يُثبت زعمه، لأن الزعم بلا حجة ليس دليلا،ولا يعجز عنه أحد. فالرجل يتعمد إثارة مثل هذه الشطحات والمخالفات الشرعية لغاية في نفسه. فمع ظهور وبداهة بطلانها فالرجل يقول بها ، وكأن الأمر عادي تماما، وكأن رأيه هو الحكم الفصل ، لا الشرع ولا العقل ولا العلم. و زعمه ظاهر البطلان، لأن الثابت قطعا أن جبريل رسول أمين من عند الله إلى محمد الأمين رسول الله ليُبلغه وحي الله ورسالته . فهما رسولان أمينان لله ،وعبدان مأموران مخلصان له. فلا جبريل تابع للنبي، ولا النبي تابع له، ولا يصح أن يكونا كذلك. فلماذا القول بمثل هذه الأباطيل، والشطحات ؟؟!!.

وربما يقول بعض الناس: هناك حالة يكون فيها الوحي تابعا للنبي، هي أن هذا الوحي لا ينزل إلا على ما يتفق مع طبيعة النبي البشرية. فأقول: هذه ليست تبعية، وإنما هي تكيف وتعامل بما يتفق مع طبيعته البشرية. ولم تتم من النبي ولا بطلب منه، وإنما تمت بأمر من الله تعالى، الذي اختار نبيه، وأنزل عليه وحيه بالطريقة التي أرادها واختارها. لقوله سبحانه: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 17.

بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى : 51) .ولم يكن للنبي-عليه الصلاة والسلام- في ذلك أمر ولا اختيار.

والموقف الثالث مفاده أن المؤلف قال: ((والخلاصة أنّ نبي الإسلام هو خاتم الأنبياء وأنّ دينه آخر الأديان وأنّ شخصيته آخر شخصية حقوقية نبوية، وعصره يمثّل آخر عصر من عصور تربية الأنبياء في تاريخ البشرية، وبعده لا يمكن أن تتوفر الأرضية المناسبة لولادة نبي جديد، والأهم من ذلك أنّ كلامه يستمد رصيده وقوته من شخصية النبي نفسه، ونحن نعتقد بهذا المعنى لخاتمية النبي ...))[1].

وأقول: قوله غير صحيح في معظمه، وفيه تحريف وتلبيس، وافتراء على الله ورسوله. لأنه أولا إن دين الإسلام ليس هو آخر الأديان ، لأن ظهور الأديان ليس له آخر، فهو مُستمر إلى نهاية العالم، فلا يُوجد أي مانع عقلي ولا واقعي يمنع من ظهور أديان جديدة. وهذا قد حدث فعلا بعد ظهور دين الإسلام، فقد ظهرت فرق مذهبية في التاريخ الإسلامي، هي في حقيقتها ليست مذاهب وإنما هي أديان قائمة بذاتها، بعضها انقرض وبعضها ما يزال موجودا إلى يومنا هذا . منها الفرق التي قالت بأُلوهية علي بن أبي طالب ،أو غالت فيه بطريق مباشر، أو غير مباشر، كالسبئية، والنصيرية ، وأمثالهما[2]. ومنها طائفة اليزيدية التي تعبد الشيطان[3]. وألم تكن الماركسية – الشيوعية- في المعسكر الإشتراكي ديانة أرضية ؟؟!!، و أليست العلمانية الآن ديانة أرضية عند أصحابها ؟؟!! .

فالإسلام ليس هو آخر الأديان، وإنما هو أول الأديان ظهورا، و ليس بآخرها، لأن الإسلام هو دين الله تعالى الذي ارتضاه للبشرية جمعاء منذ آدم عليه السلام، وبه جاءت كل الأنبياء. قال سبحانه : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19)،و(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 171.
[2] أنظر مثلا: الشهرستاني: الملل والنحل ، ص: 204، 220.
[3] أنظر مثلا: الموسوعة العربية العالمية، مادة: عبادة الشيطان .

تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13)،و(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)(النساء:163). فدين الله واحد ورسالاته كثيرة ، آخرها الرسالة الخاتمة التي أُرسل بهما النبي محمد-عليه الصلاة والسلام- . وعليه فدين الإسلام هو دين الله الذي جاءت به آخر الرسالات السماوية ،و ليس هو آخر الأديان السماوية.

وثانيا إن كلام النبي- عليه الصلاة والسلام- ، كان على نوعين: الأول كلام الله الذي أنزله عليه بواسطة أمين الوحي جبريل. وهذا هو القرآن الكريم، كان عندما ينزل عليه يأمر بكتابته فورا. وهذا لا يصح نسبته إلى النبي، لأنه كلام الله وليس بكلامه هو. والنوع الثاني هو كلام النبي الذي كان يُطبق به الوحي ، ويُشرّع به الأحكام التي لم تنزل بواسطة الوحي. وهذا الكلام كمضمون ليس من عنده، وإنما هو من دين الله تعالى، الذي كلفه الله تعالى ببيانه و تشريعه. ولهذا قال الله تعالى: (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً (النساء : 80).

وبناء على ذلك فكل ما جاء به النبي محمد –عليه الصلاة والسلام- من دين الإسلام ليس من عنده ،وإنما هو من عند الله تعالى. ولم يكن ذلك ((يستمد رصيده وقوته من شخصية النبي نفسه)) كما زعم الرجل!!. فالنبي كان يستمد شرعيته ودينه ونبوته من عند الله مباشرة، ولم يستمد ذلك أبدا من شخصيته، فهذا زعم باطل جملة وتفصيلا، ومن يقول به فهو إما جاهل بدين الإسلام، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه يتعمد القول بذلك لغاية في نفسه. إنه عليه الصلاة والسلام كان متلقيا لوحي الله تعالى ، ومَطبقا له، وكان أول المؤمنين والعابدين، ولم يكن مؤسسا لدين الإسلام،ولا مُخترعا له. والشواهد الشرعية على ذلك كثيرة جدا، منها قوله تعالى: (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (الجاثية : 18)،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (المائدة : 67)،و(لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذَّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)(آل عمران : 128).

والموقف الرابع يتمثل في قول المؤلف: ((وأساساً فإنّ شرط التبعية للنبي هو التبعية لتجاربه، لا فقط إتباع أوامره ونواهيه. فالشخص الذي يتحرك في خط الإقتداء بالنبي حقيقةً هو من يشاركه في أذواقه وكشوفاته القلبية أو من يكون متطفلاً على تجربته النبوية. فهذا الاقتداء والتبعية يمثّل حقيقة التدين العرفاني لا التدين الفقهي الذي يهتم بمراعاة الأوامر والنواهي الشرعية))[1].

وأقول: نعم إن الله تعالى أمرنا بإتباع نبيه محمد- عليه الصلاة و السلام- و جعله قدوة لنا ، قال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(الأحزاب:21)،و(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً (النساء : 65)،و(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(الحشر : 7). فالله تعالى هو الذي أمرنا بذلك،و هو الذي حدد مجاله، وليس الصوفية ولا الفقهاء هم الذين يأمرون به ،ولا يُحددون مجاله. وعليه فتوجد جوانب من حياة نبينا- عليه الصلاة و السلام- خصّه الله بها نحن غير مطالبين بالتأسي به فيها ، بل و يُحرم علينا متابعته فيها . منها التزوج بأكثر من أربعة نساء، والسعي للاتصال الروحي بجبريل ، لتكرار تجربة الوحي، لنكون أنبياء مثله ، أو لمعرفة و تذوق حقيقة النبوة وماهيتها. فهذا مع أنه مُستحيل أن نتمكن من تحقيقه، فهو أيضا حرام علينا طلبه. و من يُصر على أنه يتبع النبي-عليه الصلاة والسلام- في تجربته مع الوحي والنبوة، فهو إما أنه جاهل بدين الإسلام، ،وإما أنه لا يعي ما يقول ، و إما أنه صاحب هوى لا صاحب شرع و لا عقل.

وأما موضوع الأشواق والأذواق والمراتب الإيمانية ، فهي جزء أساسي من الإيمان في دين الإسلام، وهي تُمثل الجانب الوجداني منه، والذي سماه الشرع التزكية . وهذا لا يناله المسلم بمحاولة التأسي بالنبي –عليه الصلاة والسلام- فيما اختص به من أحكام و أحوال الوحي والنبوة، وإنما يناله المسلم بإخلاصه وصدقه، والتزامه بالشرع في كل أحواله. فيغمره الله

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 13.

تعالى بأنواره ، ويتدرج به في المراتب الإيمانية الصحيحة الخالية من أهواء وظنون وشطحات المنحرفين من العباد و الصوفية. قال سبحانه : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الحجرات : 14)،و(وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40)،و(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (الأنفال : 29)،و(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال: 2).

والموقف الخامس يتعلق بقول المؤلف: ((ليس الإسلام عبارة عن كتاب ومجموعة من الأقوال بل هو حركة تاريخية وتجسيد لتاريخ رسالة سماوية، إنّه البسط التاريخي لتجربة نبوية تدريجية الحصول. حيث تكون شخصية النبي في هذه الموقع محوراً وتمثل كل ما وهبه الله تعالى للأمّة المسلمة، ويدور الدين وتعاليمه حول محور هذه الشخصية من خلال التجربة الباطنية والخارجية للنبي))[1].

وأقول: قوله هذا فيه باطل كثير، و افتراء على الله ودينه ورسوله . لأنه أولا إن دين الإسلام ليس هو وليد نبوة محمد – عليه الصلاة والسلام- ، و إنما دين الله تعالى الذي جاءت به كل الأنبياء قبل خاتمهم محمد-عليه الصلاة والسلام- . قال سبحانه : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19)،و(شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ)(الشورى : 13). فهو دين مُحكم له أصول وفروع ، وعقائد و عبادات، ومعاملات ومفاهيم، وعلوم كثيرة، تجلى بالرسالة الخاتمة في القرآن الكريم. وهذا هو الجانب الأول من الدين الذي هو دين الله كوحي إلهي . و له من جهة أخرى جانب تطبيقي جسده في

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 21.

الواقع النبي- عليه الصلاة والسلام- و أصحابه الكرام. فدين الإسلام له جانبان ، وليس له جانب واحد فقط كما زعم الرجل . فقد كان بجانبه الأول وما يزال يُمثل دين الله تعالى الشامل الكامل، وله جانب تطبيقي تمثل في تطبيق الأنبياء وأتباعهم لهذا الدين. والأصل في الدين هو الجانب الأول- الدين كوحي- الذي يُمثل دين الله تعالى الذي جاء به كل الأنبياء دون استثناء.

وثانيا ليس صحيحا أن دين الإسلام بتعاليمه كان يدور حول شخصية النبي من خلال تجربته الباطنية والخارجية. فهذا زعم باطل، وفيه افتراء على الله ودينه و نبيه محمد- عليه الصلاة والسلام-.لأن دعوة الإسلام قامت ودارت حول الدعوة لدين الله تعالى : توحيدا، و تشريعا، و أخلاقا، و ممارسة ،و عبودية لله تعالى. ولم تكن أبدا كما زعم الرجل . فنبينا كان أول العابدين والمؤمنين والمجاهدين، و من ورائه أصحابه الغر الميامين. فقد كان عليه الصلاة و السلام كما قال له ربه : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)،و(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء : 107).

فمحور دعوة النبي- عليه الصلاة والسلام- هو الدعوة إلى الله تعالى ،وتعريف البشرية بدينه ،وتعبيدها له ، ولم تكن أبدا كما زعم الرجل. فحاشا لمحمد أن يجعل دين الله قائما على شخصيته ،ولا أن يجعلها هي دين الله تعالى. و لهذا خاطب الله تعالى الصحابة ومن جاء بعدهم بقوله : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)(آل عمران : 144). و عندما توفي نبينا قام أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- و قال كلمته الشجاعة والمشهور المعبرة حقا عند حقيقة دعوة الإسلام، فقال: ((ألا من كان يعبد محمدا -صلى الله عليه وسلم- فإن محمدا قد مات ،ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت))[1]. إنها كلمة عظيمة قالها الصديق الذي رباه النبي محمد- عليه الصلاة والسلام- وعلمه التوحيد الخالص والعبودية التامة لله تعالى، ولم يقل للناس : إن دين الإسلام يقوم على شخصية محمد ،وأنه محور دعوة الإسلام.

[1] البخاري: الصحيح ، ج 5 ص: 6 ، رقم: 3676.

ثم أن المؤلف أيد قوله السابق بكلام للصوفي سلطان بن جلال الدين الرومي في بيان العلاقة بين الشرائع السماوية وصفات الأنبياء وخُصوصياتهم ، بقوله :«إنّ اختلاف الشرائع يعود إلى اختلاف خصال الأنبياء، فكل شريعة جاءت متناسبة مع مزاج وطبيعة النبي المبعوث بها، فبما أنّ عيسى(عليه السلام) كان يتسم بالتجرد ولا يميل إلى النساء ولا يهتم بالزينة فقد جاءت شريعته وفق سماته هذه... وبما أنّ محمداً عليه السلام كان يتصف بحبه للنساء والطهارة و النظافة جاء دينه على هذه الصفة... لأنّ النبي يقع مورد الحب والمقبولية من الحق ولذلك يستجيب الله لرغباته»[1].

و أقول: هذا كلام باطله كثير وصوابه قليل جدا، و فيه طعن في الله و دينه ورسوله. لأنه أولا إن الثابت شرعا أن الله تعالى كان يرسل أنبياءه بدينه وبشرائع تناسب الأوضاع التي تعيشها الأقوام الضالة الذين أُرسل إليهم الأنبياء. فكان الأنبياء ينهونهم عما هم فيه من ظلال، ويُقدمون لهم التشريع الإلهي بديلا عما هم فيه جاهلية . فهذه الشرائع لم تكن من أجل الأنبياء، و إنما كانت موجهة أساسا لأقوامهم الضالين. بدليل قوله تعالى : ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ** لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (المائدة : 48). فالشريعة موجهة أساسا لأقوام الأنبياء ، لقوله سبحانه(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (المائدة : 49)، فالخطاب موجه للجميع و ليس للنبي فقط.

و مثال ذلك أيضا أن قوم شعيب لما انتشرت بينهم رذائل كثيرة ، منها التطفيف في الميزان ، أرسل إليهم شعيبا لينهاهم عن ذلك،و يأتيهم بالتشريع الصحيح . قال سبحانه :((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)(الأعراف : 85).

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 21.

وثانيا ليس صحيحا أن عيسى – عليه السلام- جاء بشريعة وفق سماته. لأن هذا النبي علمه الله تعالى التوراة والإنجيل ،و لم يأت بشريعة جديدة ، وإنما كان على شريعة موسى- عليه السلام – مُعدلة بعض الشيء. فالشريعة التي كان عليها هي شريعة التوراة التي تناسب بني إسرائيل، وقد احدث الله تعالى فيها تعديلات استجابة وتكيفا مع الظروف التي كان يعيش فيها بنو إسرائيل. قال سبحانه: (وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ)(آل عمران : 50).

وثالثا وليس صحيحا أن شريعة الإسلام جاءت على مزاج محمد- عليه الصلاة والسلام- فهذا كلام باطل من دون شك وافتراء على الله ورسوله، وإنما الصحيح أن شريعة الإسلام جاءت لتتناسب مع ختم النبوة، وعالميتها من جهة ، ولكي تُخرج المجتمعات البشرية كلها من الجاهلية إلى دين الإسلام من جهة أخرى. قال سبحانه :(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء : 107)،و(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(النحل : 89)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)،و(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(المائدة : 50).

وأليس من العيب ، ومن الخطأ الفاحش ،ومن الجريمة في حق نبينا محمد- عليه الصلاة السلام- الذي هو أول العابدين و المؤمنين و المجاهدين ، والذي قال له ربه :(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)، فمن الجريمة أن يُقال: إن الله تعالى حرم على المسلمين التزوج بأكثر من أربع نساء ، لكنه استجابة "الرغبات نبيه الجنسية" أباح له التزوج بأكثر من أربعة ، وحرّم ذلك على المسلمين !!. إنه كلام باطل بلا شك ، لأن محمدا النبي كان إنسانا عاديا معتدلا في رغبته الجنسية، ولم يكن شهوانيا، ولا عبدا لغرائزه وشهواته . إنه تزوج بامرة ثيب وهو شاب تكبره بنحو 15 سنة ، أمضى معها فترة شبابه و كهولته معها ، ولم يتزوج عليها ثيبا ولا بكرا. لكنه عندما انتقل إلى المدينة ، وتوسعت دعوته ،وكوّن دولة الإسلام، وانشغل بأعبائها الكثيرة والثقيلة، تزوج بأكثر من أربعة نساء ، معظمهن ثيبات كبيرات السن ، بعدما تجاوز

53 سنة. و من المعروف والثابت علميا أن الرجل تظهر عليه مظاهر الضعف الجنسي في الأربعينيات من عمره بشكل واضح. ثم يزداد ضعفه في الخمسينيات بدرجة أكبر، فقد يُجامع مرة في الأسبوع ، و ربما لا يستطيع إكمال العملية أصلا. فالرجل في هذه المرحلة تكفيه امرأة واحدة من جهة الرغبة الجنسية.
وبما أن الأمر كذلك ، فلماذا تزوج نبينا محمد- عليه الصلاة والسلام- أكثر من أربع نساء، وهو في تلك المرحلة الصعبة من حياة الدعوة الإسلامية ؟؟! . إنه لم يتزوج من أجل رغبته الجنسية، وإنما تزوج استجابة لمتطلبات الدعوة ، ومن يقول خلاف هذا فهو على خطأ كبير، ومن يُصر على ذلك، فهو إما جاهل ،وإما أنه لا يعي ما يقول، و إما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه.
وأليس من العيب، ومن الخطأ الفاحش ، ومن الكذب على الله ورسوله القول بأن الله تعالى كان – في تشريعاته- يستجيب لرغبات نبيه ؟؟!.إن هذا زعم باطل، لأن الله تعالى يُشرع بحكمته وعدله ورحمته ،ولا يُشرع لرغبة أحد ، فإن توافق التشريع مع الرغبة، فهذا لا يعني أنه استجابة لمجرد أنها رغبة فلان ، وإنما يعني أن التشريع جاء موافقا للرغبة، لأن هذه الرغبة كانت مشروعة ، فأقرها الله تعالى. ولو كان الله تعالى يستجيب لرغبات نبيه لمجرد أنها رغبات ، لَمَا انتقده وعاتبه في مواقف كثيرة ، سبق ذكر بعضها .

والموقف السادس مفاده أن المؤلف قال: ((فكلما جاء به النبي فهو حسن وجميل. وبما أنّ كلامه لا يصدر عن الهوى فهو عين الهداية. ولذلك فإنّ الدين هو التجربة الروحية والاجتماعية للنبي، ومن هنا يكون الدين تابعاً للنبي)).و ((حيث إنّ الدين يمثل خلاصة وعصارة التجارب الفردية والجمعية للنبي))[1].

وأقول: كلامه هذا فيه حق وباطل، و تغليط و تلبيس.لأنه أولا إن قوله: " فكلما جاء به النبي فهو حسن وجميل. وبما أنّ كلامه لا يصدر عن الهوى فهو عين الهداية". هو صحيح في عمومه لكنه يحتاج إلى تفصيل و تحديد

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 26،21.

وضبط . نعم ما جاء به النبي- عليه الصلاة والسلام – من وحي من عند الله فهو حق مُطلق دون نقاش، والمُتمثل في القرآن الكريم. وأما ما صدر عنه كاجتهاد وتطبيق عملي فلم يكن كله مقبولا عند الله تعالى، و لهذا انتقده وعاتبه في مواضع سبق ذكرها، ولم يُقره عليها،وبيّن له الفعل الذي كان عليه أن يفعله. و لهذا يصبح الصواب هو أن نقول: كل ما صدر عن النبي- عليه الصلاة والسلام- و أقره الله تعالى عليه ، فهو حق و عدل، و حَسَنُ وجَميل.

وثانيا ليس صحيحا أن دين الإسلام هو " التجربة الروحية والاجتماعية للنبي، ومن هنا يكون الدين تابعاً للنبي " . فهذا كلام فيه حق وباطل، وغير صحيح في عمومه. لأن دين الله تعالى سبق أن بينا أنه في جانبه الإلهي كوحي وعقيدة ،وشريعة وعلوم ، مُنفصل تماما عن الأنبياء، و كلهم جاؤوا بدين واحد هو هذا الدين الإلهي الذي سماه الله تعالى الإسلام. فالتجربة الروحية والاجتماعية للنبي محمد- عليه الصلاة والسلام- ليست هي الإسلام، وإنما أوصلت إلينا الإسلام كدين رباني في جانبه النظري كوحي من عند الله أولا، ثم مارسته وطبقته ثانيا. و عليه فلا يُمكن أن يكون الإسلام تابعا للنبي، ولا هو عصارة تجربته الفردية والجمعية، وإنما النبي هو التابع للإسلام، وهو أول المسلمين و المؤمنين والعابدين، ومن بعده أصحابه ومن جاء بعدهم. لأن دين الإسلام هو الذي أوجد محمد النبي، وهو الذي كلفه بأداء الرسالة، وهو الذي كان يتحكم فيه توجيها وأمرا ،ونهيا وعتابا. فأصبح النبي-عليه الصلاة والسلام- كما أمره ربه : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67) . فهذه هي العبودية التامة لله تعالى التي تشرف بها نبينا – عليه الصلاة والسلام- ، فكان عبدا شكورا تابعا لدين الله و ليس العكس كما زعم الرجل.

وأما قوله: ((((حيث إنّ الدين يمثل خلاصة وعصارة التجارب الفردية والجمعية للنبي))[1]. فهو أيضا قول باطل ، ومردود على صاحبه، لأن الإسلام هو دين الله تعالى الذي أنزله على نبيه محمد-عليه الصلاة والسلام-

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 26،21.

، وكلفه بتبليغه والدعوة إليه، وليس هو حصيلة ولا خلاصة التجربة النبوية. لأن دوره عليه الصلاة والسلام تمثل في التلقي والتطبيق والتبليغ، ولم يكن له أي دخل في تكوين دين الله تعالى، والأحكام التي سنها هو كانت بأمر من الله تعالى، ولم تكن من عند نفسه. ومن يقل بخلاف هذا فهو مفترٍ على الله ورسوله.

والموقف السابع عبّر عنه المؤلف بقوله:((إنّ العرب الجاهليين لم يستخدموا هذه المجموعة من المعاني والمفاهيم في مجال الدين ولم يتحركوا في كلماتهم ومخاطباتهم على مستوى تغيير تصوراتهم المعنوية والمعرفية، ولكن الوحي المحمدي هو الذي نفخ في هذه المفردات روحاً جديدة على أساس محورية «الله»، فالأدوات ومصالح البناء كانت متوفرة في مجمل الثقافة العربية ولكنّ محمداً هو الذي شيّد من هذه المواد عمارة روحية جديدة. إنّ استخدام النبي لهذه المواد والمفردات في بناء مدرسته الفكرية وتشييد مدرسته الدينية والمعرفية يعود إلى أنّ هذه الأدوات كانت سائدة لدى العرب قبل الإسلام إلى درجة أنّهم كانوا يتقبّلون ويفهمون معاني الآيات بدون تأمل، ويدركون صحة هذا الادّعاء القرآني بدون تردد: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ))[1].

وأقول: قوله هذا باطل جملة و تفصيلا، و فيه تغليط وتدليس ،و افتراء على الله ورسوله. لأنه أولا إن اللغة كلغة هي وسيلة للتواصل وليست هي التي تُنشئ الأفكار والمفاهيم ،والمعاني والتصورات، وإنما هي حاملة لذلك فقط. ولهذا قد نجد مجتمعا واحدا يتكلم بلغة واحدة لكنه مُقسم إلى نِحل وأديان ومذاهب كثيرة متصارعة ، كلبنان مثلا. فليست اللغة هي التي فرقتهم، ولا هي التي قادرة على توحيد أفكارهم وأديانهم ومذاهبهم . فالرجل بالغ في توسيع دور اللغة لغاية في نفسه. فاستخدام دين الإسلام للغة العربية كوسيلة تبليغ، هو أمر عادي وطبيعي، لأنه ليس من الحكمة أن يُرسل النبي إلى قومه بغير لغتهم. و لهذا قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 53.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(إبراهيم : 4) ، فكل الرُسل أُرسلوا إلى أقوامهم بلغاتهم ، وليس هذا خاصا بنبينا- عليه الصلاة والسلام-.

علما بأن وجود اللغة العربية ، واستخدام الله تعالى لها كلغة لوحيه، لا يعني أن المفاهيم والتصورات والعقائد والتشريعات كانت متوفرة في مجمل الثقافة العربية كما زعم الرجل، ولا أن اللغة العربية وبيئتها هي التي أوجدتها . فهذا زعم باطل من دون شك ،لأن الإسلام هو دين الله تعالى أنزله على نبيه الخاتم ، ليُخرج العرب والبشرية جمعاء من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الأهواء والشياطين والأوثان إلى عبادة الله الواحد القهار. قال سبحانه : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(الجمعة : 2)،و(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)(سبأ : 28)،و(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء : 107).

وثانيا إنه من الأولى ومن الأصوب، و الأحوط و الأصح أن نسمي القرآن الكريم بالوحي الإلهي ولا نسميه بالوحي المحمدي لأمرين أساسيين: الأول هو أن الله تعالى لم يسم كلامه بأنه وحي محمدي ، وإنما قال له: (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً)(النساء : 163)،و(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى : 51) . فالقرآن هو كلام الله ووحيه، فهو وحي إلهي وليس وحيا محمديا.

والأمر الثاني مفاده أن تسميته بالوحي المحمدي يحتمل معنيين متناقضين: إنه وحي الله الذي أنزله على محمد- عليه الصلاة والسلام- ،وأنه وحي جاء به محمد من عند نفسه، و ليس من عند الله . وهذا المعنى هو الذي يقصده المُنكرون لنبوته- عليه الصلاة والسلام- .وهو نفس المعنى الذي يقول به عبد الكريم سروش عندما زعم أن القرآن هو وليد تجربة محمد الوجدانية، وعندما سوى بين تجربته وتجربة الشعراء و الحكماء، وكلامه المنقول أعلاه صريح بأن محمدا هو مُنشئ القرآن.

وثالثا إن قوله: ((ولكنّ محمداً هو الذي شيّد من هذه المواد عمارة روحية جديدة. إنّ استخدام النبي لهذه المواد والمفردات في بناء مدرسته الفكرية وتشييد مدرسته الدينية والمعرفية)). فهو كذب ، وافتراء مُتعمد على الله ورسوله، وعلى التاريخ. فمن أين لسروش بأن محمدا هو الذي فعل ذلك ؟؟!. إنه لم يذكر دليلا صحيحا ولا ضعيفا، وإنما اعتمد على ظنونه و أهوائه، (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى)(النجم : 23) .و متى كانت الأهواء والظنون بذاتها أدلة يُعتمد عليها و يُحتج بها في مجال العلم والاستدلال ؟؟!!.

إن وحي الله تعالى- دين الإسلام- ليس محمد هو الذي شيده، ولا هو الذي ابتدعه من عنده، ولا هو الذي جاء بألفاظه ومفاهيمه وأصوله وفروعه. ولم يقل النبي محمد- عليه الصلاة والسلام- للناس أن هذا القرآن هو من عنده ،ومن تأليفه وتكوينه وتشييده ، وإنما هذا الرجل- سروش- وأمثاله هم الذين كَذّبوا محمدا وكذبوا عليه. فالقرآن الكريم هو كلام الله ووحيه، لقوله سبحانه :(تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ)(السجدة : 2)،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67)، و(إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً (النساء : 163). ولا قيمة لمزاعم وأكاذيب سروش وأمثاله أمام هذه الآيات البينات الدامغات القطعيات التي تفضح و تُبطل مفتريات و مزاعم هؤلاء.

وإنه لمن الكذب المفضوح ، والافتراء المُتعمد، ومن قلة الحياء، ومن التحريف المقصود أن يزعم هذا الرجل بأن محمدا شيد مدرسة فكرية ودينية ومعرفية !!!!. فمن أين له هذا الزعم الباطل ؟؟!!. أليس هذا افتراء مُتعمد عن سبق إصرار وترصد ؟؟!!.إن محمدا- عليه الصلاة والسلام- لم يفعل ذلك، ولا قاله أبدا ، وإنما قال للعالم بأسره بأنه رسول رب العالمين جاء بالدين الذي اختاره الله ورضيه لعباده. قال سبحانه : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ

يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)(الأعراف : 158)،و(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء : 107) . فمحمد- عليه الصلاة والسلام- ليس فيلسوفا، ولا عالما، ولا مفكرا، ولا صاحب مدرسة فكرية ، و إنما هو رسول رب العالمين . فلماذا يأتي المفترون ويكذبون عليه عن تعمد وسبق إصرا وترصد ؟؟!!. ألا يستحي هؤلاء عندما يتعمدون الكذب عليه ؟؟!!.

ورابعا ليس صحيحا أن العرب كانوا يفهمون كل ما ورد في القرآن الكريم، ويفهمون آياته من دون تأمل. فهذا باطل ولم يحدث، لأن كون القرآن باللغة العربية لا يلزم أن العرب كانوا يفهمونه كله وبسهولة.لأن اللغة وحدها لا تكفي لفهم القرآن الكريم، فلابد من توفر معطيات علمية، و منهاج سليم يساعد على فهمه. وهذا أمر مشهود بيننا الآن ، فليس كل من يعرف العربية يستطيع فهم كل القرآن وبسهولة!!.

والحقيقة هي أن في القرآن آيات واضحة سهلة الفهم كان العرب يفهمونها بسهولة. ومنه آيات أخرى لم يكونوا يفهمونها إلا بالعودة إلا القرآن نفسه لكي يفهمونها ، لأن القرآن كتاب مبين يُفسر نفسه بنفسه. و لهذا أمرنا الله تعالى بتدبره وفهمه . قال سبحانه : (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص : 29)،و(أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً)(النساء: 82). و منه آيات لم يكونوا يفهمونها ، فكان النبي- عليه الصلاة والسلام- يُبينها لهم ، لقوله تعالى:(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل : 44). ومنه آيات جاءت بأخبار وحقائق لم يكن للعرب علم بها. قال تعالى: (تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ)(هود : 49).

وخامسا إن قوله تعالى: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)(القمر : 17)، ليس ادعاءً كما زعم الرجل وإنما هو حقيقة ،ولا يصح وصف وحي الله تعالى بأنه ادعاء ،وهذا كلام لا يقوله مُسلم يعي ما يقول، وصادق مع نفسه. وتلك الآية لا تعني أن الله تعالى جعل القرآن سهل الفهم إلى درجة أن العرب وغيرهم سيفهمونه من دون تأمل. وإنما المقصود من ذلك أن الله

تعالى يسر فهم القرآن لمن أراد وطلب فهمه، والتزم بالمنهج الصحيح في فهمه،ولا يكون من الذين في قلوبهم زيغ ، فيتركون مُحكماته،و يتبعون آياته المتشابهات لغايات تحريفية في أنفسهم. فالقرآن الكريم وضع لنفسه منهجا لفهمه ، ومن انحرف عنه فلن يفهمه فهما صحيحا، وسيكون من الذين قال الله تعالى فيهم: (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً)(الإسراء : 46). فليس كل من قرأ القرآن تمكن من فهمه فهما صحيحا، وليس كل من قرأه انتفع به ، فقد تكون قراءته سببا في ضلال وانحراف كثير من قرائه، الذين لم يقرؤوه بمنهج صحيح !!!.قال سبحانه :(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ)(الأعراف : 146).

وسادسا ثم أن المؤلف تابع كلامه فقال: ((ولكن مازالت حقيقة فخمة باقية أمامنا، حيث قلنا إنّ الدين قبل أن يأتي بتصورات ومفاهيم جديدة جاء بتطبيقات وتصديقات جديدة ومنظومة جديدة من المصطلحات المعرفية. ونضيف أنّ هذه التصديقات «القضايا والعبارات» هي في الواقع أسيرة التصورات «المفاهيم والمفردات» ولذلك فإنّ امتلاك تصورات معينة ومحدودة يؤدي إلى تحديد وتضيق ميدان العمل بالتصديقات، ... ومعنى هذا الكلام هو أنّ لباس ثقافة المجتمع «من اللغة والذوق ونمط المعيشة ...والتقاليد والمفاهيم الفكرية، إلى الرصيد اللغوي من المفردات وغير ذلك» قد يضيّق الفضاء على العقيدة والفكر، ولا محالة أن ينعكس هذا الضيق والتعقيد على مجمل المنظومة الفكرية والدينية))[1].

وأقول: كلامه هذا لا يصح ولا يصدق على كلام الله تعالى، ومن الخطأ الفادح نسبته إليه. و هذا الرجل يتعمد قول هذا الباطل لأنه مُصر على عدم التفريق بين كلام الله وكلام البشر، و بين كلام النبي وكلام غيره من الناس. والحقيقة هي أن وحي الله تعالى منذ أن بدأ ينزل جاء بأوامره ونواهيه ،ومفاهيمه ومصطلحاته في وقت واحد، فلم يحدث أي فصل بين مضامينه ومفرداته وعباراته. وأول ما نزل من وحي الله تعالى جمع بين ذلك، وهو

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 55.

شاهد دامغ على بطلان زعم الرجل، قال تعالى: (قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ)(العلق:1-2)

وإذا كان الفكر البشري كثيرا ما يعجز عن التعبير لأن اللغة قد تخونه ولا تطاوعه بمفرداتها و مصطلحاتها، فهذا لا يحدث مع كلام الله تعالى- القرآن الكريم- ، ولا يصح القول به ، ومن يقوله فهو يتكلم بلا علم، ويفتري على الله تعالى. فمن أين له أن القرآن الكريم وجد ضيقا ونقصا في اللغة العربية، فلم تطاوعه في التعبير عن دين الله تعالى؟؟!!. ليس للرجل أي دليل، فهو يتكلم بلا علم، وينطلق من ظنونه وخلفياته المذهبية. وهل يُعقل أن يُقال: إن الله تعالى وجد ضيقا وحرجا ومُشكلة في التعبير عن كلامه، لأن اللغة العربية-أو أي لغة أخرى- لم تطاوعه ولم تمده بالمفردات والمصطلحات الكافية والمطلوبة؟؟؟؟!!!!. إن هذا كلام باطل جملة وتفصيلا، ومن يقوله فهو إما أنه جاهل ، وإما أنه مريض ولا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى يتعمد القول بذلك لغاية في نفسه. إن الله تعالى فعال لما يريد، و يفعل ما يشاء ويختار، وإذا أراد شيئا فيقول له: كن فيكون ،و هو خالق العباد ولغاتهم. وعليه فهو سبحانه عندما تكلم باللغة العربية- وغيرها من لغات الوحي- لم يجد فيها ضيقا ولا نقصا في القدرة عن التعبير عن دينه، وتوصيله إلى بني آدم. فكلامنا هذا يقوله الوحي والعقل والعلم، وأما زعم عبد الكريم سروش فهو زعم باطل،و مردود عليه، وليس من الشرع ،ولا من العقل،ولا من العلم في شيء.

ونفس الأمر ينطبق على النبي- محمد-عليه الصلاة والسلام- فهو ليس إنسانا عاديا حتى يُقال: إنه كان عاجزا عن التعبير بما أُمر به ، لأن اللغة العربية لم تطاوعه ،ولم تمده بالمفردات والمصطلحات الكافية. فهذا زعم باطل ولا يصدق عليه، لأنه-عليه الصلاة والسلام- كان رسولا معصوما مُؤيدا ومحروسا بالوحي، وكان أيضا عربيا بليغ اللسان. فليس من الشرع ولا من العقل أن يُكلف الله تعالى نبيه الخاتم بتبليغ دينه، وهو غير قادر لغويا على التبليغ الكامل والصحيح!!!!.

علما بأن ما يجده البشر من عجز في لغاتهم في التعبير عن كثير من أفكارهم ، فالأصل في هذا العجز يعود بالدرجة الأولى إلى عجز الإنسان نفسه ، في عدم قدرته على التطوير والإبداع والابتكار. لأن اللغة تابعة

لأصحابها، فتحيى بحياتهم، وتزدهر بازدهارهم. وهذا أمر ثابت بدليل التاريخ والواقع ، فلا يصح أن نبرر عجزنا وسلبيتنا بدعوى أن اللغة عاجزة عن التعبير عن كثير من أفكارنا. فهذا العجز الذي نجده ونحس به يعود إلينا بالدرجة الأولى، ولا يعود إلى اللغة ، لأنها جزء منا، ونحن الذين نتحكم فيها.

والموقف الثامن مضمونه أن المؤلف عبّر عن موقفه من قضية مصدر الوحي الإلهي بطريقة كشفته على حقيقته بأنه ينكر كون القرآن كلام الله حقيقة من جهة ، وأنه لا يُفرق بين كلام الله وكلام نبيه، وإنما جعلهما كلاما واحدا . فقال : ((فأنا لا أعتقد أنّ الله كان يعلم أنّ الشخص الفلاني سوف يسأل من النبي السؤال الفلاني وقد أعدّ الله تعالى الآية القرآنية المرتبطة بهذا السؤال مسبقاً وانتظر إلى أن يأتي هذا الشخص ويسأل تلك المسألة ثم ينزل الآية على النبي. فبالإمكان النظر إلى هذه المسألة من جهة أخرى، وهي أن نقول إنّ النبي عندما واجه هذا السؤال فنفس هذا السؤال عمل على تفعيل الجواب في نفس النبي))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا ومخالف للشرع مخالفة صريحة. لأنه أولا فهو كشخص له أن يُنكر علم الله تعالى المُسبق كما أنكره نُفاة الصفات، فهو على شاكلتهم. لكن فليعلم أنه مُخطئ في ذلك ومخالف للشرع ،والعقل والعلم. فأما شرعا فالله تعالى وصف نفسه في آيات كثيرة بأنه عالم ،وعلام الغيوب، وعالم الغيب والشهادة، وأنه خلق كل شيء وقدره تقديرا مُسبقا قبل أن يخلقه، وهذا هو المعروف بالقضاء والقدر[2]. من ذلك أن الله تعالى أخبر ملائكته بأنه سيخلق بشرا ويجعله خليفة في الأرض قبل أن يخلقه ، فلما خلقه أمرهم بالسجود له.قال سبحانه: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة : 30) . فهذا نموذج واضح بأن الله تعالى يعلم مُسبقا كل ما سيخلقه، وقدره وقضاه قبل أن يُخلق في الواقع، مما يعني أن الأمر الذي أنكره الرجل، هو ممُكن وليس مُستحيلا ولا عيبا ،ولا نقصا. فما المانع من أن يكون الله تعالى هيأ وحيه مُسبقا حسب حوادث الدعوة الإسلامية التي ستحدث؟؟!!. لا يُوجد أي

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 115.
[2] ليس هنا مجال التوسع في ذلك وذكر النصوص الشرعية عليه، فالموضوع مذكور في كتب العقائد.

مانع، بل هذا هو الحق،وقد سبق أن تناولنا هذا الموضوع وبينا أن الوحي الإلهي كان جاهزا قبل إنزاله. وهذا ليس نقصا ولا عيبا ،وإنما هو من كمال الألوهية وموجباتها.

وبما أن الأمر كذلك، فالله تعالى عندما كلّم نبيه بالوحي ،وكلفه بالرسالة و أنزل عليه الوحي مُفرقا ، كل ذلك كان في علم الله وقدره منذ الأزل. وأما هل تكلم به قديما ، أو تكلم به عندما أنزله على نبيه، أو تكلم به مرتين، أو منه قسم تكلم به قديما ،وآخر تكلم به عندما أنزله على رسوله ؟. فالله تعالى فعال لما يريد، ويفعل ما يشاء ويختار،وهو العليم الحكيم. لكن الحقيقة الثابتة هي أن الوحي هو كلام الله ،وليس هو نتاج التجربة النبوية ولا الحوادث التاريخية المحيطة بها.

وأما عقلا فلماذا لا يكون الله تعالى يعلم كل ما سيحدث مُسبقا ،وأنه قدر كل شيء وقضاه قبل خلقه في الواقع؟؟!! أليس هذا الفعل يدل على عظمة الخالق وقوته ، وكمال علمه وحكمته؟؟ . وهل يُعقل إن الإله الخالق العظيم لا يكون على علم بما سيحدث مُستقبلا ؟؟، وأليس أن الكائن الذي لا يعلم ذلك، هو كائن ناقص ، وأن الذي يعلمه هو كائن كامل؟؟!!. وهل يُعقل أن يكون الإنسان مع أنه لا يعلم الغيب يستطيع أن يتنبأ ويقرأ المستقبل قراءة علمية ، فيحدث ما استشرفه ، لكن خالقه لا يعلم ما سيحدث مُستقبلا ، فيكون المخلوق أفضل من خالقه ؟؟!!. فأين العقل يا رجل ؟؟!!.

وأما من الناحية العلمية ، فتوجد شواهد وحقائق علمية تتعلق بنشأة الكون وظهور مخلوقاته إلى نهايته ، تشهد كلها على أن خالق هذا العالم قبل أن يخلقه كان عالما بكل ما سيحدث له ، وأنه قدّره تقديرا وقضاه قضاءً ، فحدث كل شيء كما قدّره. إنه بناءً على نظرية الانفجار العظيم إن الكون بدأ بانفجار عظيم أدى في النهاية إلى ظهور عالم غاية في الدقة والعظمة، والاتساع والإعجاز، والحكمة والجمال. مع أن المعروف أن الانفجارات تؤدي إلى الدمار والهلاك ، لا إلى البناء والإحكام ، ولا إلى العظمة والإعجاز!!. فماذا يعني هذا ؟؟!!. ثم عندما تكونت الأرض تهيأت لاستقبال المخلوقات التي ستعيش عليها. فظهر الهواء، ومنه تكوّن الماء في البحار، لأنه لا ماء دون أُكسجين وهيدروجين. ثم ظهرت الكائنات البحرية، لأنه لا ظهور لها دون ماء وهواء. ثم ظهرت النباتات على اليابس ، لأنه لا نبات دون وهواء وماء. ثم ظهر الحيوانات البرية ، لأنه لا حيوانات دون هواء،

وماء، ونبات . ثم في النهاية ظهر الإنسان ، فوجد الأرض كلها مُهيأة له ، بضروريات الحياة وكمالياتها. لأنه أولا لا إنسان دون هواء، وماء، نبات . ثم ثانيا شرع في عمارة الأرض واستخراج خيراتها وكنوزها ، فوجدها مفتوحة أمامه ،وأخرجت له بركاتها وكنوزها، فأكتشف طاقة الخشب، ثم الفحم ، ثم البترول، ثم الكهرباء، ثم الطاقة النووية ، ثم ... ثم نهاية الكون. فماذا يعني كل ذلك ؟، ولماذا حدثت كل تلك الحوادث وغيرها ؟ . إن ذلك يدل على أن الخالق عز وجل كان عالما بكل ما سيحدث، وأنه قدر كل حوادث الكون وقدرها وقضاها وفق علمه وحكمته، وقوته ورحمته وعدله سبحانه وتعالى. فالرجل أخطأ خطأ فاحشا في قوله السابق، خالف به الشرع الصحيح، والعقل الصريح،والعلم الصحيح.

وثانيا إن الرأي الذي قال به المؤلف كبديل للرأي الأول بقوله: ((فبالإمكان النظر إلى هذه المسألة من جهة أخرى، وهي أن نقول إنّ النبي عندما واجه هذا السؤال فنفس هذا السؤال عمل على تفعيل الجواب في نفس النبي))[1]. فهو رأي غير صحيح ، ومُخالف للشرع مخالفة صريحة، بل هو إنكار لما هو ثابت من الشرع بالضرورة.لأن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان يُفرق بين الوحي- كلام الله- وبين كلامه هو شخصيا. فعندما كان ينزل عليه القرآن يأمر كُتابه بكتابته تمييزا بين كلام الله وكلام نبيه. بل وأمر المسلمين بأن لا يكتبوا عنه إلا القرآن ، ومن كتب عنه شيئا غيره فليمحه[2].

وأما سلوكيات النبي واجتهاداته وتصرفاته فهي تندرج ضمن سنته وليست من كلام الله. وهذا الأمر هو الذي يُنسب إلى النبي- عليه الصلاة والسلام- ، وليس هو من كلام الله تعالى، لكنه من شرعه. ويُؤكد هذا أيضا أن الله تعالى كثيرا ما تدخل وقوّم وعاتب نبيه في بعض تصرفاته من جهة، وكان نبي الله يتوقف في مواقف كثيرة ينتظر تدخل الوحي الإلهي ليأذن له، أو ليأتيه بالجواب ردا على الأسئلة التي طُرحت عليه. فالوحي الإلهي ليس من ذات النبي،ولا من اجتهاداته،ولا من الظروف المحيطة به، وإنما هو كلام الله تعالى لفظا ومعنى.ومن يقول بخلاف هذا فهو إما جاهل بدين الإسلام وتاريخه، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى يتعمد

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 115.
[2] سبق توثيق ذلك .

قول ذلك لغاية في نفسه. وفي هذه الحالة يكون قد تعمد تكذيب الله ورسوله والكَذِب عليهما عن سبق إصرار وترصد.

والموقف الأخير- التاسع من المبحث الثاني- مفاده أن المؤلف قال: ((عندما يكون رمي النبي هو رمي الله تعالى: "وَمـا رَمَيتَ إذ رمَيتَ ولَكنَّ اللهَ رَمى"، فيكون قوله أيضاً قول الله تعالى، ومن هنا فإنّ فهم النبي بدوره فهم الله والوحي ليس شيئاً سوى نوع من الإدراك الخاص للنبي))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح تماما، وفيه تحريف وتغليط وتدليس على القراء.لأنه أولا ليس صحيحا أن رمي النبي هو رمي الله، لأن الآية لم تنص على ذلك مُطلقا، ولا كان النبي- عليه الصلاة والسلام- يقول بأن رميه- أثناء ممارسته للرمي- هو رمي لله تعالى. وإنما الآية ذكرت رميتين : رمي من النبي، ورمي من الله تعالى، وهذا يعني أن كلا منهما له رميه من دون شك. وأما لماذا قال الله بأنه هو الذي رمى ؟؟!. فهذا لا ينفي رمي النبي، وإنما يبدو أن الرمي جُعل رميا من الله لأمرين: الأول هو أن الله تعالى هو الذي أمر نبيه برمي المشركين الذين كانوا في المعركة. والثاني أن الله تعالى هو الذي أوصل قبضة التراب التي رماها نبيه فأوصلها إلى المشركين وشاهت وجوههم. لأن رمية النبي-عليه الصلاة والسلام- لوحدها لا يُمكنها أن تفعل ذلك. وبهذا يكون الله تعالى هو الرامي الفعلي من جهتين: أمره بالرمي، وتوصيل التراب إلى الكفار وإصابة هدفه. و من جهة أخرى فإن النبي هو الرامي الفعلي أيضا من ناحية أنه هو الفاعل المنفذ لعملية الرمي. وبهذا يتضح أن رمية النبي ليست هي رمية الله تعالى ولا العكس. وبذلك لا يكون كلام النبي هو كلام الله ، وإنما النبي كان مُتلقيا وناقلا لكلام الله .

وثانيا إن الشواهد على بطلان زعم الرجل بأن كلام النبي هو كلام الله، كثيرة جدا. منها أن القرآن الكريم فرّق صراحة بين كلام الله تعالى وكلام نبيه كقوله تعالى: (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ)(التوبة : 6)، فلو كان كلام النبي هو كلام الله، ما قال له ذلك، لأن المشرك سيسمع كلام النبي

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 212.

بالضرورة بحكم أنه سيتحدث معه!!.فدلّ هذا على أن كلام النبي ليس هو كلام الله.

ومنها أن الله تعالى تحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثل القرآن الكريم الذي هو كلامه، ولم يتحداهم بأن يأتوا بمثل الكلام الذي يتحدث به النبي-عليه الصلاة والسلام-. قال تعالى:(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)(الإسراء: 88). مما يعني أنه سبحانه كان يفرق بين كلامه وكلام نبيه -عليه الصلاة والسلام-.

ومنها قوله تعالى:(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(الحشر: 7). وهذا أمر منه سبحانه بإتباع سنة نبيه الفعلية والقولية من جهة، وهو شاهد دامغ على أن الله تعالى فرّق بين كلامه وأوامره ،و بين كلام وأفعال نبيه من جهة أخرى. فنسبها إلى رسوله، ولم ينسبها إلى نفسه.

علماً بأنه لا يُوجد في القرآن كله آية واحدة نصت على أن كلام النبي الشخصي هو كلام الله، وإنما يوجد فيه التأكيد على طاعة النبي- عليه الصلاة والسلام-، وأن طاعته واجبة ، ومن أطاعه فقد أطاع الله تعالى.

وأما من السنة النبوية، فمن الثابت قطعا أن النبي-عليه الصلاة والسلام- كان يفرق بين كلامه وكلام الله قولا وفعلا. فعندما كان ينزل عليه الوحي يأمر بتدوينه مباشرة ، على أنه كلام الله، ولم يكن يأمر بتدوين كلامه هو. بل إنه صح الخبر أنه نهى أن يُدون عنه غير القرآن ، وأمر من كتب عنه غير القرآن فليمحه[1]. فهذا دليل قاطع على أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان يُفرق بين كلامه وكلام الله تعالى ، ولم يكن يعتقد أن كلامه الشخصي من كلام الله كما زعم الرجل.

ومن ذلك أيضا أنه يتبين من عتاب الله تعالى لنبيه في بعض مواقفه القولية والفعلية أن التفريق بين كلام الله تعالى وكلام نبيه كان قائما ومعروفا بين المسلمين.لأن تدخل الله تعالى لعتاب نبيه يعني قطعا أن ما قام به النبي قولا وفعلا كان من كلامه واجتهاده ، ولم يكن كلاما لله تعالى.

[1] أنظر مثلا: مسلم: الصحيح ، ج 8 ص: 229 ، رقم: 7702.

ومنها أيضا المواقف التي كان فيها النبي –عليه الصلاة والسلام- يتوقف فيها عن القول ،أو الفعل، أو هما معا. فكان أحيانا يُسأل فلا يجيب و ينتظر نزول الوحي، فينزل الوحي مُسجلا للحادثة و مُجيبا عن السؤال كما في قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً)(الكهف : 83)،و(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)(البقرة : 189).فلو كان كلام النبي هو كلام الله ما توقف، ولما انتظر حتى ينزل عليه الوحي لكي يُجيب.

ومنها أيضا أنه يتبين من سيرة الصحابة أنهم لم يكونوا يعتقدون أن كلام النبي الشخصي هو كلام الله . فعندما جمعوا القرآن الكريم جمعوه على أنه كلام الله، ولم يلحقوا به كلام النبي على أنه من كلام الله. بل إنهم لم يجمعوا السنة النبوية أصلا، وكانوا يتعاملون معها ، ويسألون عنها على أنها كلام النبي-عليه الصلاة والسلام- لا على أنها كلام الله[1].

ومع وضوح وبديهة ما ذكرناه ، وهو من قطعيات الشرع و مقتضياته ، فإن هذا الرجل جعلنا نتوقف عند هذا الأمر ونناقشه فيه ، وكأنه أمر ضني مشكوك فيه، وليس من قطعيات دين الإسلام.إنه زعم ذلك من دون دليل صحيح من الشرع ولا من العقل، ولا من العلم، وإنما أثاره انطلاقا من رغباته وخلفيته المذهبية الفاسدة لغاية من نفسه. وإلا لماذا هذا التغليط والتلبيس،والإصرار على التأويل التحريفي للوحي؟؟!!، وأية فائدة من هذا التأويل الفاسد ؟؟!! .

وبذلك يتضح من تلك المواقف أن قول المؤلف بأن النبي-عليه الصلاة والسلام- هو مصدر الوحي. ما هو إلا خرافة من خرافته التي بنى عليها مزاعمه السابقة. وقد تبين بالأدلة القطعية بطلان تلك المزاعم بدليل الشرع والعقل والعلم، وأنه لم يكن لدى الرجل إلا ظنونه ورغباته ومذهبيته، اتخذها مُنطلقا ليصل إلى إنكار كون القرآن الكريم كلام الله تعالى.

ثالثا: نقض تسوية المؤلف بين الوحي والرؤيا:

بعدما زعم المؤلف أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان هو مصدر الوحي، فهو بهذا يكون قد أنكر كون القرآن كلام الله تعالى من جهة ، وجعله ظاهرة بشرية يُمكن أن تتكرر ونجد لها مثيلا في الظواهر البشرية من جهة ثانية. ومن هذا المنطلق الفاسد سوى المؤلف بين النبوة والأحلام

[1] أنظر مثلا: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 60 وما بعدها.

التي يراها الناس في مناماتهم . فمن ذلك أنه قال:((النقطة الأخرى: عندما نتحدّث ونبحث في ظاهرة الوحي ففي الواقع أنّ بحثنا ينطلق من خارج دائرة الوحي وناظر من الخارج إلى حادثة وظاهرة باسم الوحي الذي تمظهر في المجتمع العربي وألقي في روع النبي وضميره. فلو أردنا إثبات أو نقض هذا المدعى من خلال القرائن والشواهد فلابدّ أن تكون هذه القرائن والشواهد من خارج دائرة الوحي، لأنّ الرجوع في مقام إثبات المدعى إلى النصوص وإلى داخل دائرة الوحي «نفياً وإثباتاً» لا يعتبر عملاً سليماً وصحيحاً من الناحية «المتدولوجية». أي لا يمكن القول بأنّ الآية القرآنية الفلانية تقرر بطلان أو إثبات هذه النظرية. فجميع الآيات تقع ضمن دائرة هذه النظرية التي طرحناها من خارج الدائرة، بشرط أن تكون هذه النظرية صحيحة في منطق العقل والعلم. فلو كانت هذه النظرية صحيحة وصادقة فإنّها ستستوعب جميع هذه الموارد، وحينئذ فلابدّ من تفسير الآيات وفقاً لهذه النظرية بحيث تبقى هذه النظرية سليمة ولا تتنافى ظاهراً مع الموارد المذكورة))[1].

وأقول:كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، بناه على منهج منحرف عن الاستدلال العلمي الصحيح، لغاية في نفسه. لأنه أولا إنه من الثابت في علم المناهج أن الموضوع هو الذي يُحدد مناهجه ومصادره، وبما أننا نتكلم في موضوع الوحي الإلهي ،وليس الوحي الإنساني، فإن هذا يعني أننا نخوض في موضوع غيبي –لكنه حق- لا يُمكننا أن نجربه ،أو نحس به ،ولا أن نُكرره لنرصد آثاره بعد ختم النبوة. فما هو مفهوم الوحي شرعا، وما هي المصادر التي توفر المعطيات الصحيحة المتعلقة بالوحي الإلهي؟، وما هي المناهج التي تساعدنا على دراسة ظاهرة الوحي الإلهي؟.

بالنسبة لمعنى الوحي في القرآن فله عدة معانٍ وردت في كتاب الله، يهمنا منها الوحي المتعلق بالنبوة، عامة ونبوة محمد-عليه الصلاة والسلام- خاصة . فمن ذلك قوله تعالى: (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ)(النحل : 68)،و(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)(فصلت : 12). لكن المعنى الذي يتعلق

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 117.

بوحي النبوة بدقة ووضوح فهو يتمثل في قوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى:51).فالوحي الإلهي هو تكليم الله لنبيه ، فهو اتصال تكليمي بينهما، إما وحيا مباشرة، وإما من وراء حجاب، وإما أن يرسل ملكا إلى نبيه فيوحي إليه بإذن الله ما يشاء. والوحي القرآني تم بالطريقة الثالثة ، فكان أمين الوحي جبريل-عليه السلام- هو الرسول الأمين بين الله تعالى ونبيه الخاتم محمد-عليه الصلاة والسلام-.

وأما فيما يخص المصادر فإنه من المنطقي جدا، ومن المفروض شرعا وعقلا وعلما أن نرجع إلى مصدر الوحي نفسه، فالوحي الإلهي ليس وحيا بشريا ، ومن ثم ليس له مصدر بشري، وعليه فيجب علينا أن نتعرف على الوحي: حقيقته ومظاهره، وكيفيته من مصدر الوحي وهو الله تعالى. فهو الوحيد الذي يستطيع أن يتكلم عن معنى الوحي كلاما صحيحا يقينا لا شك فيه. فعلينا أن نتعرف عليه من القرآن الكريم، فنتعرّف على وحي الله بوحي الله.

ثم ما هو المصدر الثاني لمعرفة الوحي الإلهي ؟؟ إنه بما أن الوحي يتم بين الله تعالى ونبيه المتلقي للوحي، فمن المنطقي جدا ، ومن المفروض شرعا وعقلا وعلما أن نتعرف أيضا على الوحي من المتلقي لوحي الله تعالى. بمعنى علينا أن نعود إلى سنة النبي- عليه الصلاة والسلام- التي وصفت جانبا من الكيفية التي كان نبينا يتلقى بها وحي الله تعالى وكيفية تعامله معه.

وهل يُوجد مصدر ثالث يُمكن الاستعانة به للتعرف على الوحي الإلهي؟؟، لا يُوجد مصدر ثالث يقيني كالأول ولا كالثاني، لكنه يوجد كمصدر خارجي مُساعد يتمثل في روايات الصحابة الصحيحة التي وصفوا فيها التغيرات الخارجية التي شاهدوها تحدث على النبي-عليه الصلاة والسلام- عندما كان الوحي ينزل عليه. وعليه فلا توجد إلا ثلاثة مصادر لمعرفة حقيقة الوحي الإلهي، وما عداها فهي لا تصلح له، وإن صلحت للوحي الإنساني، كالرؤيا والوساوس،والإيحاءات النفسية.لأن هذه الأنواع هي من الوحي الإنساني تختلف تماما عن الوحي الإلهي الذي لا يتم إلا بين الله والنبي. فلا مجال للمقارنة بين الوحيين أبدا.

وأما من جهة المناهج فظاهرة الوحي الإلهي لا يصلح لها إلا منهجان أساسيان:استقرائي نجمع به النصوص المتعلقة بموضوع الوحي، وتحليلي استنتاجي نحلل به النصوص والشواهد التي جمعناها بالاستقراء ونستخرج منها حقائقها المتعلقة بالوحي الإلهي- القرآن- .

وبناء على ذلك فإن أية نظرية تريد دراسة الوحي الإلهي لمعرفة حقيقته وصفاته، ولا تعتمد على المصادر التي ذكرناها حسب الترتيب الذي أوردناه، فهي دراسة غير علمية، ولا قيمة لما قامت به، لأنها لم ترجع إلى مصادر الوحي الثلاثة التي ذكرناها. ومن جهة أخرى فإن أية نظرية تدرس ظاهرة الوحي الإلهي ،وتخرج بنتائج مخالفة لما قررته تلك المصادر، فهي بالضرورة نظرية غير صحيحة، ولا يصح الاعتماد عليها، ولا الاحتجاج بها ، ولا تقديمها على تلك المصادر

وبذلك يتبين أن المؤلف وقع في أخطاء فاحشة جدا تتعلق بمنهج الاستدلال العلمي. مما يعني أن كلامه السابق باطل جملة وتفصيلا.لأن الذي يدرس ظاهرة الوحي خارج مصادره الشرعية التي ذكرناها، فإنه لن يجد مصادر علمية يُمكن الاعتماد عليها. مما يعني أنه سيلجأ إلى الرغبات،والظنون،والحدوس،والوساوس،والمنامات،والمذهبيات.وهذه ليست مصادر علمية، ولا يُمكنها أن تتناول موضوع الوحي الإلهي بطريقة علمية، لأنه خارج عن مجالها، ومن ثم لا يصح الاعتماد عليها في موضوع الوحي الإلهي.

وليس صحيحا قوله: ((فلابدّ أن تكون هذه القرائن والشواهد من خارج دائرة الوحي، لأنّ الرجوع في مقام إثبات المدعى إلى النصوص وإلى داخل دائرة الوحي «نفياً وإثباتاً» لا يعتبر عملاً سليماً وصحيحاً من الناحية «المتدولوجية». أي لا يمكن القول بأنّ الآية القرآنية الفلانية تقرر بطلان أو إثبات هذه النظرية)). ليس صحيحا لأن ظاهرة الوحي الإلهي سبق أن بينا أنها ليست وحيا إنسانيا، وإنما هي وحي إلهي بين الله والنبي، ومن ثم لا يُمكن أن تُدرس ظاهرة هذا الوحي خارج المصادر التي ذكرناها سابقا.

وكلام الرجل هو المخالف لعلم المناهج ومنهج الاستدلال العلمي الصحيح كما بيناه أعلاه.

والصحيح أيضا أن الآيات القرآنية هي الوحيدة التي تستطيع أن تُعرف لنا ظاهرة الوحي الإلهي تعريفا صحيحا يقينيا وليست النظرية العلمية المزعومة. لأن النص القرآني هو وحي إلهي يُعرفنا بالوحي الإلهي الذي حدث بين الله تعالى ونبيه-عليه الصلاة والسلام-،و لا يُوجد أي مصدر يُساويه، أو يُقاربه، أو يتقدم عليه. وأي بحث يتجاوز القرآن الكريم ويُخالفه في موضوع الوحي أو في أي موضوع قرآني آخر ، فهو قد حكم على نفسه بالفشل، وبطلان نتائجه بالضرورة.

وأما حكاية النظرية المزعومة التي قدمها المؤلف على القرآن، فهي حكاية لا أساس علمي صحيح لها ، لأن هذه النظرية لا يُمكنها أن تكون صحيحة إذا لم تعتمد على القرآن ولم توافقه وهذا أمر سبق بيانه أعلاه. وبما أن هذا حالها فلا يُمكنها أن تتقدم على القرآن ، ولا أن تكون حكما عليه، وإنما هي تابعة إليه ،وإن صحت فلا يُمكنها أن تخالفه،ولا يصح فرض أنها إن خالفته فهي التي تتقدم عليه. فهذا لا يصح، لأنها إن خالفته فتكون قد أخطأت في نتائجها بسبب انحرافها عنه.

فيتبين من ذلك أن الرجل أخطأ خطأً منهجيا كبيرا، كان هو السبب الرئيسي وراء كثرة أخطائه في موقفه من الوحي والنبوة. فمعظم أفكاره الأساسية التي تضمنها كتابه هذا كانت غير صحيحة، وهذا بسبب انحرافه عن منهج الاستدلال العلمي الصحيح، وتأثره بخلفياته المذهبية. فكانت النتيجة كثرة الأخطاء،وقلة الصواب بفارق كبير جدا.

والموقف الثاني مضمونه أن المؤلف واصل هنا كلامه السابق، فقارن بين الوحي الإلهي والرؤيا وسوى بينمها في الأصل ، وفرّق بينهما في الدرجة، وجعل الرؤيا طريقا لمعرفة الوحي، فقال: ((لو تنزلنا قليلاً عن دائرة الوحي وأخذنا بنظر الاعتبار الرؤيا، فكيف يمكنكم تقديم تأويل وتفسير لظاهرة الرؤيا؟ فأنت ترى أحياناً في عالم المنام أن شخصاً قد جاء إليك وتحدّث معك وأخبرك ببعض الأمور التي لم تكن تعلمها ظاهراً. وربّما أنشدك بيتاً من الشعر وثبت هذه البيت في حافظتك، وربّما قدّم لك نصيحة وموعظة، وقد ترى حادثة في عالم المنام سوف تقع لك في المستقبل ويتفق

أن تقع هذه الحادثة كما رأيتها في الرؤيا. فكل هذه الموارد قد تراها في عالم المنام ولا تكون أمراً عجيباً أو غريباً. وهكذا الحال بالنسبة للأنبياء، وقد ورد الحديث عن النبي نفسه أنّه قال إنّ الرؤيا الصادقة جزء من 46 جزءً من النبوة. فالوحي والرؤيا كلاهما من جنس واحد، فإذا أردت أن تفهم ظاهرة الوحي وحقيقته فعليك أن تستطلع حال رفيقته وهي الرؤيا وتتجه نحو معرفتها والتحقيق في أمرها))[1].

وأقول : قوله هذا باطل من أساسه،و فيه تغليط وتلبيس على القراء، ونقدنا السابق المتعلق بمنهجه في الاستدلال ينقض زعمه من أساسه، لذا لا نعيد ذلك هنا. لكني أقول:إنه لا مجال للمقارنة بين الوحي الإلهي والرؤيا ولا الوساوس ولا حالات نفسية أخرى في الإنسان، لأن الوحي هو تكليم من الله لنبيه ، فهذا من جهة المصدر، و من ناحية النتيجة أن ذلك التكليم يأتينا بالوحي الإلهي الذي هو كله حق ،وعلم ،ويقين. ومن جهة أخرى أنه لا يتكرر في البشر ولا يستطيع إنسان أن يأتي به إلا باختيار من الله تعالى. وهذا خلاف الأحلام والوساوس،و الحالات النفسية الأخرى ، التي يعرفها و يحس بها كل الناس ،ولا علاقة لها بالتكليم الإلهي، و لا يُمكنها أن تأتي به ، ونتائجها ظنية وخليط بمن الأباطيل والأوهام ،و ليس فيها من الحقائق إلا القليل. وعليه فإن أية مقارنة بين الوحي الإلهي والرؤيا والأحلام أو بينه وبين ملكة الشعر... فهي باطلة بالضرورة، ولا يصح التسوية بين النبوة ولا أي ظاهرة بشرية في المصدر ولا في النتائج.

وأما استدلاله بالحديث ،وأن الرؤيا الصادقة جزء من 46 جزء من النبوة، فإن الحديث إن صح ،فهو لم يسو بينهما في المصدر ولا في النتائج ، ولم يقل أن الرؤيا مصدرها تكليم الله لعباده ، كما يُكلم أنبيائه. وإنما قارن بينمها في جزئية من الجزئيات فيها تشابه عرضي في النتيجة: هي في النبوة مصدرها الوحي الإلهي،وهي في المنام مصدرها الإنسان نفسه. وهذا التشبيه يُماثله تشبيه النبي-عليه الصلاة والسلام- بعض صحابته ببعض الأنبياء في صفة من الصفات، فشبه أبا بكر في لينه وحلمه بإبراهيم وعيسى-عليهما السلام-، وشبه عمر بن الخطاب في شدته بنوح وموسى-

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 117-118.

عليهما السلام[1]- فهذا التشبيه لا يجعل الصحابي نبيا، لأن التشبيه تعلق بصفة من الصفات ولم يتعلق بأصل النبوة.

وعليه فلا النبوة من الرؤيا ، ولا الرؤيا من النبوة. ولا يُمكن أن يكونا من جنس واحد كما زعم الرجل. ومن أراد أن يفهم معنى الوحي الإلهي فلا يُمكن أن يعرفه إلا من المصادر الثلاثة التي ذكرناها سابقا،و لن يعرفه من المنامات ولا من الوساوس. والشاهد على ذلك أيضا أن الرجل من بداية كتابه إلى هنا فشل فشلا ذريعا في تعريف الوحي الإلهي تعريفا صحيحا، وكل محاولاته باءت بالفشل ، لأنه لم يطلبه من مصادره الصحيحة، وإما طلبه من ظنونه ورغباته ومذهبيته.

ونفس الكلام ينطبق على قوله عن وسواس الشيطان : ((عندما يوسوس الشيطان في واقع الإنسان وعمقه الداخلي فكأنّه يوحي إليه، ونحن لسنا أنبياء وبالتالي فإننا نتعرض للوقوع في الوساوس الشيطانية والانفعالات والنوازع النفسانية، فكل هذه الأمور التي نعيشها في ذواتنا وتدفعنا إلى منزلقات الخطيئة ومهاوي الإثم، فهي في الواقع نوع من الوحي))[2]. نعم إنه وحي مُتبادل بين شياطين الإنس والجن، كما قال تعالى: (شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)(الأنعام : 112) . فهو نوع من أنواع الوحي، لكنه وحي بين مخلوقين وليس وحيا إلهيا بين الله والنبي. ومن ثم تسقط المقارنة من أساسها ولا تصلح لتكون دليلا على معرفة حقيقة الوحي الإلهي.

ثم قال عن وسوسة الأنبياء الملائكية:((الأنبياء بدورهم، وعلى أساس هذا التمثيل بالوحي الشيطاني المقتبس من القرآن، فإنّهم يتعرضون لـ «وسوسة الملك» أو ما يعبر عنه بالإلهام ويرون منامات صادقة ويتحرك ذهنهم في دائرة الأفكار الحسنة وتقوى فيهم عناصر الخير ثم تعرض عليهم الكشوفات وتزول عن أبصارهم الحجب ... ومن خلال هذا الكشف يتعرف النبي على حقائق وأسرار عالم الغيب، غاية الأمر أنّ كشفه يمثّل الكشف التام، بمعنى أنّه خالص وغير ملوث حيث تنكشف للنبي أسرار الواقع من موقع الوضوح في الرؤية. وربّما يحصل مثل هذا الكشف للآخرين، غاية

[1] ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1406ه، ج 8ص: 141.
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 118.

الأمر أنّ كشفهم ناقص وغير تام وضبابي... وفي ضوء هذا يتضح معنى الكلام الذي قلته من أنّ الوحي تابع للنبي، أي أنّه متناسب مع شخصية النبي، ومتناسب مع كلمات النبي، ومتناسب مع محيط النبي، ومتناسب الحوادث الواقعة في زمن النبي، ومتناسب مع مزاج وعقلانية قومه، ومتناسب مع الأجواء والأمثلة والثقافة التي كانوا يعيشونها، ومتناسب مع المعاني التي صبت بقوالب لفظية، ومتناسب مع ظرفية اللغة وذهنية العرب في ذلك الزمان. وفي الواقع أنّ الوحي يعمل على تطبيق نفسه مع هذه المسائل. عندما نصبّ ماء البحر في جرّة، فمن الطبيعي أن يتقولب هذا الماء تبعاً للجرّة، فالبحر لا يخرج عن كونه بحراً، ولكن ما وصل إلينا منه هو مقدار الماء في الجرّة، حيث إنّ ماء البحر تشكل بأبعاد وهيئة الجرة وحكم الجرّة.))[1].

وقوله هذا فيه حق وباطل، وفيه تلبيس وتدليس، ولا يصلح أيضا للمقارنة بين الوحي الإلهي الذي يتم بين الله والنبي، وما يحدث للبشر من أنواع الوحي النفسي والشيطاني. لأنه أولا إن ما يحدث للنبي من رؤيا صادقة ومعرفة قلبية صحيحة وعميقة، إنما يحدث له ذلك لأنه نبي، كلّمه الله تعالى بالوحي. ولن يحدث له ذلك لو لم يكن نبيا، فالنبوة هنا هي الأصل والمنطلق، وليست الرؤيا الصادقة ولا المعرفة القلبية الصادقة. وبناء على هذا فإن الذي يحدث للأنبياء مخالف تماما لما يحدث للأولياء الأتقياء من المسلمين لما يجدونه من أذواق ومواجيد إيمانية، فهي من ثمار الإيمان المقبول عند الله تعالى. لقوله سبحانه: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(الحديد : 28) .فيتبين من ذلك أنه لا تصح المقارنة بين الأنبياء و الأولياء الصالحين في موضع المعرفة القلبية وأحوالها.

وبما أن الله تعالى هو الذي علّم نبيه لقوله سبحانه :(وَأَنزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً (النساء

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ،119-120.

: 113) ، فلا يصح أن يُقال بأن النبي يتعرف على أسرار عالم الغيب فهذا كلام بلا علم، ومن يقوله لا بد عليه أن يُثبته بدليل بالوحي الصحيح، وليس بالظن والرغبة والخلفيات المذهبية. لأن الحقيقة هي أن النبي لا يعلم الغيب ولا أسراره ، ولن يعلم منه شيئا إلا ما علمه الله تعالى. وهذا أمر سبق أن أشرنا إليه و بينا بطلان ما قاله المؤلف ، فلا نعيده هنا.

وثانيا إن قوله عن تناسب الوحي وتبعيته للنبي-عليه الصلاة والسلام-، وتناسبه مع المحيط العربي، فهو كلام لا يصح، وفيه تلاعب وتلبيس على القراء. وبما أنه سبق أن ناقشنا الرجل في هذه المزاعم وبينا بطلانها فلا نعيد ذلك هنا. لكني أقول: لا يصح القول أن الوحي تابع للنبي ولا أنه تابع لواقع المحيط العربي،لأن الوحي جاء مُغيرا ومُصلحا للعالم بأسره، وهو الذي أوجد النبي والصحابة والدعوة بأكملها ، وتعامل وتصرف وتفاعل مع الظروف التي ظهر فيها، و فرض عليها أوامره ونواهيه ،ووجهها لخدمة الوحي حتى انتصر وأصبحت كلمة الله هي العليا. وبما أن هذا كله تحقق فلا يصح القول بأن الوحي كان تابعا للنبي،ولا للصحابة،ولا لظروف المحيط العربي. وإنما الجميع كان تابعا للوحي الإلهي.

وأما مثال احتواء الجرة لماء البحر ، فلا يصح ضربه مثالا للتناسب بين الوحي الإلهي والنبي ،ولا بينه وبين المحيط العربي . لأن مثال الجرة هو بين مخلوقين، فالجرة احتوت مخلوقا مثلها ، لكن هذا لا يصح بين الوحي الإلهي والنبي، ولا بينه وبين مخلوق آخر. لأن القرآن كلام وصفه الله سبحانه بقوله: (لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(الحشر: 21) . فمن من المخلوقين حال كلامه كهذا القرآن ؟؟!!. فالقرآن هو الذي يأمر وينهي، ونحن نسمع ونطبق، وهو الذي يحتوي البشر بأوامره ونواهيه ، ولا يحتويه أحد من المخلوقين.

والموقف الثالث مفاده أن المؤلف قال: ((أما مقولة أنّ القرآن يوحى للنبي أو أنّ النبي يشعر أنّ شخصاً يتحدّث معه فليس محل بحث، فليس الأنبياء فقط بل حتى الأشخاص ما دون الأنبياء يشعرون في أنفسهم بمثل هذا الشعور والإحساس. وأنا وأنتم ربّما نرى في المنام شخصاً يتحدّث معنا،

فأنا رأيت مرات كثيرة في عالم الرؤيا شخصاً ينشدني بعض الأشعار وقد كتبت بعض هذه الأشعار بعد الانتباه من النوم، وهذه الأشعار ليست من أشعاري وليست لشاعر آخر بل هي أشعار جديدة، بمعنى أنّه بإمكان نسبة هذه الأشعار لي لأنّه لا أحد أنشد هذه الأشعار قبل ذلك))[1].

وأقول: قوله هذا كرره الرجل كثيرا، وهو باطل جملة وتفصيلا، وفيه تغليط وتلبيس وتخريف مُتعمد للشرع. لأنه أولا إنه لا مجال للمقارنة بين وحي النبوة و المنامات-الأحلام- في المنطلق ، ولا في الوسيلة ، ولا غي النتيجة. لأن وحي النبوة مُنطلقها هو تكليم من الله لنبيه، ولا يتم ذلك إلا لمن أختاره الله نبيا. والمنامات منبعها النفس الإنسانية بما فيها من أضغاث أحلام وغيرها، وهي تشمل كل البشر وليست خاصة بفرد منهم.
ومن جهة الوسيلة فإن وحي النبوة يتم عن طريق الروح الأمين جبريل الذي هو الوسيط بين الله ونبيه. لكن المنامات ليست لها واسطة كالروح الأمين، وإنما وسائلها هي قِوى النفس من تخيلات وأوهام، ورغبات و تجارب،و إيحاءات الشياطين، ولمات الملائكة.

ومن جهة النتيجة فإن وحي النبوة كله حق ويقين من دون شك، لكن المنامات فهي ليست كذلك، لأنها ليست تكليما من الله لنبيه، وإنما هي انعكاسات للنفس البشرية بما فيها من تخيلات و رغبات ، وتجارب واهتمامات، وبما يخطر عليها من تأثيرات ووساوس الشياطين ، ولمات الملائكة ، فتكون النتيجة خليطا من أضغاث أحلام، و تطلعات النفس، ومزيجا من الحقائق والأباطيل. فنتائجها ظنية وليست يقينية، وحتى الصحيح منها ليس وحيا إلهيا، وإنما هي أفكار صحيحة إلى جانب كَمٍ كبير من الأوهام والأباطيل. والدليل المادي القطعي على صحة قولنا هذا أن النبي محمد- عليه الصلاة والسلام- جاء من عند ربه بكتاب تحدى به الإنس والجن، ولم يستطع أحد الرد عليه منذ أكثر من 14 قرنا. مع أن البشر منذ أكثر من 14 قرنا وهم ينامون ويحلمون بمختلف مظاهر الأحلام، لكن ولا واحد منهم تمكن من أن يأتي بمثل القرآن أو بما يقاربه!!!. فلماذا ؟! ، و لماذا منامات البشر تتكرر وتتشابه في مظاهرها ونتائجها، لكن وحي نبوة

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 136 .

محمد- عليه الصلاة والسلام- لم يتكرر؟؟، فلو كان مناما لتكرر، لكنه لم يتكرر لأنه وحي من عند الله تعالى ختم به الرسالات السماوية. ولهذا لن تتكرر، لكن أحلام البشر تتكرر، لأنه لا مجال للمقارنة بين النبوة والأحلام ولا للتسوية بينهما.

وثانيا إن الوحي الذي نزل على محمد-عليه الصلاة والسلام-لم ينزل عليه في النوم كما هو حال الأحلام. فأول ما نزل عليه كان يقظاً في غار حراء ،وكان ينزل عليه وهو في الطريق، وأحيانا يتوقف وينتظر نزوله، وكان يُسأل فلا يُجيب حتى ينزل عليه الوحي[1]. وكذلك كيفية نزوله وتأثيره عليه يختلف تماما عن الأحلام.

علما بأن الذي يُسوي بين وحي النبوة و الأحلام، فهو إما أنه جاهل بالموضوع الذي يتكلم فيه.وإما أنه مريض لا يعي ما يقول. وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية لنفسه. وهو قول لا يقوله مُسلم صادق الإيمان ، لأنه كَذِب مُتعمد على الله ورسوله و تكذيب لهما.

وقد اتهمت قريش النبي- عليه الصلاة والسلام- باتهامات كثيرة محاولة منها لإيجاد تفسير لمصدر القرآن يتفق مع هواها ، فكانت منها أنها زعمت أن القرآن الذي جاء به محمد هو من أحلامه . قال تعالى: ((بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ))(الأنبياء: 5). لكن كل اتهامات ومحاولات قريش باءت بالفشل، وقد رد الله تعالى على تلك الاتهامات بأن القرآن الكريم هو كلامه ، وتحداها هي والعالم بأسره أن يأتوا بمثله فعجزوا. لكن هذا الرجل عاد بعد أكثر من 14 عشر قرنا وكرر نفس اتهام قريش محاولة منه لتفسير ظاهرة الوحي القرآني، بطريقته الخاصة في التغليط والتلبيس، والتحريف والافتراء على الله ورسوله. لكنه تكرار صدر عن رجل يقول أنه مسلم، فلو قاله كافر لكان مثل قريش، لكن أن يُكرره رجل ينتمي إلى المسلمين، فهذا غير مقبول تماما ، وعلى صاحبه أن يُراجع نفسه، ويكون شجاعا وصريحا مع ذاته ، ويكشف عن حقيقة إيمانه بدين الإسلام !!.

[1] أنظر مثلا: مسلم: الصحيح ، ج 8 ص: 128 ، رقم: 7237.

والموقف الأخير –الرابع- عبّر عنه المؤلف بقوله :((وباعتقادي أنّ من الطبيعي جدّاً أنّ نبي الإسلام يرى في منامه أو بما يشبه المنام أنّ هناك من يقص عليه قصص الأنبياء، إنّ الأنبياء من الأشخاص السعداء الحظ، لأنّ الأشخاص الذين يحكون لهم القصص، ينقلون لهم حكايات صادقة، أي أننا نعتقد أنّ هذه القصص صادقة، ولو أنّكم سألتم عن هذه القصص التي جاء بها الوحي عن أشخاص غير مؤمنين بالأديان فإنّهم لا يعتقدون بها))[1].

وقوله هذا غير صحيح في معظمه ،وفيه انحراف عن منهج الاستدلال العلمي. لأنه بما أن موضوع الوحي الإلهي هو موضوع غيبي، ولا يُمكننا تجربته ولا الإحساس به، فلا يصح الخوض فيه دون وحي صحيح، وإذا خضنا فيه فلا نجزم، ولا نصحح رأينا بدعوى: باعتقادي،ومن الطبيعي جدا. فهذا تعبير غير علمي لابد من دليل صحيح يُثبته، و يسمح لصاحبه أن يقول بذلك الرأي، وإلا فإن صاحبه يتكلم بظنونه ورغباته في موضوع لا يُمكنه إدراكه، وهذا ليس من الاستدلال الصحيح ولا من العلم في شيء.

وعليه فليس صحيحا أن النبي-عليه الصلاة والسلام- كان يتلقى القصص القرآني في المنام كما توهم الرجل، وإنما الصحيح أنه كان يتلقاه عن طريق الوحي بواسطة جبريل-عليه السلام- كما يتلقى باقي الوحي الإلهي. قال سبحانه: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (القيامة :17- 18)،و(وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً (طه : 114). فلماذا ترك الرجل هذه النصوص الشرعية وراء ظهره وتكلم بلا علم ؟؟!!.

وأما قوله: ((ينقلون لهم حكايات صادقة، أي أننا نعتقد أنّ هذه القصص صادقة، ولو أنّكم سألتم عن هذه القصص التي جاء بها الوحي عن أشخاص غير مؤمنين بالأديان فإنّهم لا يعتقدون بها)). فهو قول باطل بهذا الأسلوب، ولا يصح أن يقوله مُسلم صادق الإيمان مع نفسه وخالقه. لأن القرآن كله بما فيه القصص هو حق من دون شك ، قال سبحانه: (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)(البقرة : 120)، و العلم كله حق وحقائق.وقال أيضا: (إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(آل عمران : 62) . وعليه فلا يصح ولا يحق للمسلم أن يقول: ((أي أننا نعتقد أنّ هذه

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 120.

القصص صادقة))، وإنما الصواب والمطلوب شرعا وعقلا وعلما هو أن يقول: إن هذا القصص حق، ونحن نعتقد أيضا بأنه حق. ولا يقول:: أي أننا نعتقد أنها قصص حق. لأن هذا يعني أن اعتقادنا هو الذي جعلها حقا، وأما هي فقد تكون صادقة ،وقد لا تكون كذلك !!.

ولا يحق له أيضا أن يقول: ((ولو أنّكم سألتم عن هذه القصص التي جاء بها الوحي عن أشخاص غير مؤمنين بالأديان فإنّهم لا يعتقدون بها)). وإنما عليه أن يقول: مع أن تلك القصص صحيحة، فإن غير المؤمنين بالأديان لا يعتقدون صحتها ، لكن كفرهم بها لن يجعلها غير صحيحة!!.

واستنتاجا مما ذكرناه فقد تبين أن المؤلف واصل تطبيق منهجه التحريفي في بسطه لموضوع نبوة النبي محمد-عليه الصلاة والسلام-. فبعدما كان قد زعم أن النبي هو مصدر الوحي، وبذلك قطع نبوته عن مصدرها الإلهي، فإنه في هذا المبحث شبهها باالأحلام التي يراها الناس في مناماتهم. فعل ذلك محاولة منه لتفسير ظاهرة النبوة تفسيرا بشريا يجعلها تندرج ضمن الظواهر البشرية العادية المعروفة لدينا، والتي لا تخرج عن التاريخية التي تتحكم في حوادث العمران البشري. لكن محاولته باءت بالفشل الذريع، وبينا بطلانها شرعا وعقلا وعلما، لأنه انتصر لفكرة باطلة أولا، وأقامها على ظنونه ورغباته ومذهبيته ثانيا.

رابعا: نقض موقف المؤلف في جمعه بين النبي و النبوة والله والكون:

بعدما كان المؤلف قد جعل النبي هو مصدر الوحي، وسوى بين النبوة والأحلام من دون أي دليل صحيح، فإن الرجل هنا قد كشف عن حقيقته وعن سبب قوله بأباطيله السابقة، فعل هذا عندما نصّ صراحة على انه لا يفصل بين الله والنبي والكون، فالكل حسب زعمه واحد!!. بمعنى أنه يقول بوحدة الوجود، وبهذه المقولة الخرافية يكون الرجل قد ترك الشرع وراء ظهره وخالفه مخالفة صريحة من جهة، وداس على العلم والعقل وأنكر ما يُقرِرانه من ضرورة الفصل بين الخالق والمخلوق من جهة أخرى. إنه فعل كل ذلك انتصارا لظنونه ورغباته ومذهبيته الفاسدة !!!!.

فمن ذلك أنه قال: ((فعندما نتحدّث عن الوحي والكلام الإلهي فإننا نتحدّث من خلال مقولة ورؤية ميتافيزيقية خاصة، ولابدّ من الاهتمام والنظر إلى هذه الرؤية الميتافيزيقية بدقّة، فأنا شعرت من خلال كلماتكم

أنّكم تقولون: إننا لو قلنا بأن القرآن هو كلام النبي فسوف تبرز إشكالات متعددة، في حين أننا لو قلنا: إنّ القرآن هو كلام الله فسوف يكون لنا معه شأن آخر. فهنا نلاحظ رؤية ميتافيزيقية تتحرك من موقع الفصل بين الله والعالم. وهذه الرؤية الميتافيزيقية التي تفصل بين الله ومخلوقاته يجب أن ترتكز على مسبوقات ومفروضات ذهنية ثمّ تطرح على بساط البحث والنقاش، وثانياً: أن تُبيّن الأدلة التي استندت عليها في تصحيح هذه الرؤية. وأنا بدوري لا أرى مثل هذه الفاصلة بين الله وخلقه في إطار الرؤية الكونية للعالم، ولا ينبغي أن أقول بها... وهناك مقالة لأحد العلماء المعاصرين في ظاهرة سماع موسى لصوت الله من الشجرة، فقد ذكر أنّ هذا الصوت كان من خارج الشجرة لا من داخل الشجرة نفسها. وهذا كلام غريب جدّاً، فعندما نتحدّث عن الله فلا يبقى معنىً لداخل الشجرة وخارجها. إنّ كون الصوت ـ أي الوحي ـ ينبع من أعماق ذات النبي أو أنّه يلقى في قلبه من الخارج فهي مسألة ترتبط بنا، فنحن الذين نفكر مثل هذا التفكير على مستوى الداخل والخارج ونرى تفاوتاً بينهما. وأمّا بالنسبة لله تعالى حيث نرى أنّه موجود في كل مكان ولا يوجد مكان أفضل وأهم من مكان آخر بالنسبة لوجود الله ولا يوجد مكان أقرب إليه من مكان آخر فحينئذ لا فرق في قولنا بأنّ الله يتحدّث من داخل النبي أو خارجه))[1].

وأقول: واضح من كلام الرجل أنه رجح الرأي الذي لا يفصل بين الله والعالم ،وضعّف الرأي الذي يفصل بينهما، وصرّح أنه يقول بعدم الفصل بينهما. فالله عنده داخل العالم في كل مكان، وهذا قول يندرج ضمن قول الصوفية القائلين بوحدة الوجود المعروفين بالاتحادية. وقوله هذا زعم باطل جملة وتفصيلا، منهجا، و شرعا ، وعقلا ،وعلما.

فأما من ناحية منهج الاستدلال العلمي فالرجل لم يلتزم به واكتفي بتقزيم منهج القائلين بالفصل بين الله والعالم وتضعيفه بدعوى أنه يقوم على رؤية ميتافيزيقية تتحرك من موقع الفصل بين الله والعالم.وقال عن الوحي الإلهي: ((فإننا نتحدّث من خلال مقولة ورؤية ميتافيزيقية خاصة **))**. فإن قصد بعبارة ((رؤية ميتافيزيقية))، أن الوحي الإلهي نتحدث عنه برؤية غيبية ظنية، لا برؤية غيبية علمية يقينية. فإن كلامه هذا ينطبق عليه وحده وعلى أمثاله، بل إنه لم يتكلم عن الوحي الإلهي بأدلة ظنية فقط ، وإنما تكلم فيه بأدلة وهمية وخرافية بناها على رغباته ومذهبيته من دون أي أساس صحيح لها من الشرع ،ولا من العقل، ولا من العلم.

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 130.

علما بأن كلامنا الذي ذكرناه عن الوحي الإلهي ونقضنا به مزاعم الرجل، هو كلام ذكرناه برؤية شرعية علمية يقينية. لأننا أخذناه من مصادره الأصلية والصحيحة، وقد سبق أن بيناها. أولها وأصلها الأصيل هو القرآن الكريم، فهو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل أبدا، ومن ثم فكلامه عن الوحي الإلهي يقين من دون شك ، وليس كلاما غيبيا ظنيا. وإما إذا قيل: إن موقفكم هذا هو موقف اعتقادي لا علمي. فنقول: لا يحق لأي أحد أن يعترض علينا في موقفي هذا، لأنه موقف علمي واعتقادي معا، ولم أُقمه على الظن والهوى كما فعل الرجل ، وإنما أقمتُه على الوحي الصحيح الذي أثبتت الأدلة العقلية والعلمية الكثيرة أنه كلام الله حقا.وعليه فلن يستقيم اعتراض أي معترض علينا فيما قلناه، إلا إذا أقام الأدلة العقلية والعلمية على أن القرآن الكريم ليس كلام الله. وهذا لن يتحقق حتى وإن اجتمعت الإنس والجن على إقامته. وقد تحداهم القرآن الكريم منذ أكثر من14 قرنا بأن يأتوا بمثله فعجزوا عن الإتيان بمثله.

وفيما يخص الفصل بين الله والعالم فإن قَصَد الرجل بعبارة ((رؤية ميتافيزيقية)) أننا نتحدث عن ذلك برؤية غيبية ظنية لا برؤية غيبية علمية، وأن الأمر يحتاج إلى مسبوقات ومفروضات ذهنية لتطرح على بساط البحث والنقاش. فهذا قول لا يصح، لأن الاستدلال على انفصال الله عن العالم- انفصال الخالق عن مخلوقاته- ليس استدلالا غيبيا ظنيا ،وإنما هو استدلال منطقي علمي يقيني. فمن جهة الشرع فإن الله تعالى نص وأكد على أنه مُنفصل عن العالم بنصوص كثيرة جدا، وبما أن الشرع هو وحي الله تعالى ، فهذا يعني أن استدلالنا به هو استدلال علمي يقيني.
وأما من جهة الاستدلال العقلي فمن الثابت أن المُؤثر يسبق الأثر، و العلة تسبق المعلول، والمقدمة تسبق النتيجة، و الصانع يسبق المصنوع، و الفلاح يسبق الفلاحة ، والخالق يسبق المخلوق. وهذا يعني أن كل طرف منفصل عن الآخر، وأن الأول أسبق من الثاني. وبما أن الأمر كذلك فمن المنطقي والضروري أن يكون الخالق مُنفصلا عن المخلوق، بمعنى أن الله تعالى مُنفصل عن العالم.

وأما من ناحية الاستدلال العلمي لإثبات انفصال الله تعالى عن العالم، فهو استدلال يقوم على استخدام جانب من المنهج التجريبي الذي يقوم على معرفة الماضي من خلال دراسة الحاضر،لأن الحاضر مفتاح الماضي.

وهذا المنهج مُطبق في عدة علوم ، كعلم الجيولوجيا، و التاريخ الطبيعي للكون. فالعلماء يدرسون تاريخ الكون من خلال آثاره الموجودة الآن، لأنها تحمل كثيرا من تاريخها الماضي، وبفضلها نعرف جانبا من خصائصها وظروفها التي مرت بها، والتي لا يُمكن إعادتها،وإنما نعرفها من آثارها فقط. وبنفس المنهج نصل إلى البحث عن خالق العالم، فبما أن العالم مخلوق فلابد له من خالق، وبه نصل إلى الفصل بين الخالق والمخلوق. فالمنهج المُتبع في إثبات انفصال الله تعالى عن العالم هو منهج علمي صحيح بدليل الشرع ، والعقل،والعلم ، وليس طريقا غيبيا ظنيا كما أشار الرجل. وإنما هو الذي اتبع منهجا استدلاليا ذاتيا ظنيا وهميا من دون أي دليل صحيح، أوصل صاحبه إلى نتيجة باطلة شرعا ،وعقلا، وعلما.

وثانيا إن قوله: ((وأمّا بالنسبة لله تعالى حيث نرى أنّه موجود في كل مكان ولا يوجد مكان أفضل وأهم من مكان آخر بالنسبة لوجود الله ولا يوجد مكان أقرب إليه من مكان آخر فحينئذ لا فرق في قولنا بأنّ الله يتحدّث من داخل النبي أو خارجه))[1]. فهذا كلام باطل، وقول بلا علم، أقامه الرجل على ظنونه ورغباته ومذهبيته ، من دون أن يذكر أي دليل صحيح يُؤيد به زعمه من الشرع، ولا من العقل، ولا من العلم.

إن زعمه باطل شرعا لأن الله تعالى تكلم عن نفسه وأفعاله بأنه الخالق الذي لا إله إلا هو، وأنه مُنفصل عن مخلوقاته لأنه هو الذي خلقها ولم تكن شيئا، وأنه سيُنهي العالم بأسره عندما يحين وقت إنهائه. وهذا يعني بالضرورة أن الله تعالى مُنفصل عن العالم الذي خلقه. لأنه كان موجودا قبل خلقه للكون، وسيبقي موجودا بعد إنهائه. وهذا دليل قطعي على الانفصال التام بين الله و العالم.من ذلك قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(الحديد : 4)،و(ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (فصلت : 11)،و(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (الأنبياء : 104). فهو سبحانه مُنفصل عن مخلوقاته لكنه معهم بعلمه، وبصره، وقدرته وحكمته ،وملائكته ،وهذا هو الذي أشارت إليه

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 130.

الآية الأولى ، فعندما نصت على أن الله غير متصل بالعالم عادت وذكرت أنه سبحانه قريب منا بعلمه وبصره.

ومنها الحوار الذي دار بين الله والملائكة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ)(البقرة:30). فهو شاهد دامغ على الانفصال بين الله ومخلوقاته. وقوله سبحانه: (وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)(الأعراف: 143). فحدوث التجلي وانهيار الجبل هو دليل قطعي على أن الله تعالى مُنفصل عن مخلوقاته، ولو كان من داخله مُسبقا ضمن وجوده في العالم كله كما زعم الرجل، فلا معنى لحدوث التجلي ،و لما انهار الجبل بحكم أنه موجود فيه مُسبقاً حسب زعم المؤلف.

ومنها قوله سبحانه: ((تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)(المعارج:4). فلو كان الله في كل مكان غير مُنفصل عن العالم فلا معنى لعروج الملائكة والروح إليه سبحانه، ولا فائدة من قطع تلك المسافة الطويلة لتصل إليه!!. ومنها قوله سبحانه: ((يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاتَّقُونِ)(النحل : 2). فلو كان الله تعالى في كل مكان غير منفصل عن الكون فلا معنى من إنزال ملائكته على الأنبياء!!.

ومن السنة النبوية قول النبي-عليه الصلاة والسلام-:((كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض وكتب في الذكر كل شيء))[1]،و(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له))[2] ، ومنها أيضا حادثة المعراج عندما عُرج بالنبي-عليه الصلاة والسلام- من المسجد الأقصى إلى ما فوق السماء السابعة حيث سدرة المنتهى، وهناك كلمه ربه[3]. فهذه النصوص وغيرها أدلة دامغة على أن الله تعالى مُنفصل عن العالم ، لكنه قريب من مخلوقاته بعلمه وقدرته، وبصره وسمعه ،وملائكته.

---

[1] البخاري : الجامع الصحيح ، رقم الحديث ، 6982 ، ج 6 ص: 2699 .
[2] البخاري : الجامع الصحيح ، ج2 ص: 53، رقم: 1145.
[3] البخاري : الجامع الصحيح ، ج9 ص: 149، رقم:7517.

وأما من الناحية العقلية والواقعية ، فالمنطق يقول: إن الصانع مُنفصل عن مصنوعاته، والفلاح مُنفصل عن فلاحته، والخالق مُنفصل عن مخلوقاته .لأن الطرف الأول هو الذي أوجد الثاني، وهذا يعني أن الأول كان موجودا قبل أن يوجد الثاني، فهو إذا مُنفصل عنه ضرورة. ومن الناحية الواقعية ، فلا أحد من البشر يحس بداخله أو من خارجه بأن الله تعالى بنفسه داخل فينا، ولا في المخلوقات الأخرى التي نراها ونحس بها. فلو كان سبحانه بذاته في مخلوقاته ، لأحسسنا به، وبما أن هذا لم يحدث دلّ على أنه سبحانه مُنفصل عن مخلوقاته.

وأما إذا قيل: نعم ذلك صحيح ، لكن بعض الناس قد يحسون بوجود الله بذاته من داخلهم من دون غيرهم من البشر . فأقول: هذا زعم بلا حجة ،فهو إذن ليس دليلا، والزعم لا يعجز عنه أحد. وهو لا يصح لأن هذا المدعي هو بشر مثلنا، لا يختلف عنا في شيء ، ومن ثم لا يُمكنه أن يحس بمالا يحس به غيره من الناس. ومن يدعي ذلك لنفسه، فهو إما جاهل بما يقول، وإما أنه مريض مُهلوس ، وإما أنه مُوسوس مُلبس عليه صرعته الشياطين ، وإما أنه كذاب يتعمد القول بذلك لغاية في نفسه.

وأما الدليل العلمي على أن الله تعالى مُنفصل عن العالم، فهو واضح أيضا ، لأنه بما أن العلم الحديث يقول بأن الكون مخلوق وليس أزليا، وأنه وُجد بعد أن لم يكن حسب نظرية الانفجار العظيم .وأنه بعد تطورات كثيرة مر بها، فهو الآن سائر نحو التراجع إلى أن ينهار تماما[1].فإن هذا يعني أن الله تعالى مُنفصل عن العالم قبل خلقه وبعد فنائه.

وربما يقال: صحيح أن الله تعالى مُنفصل عن مخلوقاته، لكن بما أن سبحانه على كل شيء قدير، فما المانع من أنه عندما خلق العالم دخل فيه بذاته وبقي بداخله ؟؟!!. أليس هذا وارد من جهة الإمكان العقلي؟!.لأن البَنّاء مثلا عندما يبني بيتا فإن البيت يكون مُنفصلا عنه، لكنه يدخل إليه ويخرج منه كما يريد، وقد يختار المكوث بداخله مدة طويلة، أو يأخذ على نفسه عدم الخروج منه إلى أن يموت إذا وجد من يُوفر له حاجاته الضرورية، من دون أن يخرج منه. وكذلك بالنسبة لله تعالى –وله المثل الأعلى- فهو سبحانه فعال لما يُريد ، وعلى كل شيء قدير، فهو قادر على أن يبقى خارج العالم، وقادر على أن يدخله، لقوله تعالى(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

[1] عبد الحميد سماحة: في أعماق الفضاء، دار الشروق، القاهرة، 1980، ص: 71 وما بعدها، 84 وما بعدها.

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)(الأعراف: 143)،وكذلك قول الرسول –عليه الصلاة والسلام- : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له))[1].و بما أنه فعل ذلك فما المانع من أن يبقى بداخله؟!.

فأقول: يتبين من ذلك أنه عندنا احتمالان ممكنان، فأي احتمال اختاره الله تعالى ؟؟. فهل بقي الله خارج العالم عندما خلقه، أم دخل فيه بعدما خلقه؟. لا يُوجد دليل عقلي ولا علمي يُثبت بالدليل القطعي اليقيني الاحتمال الذي اختاره الله تعالى ،ويبقى الاحتمالان واردان مُمكنان، ولا يُمكن القطع بأحدهما إلا بدليل يقني من الوحي الصحيح. وبما أنه سبق أن أوردنا النصوص من القرآن والسنة على أن الله تعالى خارج العالم، فهذا يعني أن الاحتمال الصحيح، هو أن الله عندما خلق العالم لم يدخل فيه، وبقى منفصلا عن مخلوقاته حتى بعد خلقه. وبذلك يسقط قول الرجل بأن الله غير مُنفصل بذاته عن العالم.

وثالثا إن قوله: ((إنّ كون الصوت ـ أي الوحي ـ ينبع من أعماق ذات النبي أو أنّه يلقى في قلبه من الخارج فهي مسألة ترتبط بنا، فنحن الذين نفكر مثل هذا التفكير على مستوى الداخل والخارج ونرى تفاوتاً بينهما)). فهو قول لا يصح، أقامه على ظنونه ورغباته، وعلى قوله بأن الله غير مُنفصل عن العالم. والشواهد الآتية تُبطل زعمه قطعا. أولها إنه سبق أن ناقشنا المؤلف في قوله بوحدة الوجود- عدم انفصال الله عن العالم- ، وبينا بطلانه شرعا ،وعقلا،وعلما.وبما أنه بنى زعمه هذا على هذه الفكرة، فإن زعمه باطل بالضرورة.
والشاهد الثاني من الوحي الصحيح، ومفاده أنه من حقائق دين الإسلام وبديهياته و المعروفة منه بالضرورة أن الله تعالى أنزل على النبي محمد- عليه الصلاة والسلام- القرآن الكريم بواسطة الملاك جبريل-عليه السلام- من السماء، فكان ينزل به عليه مدة 23 سنة. وهذا يعني بالضرورة أن القرآن الكريم لم يكن ينبع من ذات النبي كما زعم سروش، وإنما كان يتلقاه من خارجه. قال سبحانه : (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ،نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ،عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ،بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)(الشعراء :192 -195).

---
[1] البخاري : الجامع الصحيح ، ج2 ص: 53، رقم: 1145.

والشاهد الأخير-الثالث- مضمونه أن تلك الألفاظ التي استخدمها الله تعالى في التعبير عن نزول الوحي ، كقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ)(الشعراء :192- 193)،و(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)(القيامة : 18)،و(نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ)(آل عمران: 3) فهي ليست كما زعم الرجل بأنها تعبر فقط عن فهمنا وتفكيرنا، وإنما هي تعبر عن الحقيقة كما هي، لأن الله تعالى هو الذي تكلم بها ، ووصف حقيقة ما يحدث ،وكلامه حق من دون شك، ولا يُمكن أن تُعبر عن غير الحقيقة التي تحملها تلك الألفاظ العربية الواضحة المفهومة. وإنما هذا الرجل المُتبع لهواه والمُحرف للشرع هو الذي يُعطل الشرع بهواه ، و يُثبت مكانه ما يتفق مع رغباته ومذهبيته من دون أي دليل صحيح، وإنما دليله هو رغباته وظنونه. فمتى كانت الرغبات و الظنون أدلة بذاتها ؟؟!!، ومتى كان التفكير العلمي يقوم على مجرد الرغبات والمذهبيات؟؟!!. إن زعمه لن يصح إلا إذا أقام الدليل الصحيح من الشرع، أو من العقل ،أو من العلم بأن المُراد من تلك الألفاظ ليس معناها المفهوم منها، وإنما المراد منها ما زعمه المؤلف. وهذا لن يستطيع الرجل إقامة الدليل الصحيح عليه، لأنه زعم باطل كما بيناه أعلاه .

وختاما لهذا الفصل-الثاني- يتبين جليا أن المؤلف عبد الكريم سروش أخطأ أخطاء فاحشة في تعريفه للنبوة و طريق معرفتها، وفي مقارنتها بالأحلام وملكة الشعر. وارتكب في حق الشرع والعقل والعلم جرائم نكراء عندما زعم أن النبي محمد-عليه الصلاة والسلام- طلب النبوة فتحصل عليها ،وتعب في تحصيلها ،فكان هو مصدر الوحي بما بذله من جهود مضنية في طلبها، وبما كان عليه من اتصال بالكون والخالق انطلاقا من قوله بخرافة وحدة الوجود!!!!.فأوصله كل ذلك إلى زعمه الفاسد بأن القرآن الكريم ليس كلاما لله على الحقيقة. ونحن قد ناقشناه في تلك الخرافات والمزاعم وبينا بطلانها وتهافتها شرعا وعقلا وعلما، وباءت محاولاته بالفشل الذريع ولله الحمد .

و اتضح أيضا أن سبب قول المؤلف بأن النبي هو مصدر الوحي، وأن أن النبوة لا تختلف في أصلها عن الأحلام وملكة الشعر، ليس هو أن الرجل عنده أدلة صحيحة من الشرع ، أومن العقل ،أو من العلم، وإنما قال بذلك انطلاقا من قوله واعتقاده بعقيدة وحدة الوجود. وبما أنه سبق وأن بينا

بطلان القول بوحدة الوجود، فإن هذا يستلزم بطلان وانهيار كل مواقفه التي بناها على القول بوحدة الوجود.

ومن ذلك أيضا فقد تبين أن المؤلف لم يكن في منهجه الاستدلالي مُتبعا للشرع الصحيح، ولا للعقل الصريح ، ولا للعلم الصحيح، وإنما كان مُتبعا لظنونه ورغباته ومذهبيته. فجعل الشرع وراء ظهره، وداس على العقل والعلم، ومارس مختلف طرق التغليط و التلبيس والسفسطة انتصارا لمذهبيته الفاسدة والمتعصبة للباطل.

الفصل الثالث
نقض مواقف للمؤلف تتعلق بالعلم والدين، وختم النبوة

أولا: نقض موقفه من الإشارات العلمية في القرآن الكريم
ثانيا: نقض موقفه من و دعوى التعارض بين العلم والدين
ثالثا: نقض مواقف للمؤلف تتعلق بختم النبوة

نقض مواقف للمؤلف تتعلق بالعلم والدين، وختم النبوة

اتخذ المؤلف مواقف مُتميزة من القضايا الفكرية التي أثارها في كتابه بسط التجربة النبوية، منها طائفة لها علاقة مباشرة بصميم موضوعه. ومنها طائفة أخرى لها علاقة غير مباشرة بموضوع كتابه ، لكنها ذات أهمية كبيرة، ولها ارتباط قوي بكتابه بسط التجربة النبوية. منها مواقف تتعلق بالإشارات العلمية في القرآن الكريم ، وأخرى تتعلق بالعلم والدين، وختم النبوة. فما تفاصيل ذلك؟!،وما حقيقة مواقفه من تلك القضايا ؟!، ولماذا نقضناها عليه؟!.

أولا: نقض موقفه من الإشارات العلمية في القرآن الكريم:

يقول المؤلف عبد الكريم سروش:((إن ورود النظريات العلمية في تلك المرحلة «الطب والنجوم وغيرها» في النصوص الدينية من الكتاب والسنة هي أمر بالعرض أيضاً سواء قلنا بأنّ تلك النظريات صحيحة وصادقة، أو قلنا بتسامح صاحب الشريعة في مجال صدقها وكذبها، فإنّ كونها أمراً عرضياً مسلّم على أيّة حال، فليس هدف الشارع هو تعليم الناس هذه العلوم والمعارف، ولا نتوقع منه ذلك، إنّ نظرية بطليموس في السموات السبع «وهو ما فهمه جميع المفسّرين المسلمين من الآيات القرآنية التي تتحدث عن هذا الموضوع إلى القرن التاسع عشر الميلادي» ليست من ذاتيات الإسلام ولا تمثّل الطريق الوحيد لبيان قدرة الله تعالى ونعمته على عباده، هذه النظرية بإمكانها إخلاء مكانها لنظريات فلكية جديدة بحيث تترتب عليها النتائج والمعطيات نفسها.))[1].

وأقول: إن كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، وفيه تغليط وتلبيس، تكلم به صاحبه بلا دليل صحيح من الشرع ،ولا من العقل، ولا من العلم، وإنما تكلم فيه برغباته وخلفيته المذهبية. لأنه أولا إن الإشارات العلمية التي وردت في القرآن الكريم ليست نظريات كما زعم الرجل، وإنما هي حقائق علمية صادقة من دون شك ،لأن الله تعالى لا يقول إلا حقا. وبما أن القرآن كلامه سبحانه وتعالى، فبالضرورة أن كل ما في القرآن حق بلا شك. ولهذا وصف

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 57.

سبحانه كتابه العزيز بأنه: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ،لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت :41- 42)،و(الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود : 1)،و(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ)(الرعد : 37)،و(الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (البقرة : 147).

وثانيا إن حكاية العرضيات والذاتيات التي اختلقها المؤلف ليُحرف بها الشرع ،ويُغالط بها الناس، ويفتري بها عليهم وعلى نفسه،وعلى الشرع، هي خرافة من خرافاته.لأنه بما أن الوحي الإلهي كلام الله فالبضرورة أنه كله علوم وحقائق، وبما أنه هكذا فكل ما في القرآن فهو أصلي وأصيل، وحق وحقائق، ولن يتغير،ولا يصح القول بأن فيه ما هو عرضي ،و منه ما هو ذاتي. فهذا تقسيم فاسد ولا يصح، وإنما الصواب هو أن في الشرع أصول وفروع، عقائد و شرائع ، عبادات ومعاملات، و الكل من عند الله تعالى. وهذا الموضوع سبق أن ناقشناه وبينا بطلان مزاعم الرجل، فلا نعيده هنا.

وعليه فإن وجود الإشارات العلمية في القرآن الكريم ليس وجودا عرضيا ولا ثانويا، وإنما هو وجود أصلي وأصيل، ذكره الله تعالى لحِكَم بالغة تجلى بعضها في وقتنا الحاضر رغم أنف المعاندين والرافضين للإعجاز العلمي في القرآن والمُشككين فيه. فلو لم يكن ضروريا ومطلوبا ومقصودا وأصليا ما ذكره الله تعالى في كتابه المُعجز المُحْكم الذي لا يأتيه الباطل أبدا.

وليس صحيحا أن القول بعرضية الإشارات العلمية في القرآن أمر مُسلم به. فهذا قول لم يثبت، بل إنه زعم باطل، لأن هذا الزعم لن يثبت إلا بدليل صحيح من الشرع ينص صراحة على أن تلك الإشارات الواردة في الوحي، هي أمر عرضي ثانوي. والرجل لم يذكر دليلا على زعمه، و ليعلم أنه لن يجده في الوحي الصحيح، ولا في العقل الصريح، ولا في العلم الصحيح، و نحن نتحداه بأن يأتي لنا بدليل واحد صحيح ُبثت زعمه هذا.

ومن جهة أخرى فأن من الأدلة الدامغة التي تُبطل زعمه، هو أن الإشارات العلمية في القرآن الكريم كثيرة جدا: تنوعا وعددا. بل إنها تغطي مساحات واسعة من القرآن الكريم ،وقد تزيد مساحاتها عن المساحات التي

شغلتها آيات الأحكام في كتاب الله . وقد ألف فيها العلماء كتبا كثيرة جدا ،وأقاموا لها مؤسسة علمية عالمية مقرها في مكة المكرمة. فهل يُعقل أن الله تعالى يذكر تلك الآيات بذلك العدد والتنوع ، وهي حسب زعم المؤلف أمر ثانوي وعرضي، ومن دون أن تكون لها أهمية مقصودة، ومأمور بها؟؟!!. كلا وألف كلا، فلو لم يكن ذكرها مقصودا، ولها غايات وحِكم ذُكرت من أجلها، ما ذكرها الله تعالى أصلا في كتابه. وبما أنه ذكرها في كتابه الحكيم ، فهي بالضرورة عكس ما زعمه المؤلف.

ومن تلك الحِكَم والمصالح التي ذُكرت من أجلها الإشارات العلمية في القرآن الكريم،ما يأتي: منها إعطاء المعلومات العلمية الصحيحة الضرورية المُتعلقة بنشأة الكون وتطور مختلف مظاهره، وتقديمها للإنسان ليتعرف عليها، وليستعين بها في حياته العلمية والعملية. وهذا أمر ضروري ومطلوب في الدين الإلهي الحق. لأن الإنسان في حياته الأرضية لا يحتاج فقط إلى الأخلاق والعبادات والتشريعات العملة، وإنما يحتاج أيضا إلى المعلومات العلمية الصحيحة المتعلقة بنشأة الكون ومختلف مظاهره. والدين الذي لا يتضمن هذا الجانب من العلوم ليس دينا صحيحا ولا كاملا.

ومنها تقديم المثال النموذجي للبشر بأن عليهم أن يجتهدوا في طلب هذه العلوم – علوم الطبيعة-، فهي أيضا علوم مطلوبة ومشروعة ،ولا تقل أهمية عن العلوم الأخرى، وهي جديرة بالبحث أيضا.

ومنها تذكير الإنسان بأن كل العلوم مُتكاملة ومُترابطة فيما بينها، فعندما يرى الإنسان كتاب الله تعالى جمع بين طياته علوما كثيرة من فقهية وتاريخية، و علمية، يُدرك أن كل العلوم النافعة مطلوبة ومتكاملة، ومن الخطأ إهمالها.

ومنها استخدام الإشارات العلمية كآيات وبراهين على صدق نبوة محمد- عليه الصلاة والسلام-، وأن الكتاب الذي جاء به هو كتاب من عند الله. وهذه الإشارات العلمية هي من أدلة القرآن الدامغة والحاسمة الدالة على صدقه. وقد جاءت الاكتشافات العلمية الحديثة، وأثبتت صدق ما جاء في القرآن الكريم، ولم يظهر فيه أي خطأ علمي، مع أن الذي جاء به رجل أمي. ومن جهة أخرى فقد أثبتت الاكتشافات العلمية الحديثة أن العلماء والفلاسفة القدماء وقعوا في أخطاء علمية كثيرة جدا، بل وكان بعضهم

غارقا في أخطائه إلى الأذقان، كأرسطو، وابن سينا ،وابن رشد[1]. فلماذا أخطأ هؤلاء،ولم يُخطئ القرآن ؟؟!!، وماذا يعني ذلك ؟.

ومنها تذكير الإنسان بأن مناهج العلوم كثيرة ومتنوعة، فهي حسب مواضيعها، وما على الإنسان إلا أن يطلبها ويستخدمها.لأن تلك الإشارات العلمية من تاريخية وفلكية وتجريبية تتضمن أيضا إشارات إلى مناهجها التي تتحكم فيها.

وأخيرا – ثالثا- إن قول المؤلف : ((إنّ نظرية بطليموس في السموات السبع ...))، فهو قول غير صحيح، لأن بطليموس لم يقل بالسموات السبع، وإنما كان يقول بالأفلاك الدائرية حول الأرض، آخرها الفلك المحيط[2].

وبذلك يتبين جليا أن المؤلف أخطأ في معظم ما قاله عن الإشارات العلمية في القرآن الكريم، وهو موقف أقامه على رغباته ومذهبيته ،ولم يُقمه على الشرع ،ولا على العقل،ولا على العلم. ومن جهة أخرى فهو موقف يندرج ضمن قول الرجل بخرافة عرضيات دين الإسلام وذاتياته المندرجة في قوله بالتاريخية ، وفي موقفه التقزيمي للمعجزة القرآنية لكي يسهل عليه تفسيرها تفسيرا بشريا ،وإنكار كونها وحيا إلهياً.

<u>ثانيا: نقض موقفه من و دعوى التعارض بين العلم والدين:</u>

اتخذ المؤلف مواقف خاطئة تتعلق بالعلاقة بين الدين والعلم، ادعى من خلالها وجود تعارض بين الدين والعلم. من ذلك أنه قال: ((المسألة الأخرى في هذا الصدد عبارة عن بيان وجه التناسب بين العلم والدين، فإنّ كيفية حل التعارض بين العلم والدين تعتبر بحد ذاتها مسألة مهمة، ولكن مع غض النظر عن المناهج والأساليب المتداولة في حلّ هذه المسألة، فإنّ المتدينين في العالم المعاصر وفي جميع المجتمعات الدينية ومنها مجتمعنا قد توصلوا بأجمعهم إلى هذه النتيجة، وهي أنّ الدين **لا** يأخذ على عهدته تعليم العلوم الطبيعية، وعلى الأقل أنّ عامة المسلمين متفقون على هذا الرأي))[3].

و((ولا أحد منّا يتوقع على مستوى الجد والحقيقة أن يعلمنا النبي الأكرم علم الفيزياء أو الكيمياء أو علم النجوم أو الطب أو الهندسة أو الجبر

[1] عن ذلك أنظر مثلا: خالد كبير علال: جنايات أرسطو في حق العقل والعلم . و مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم. و الكتابان منشوران ورقيا و إلكترونيا.
[2] أنظر مثلا: رنيه تاتون: تاريخ العلوم، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ج 1 ، ص: 369 و ما بعدها.
[3] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 85.

وأمثالها. وعندما نجد في بعض الروايات إشارات من هذا القبيل فهي تنطلق في بيانها لهذه الأمور بالعرض تماماً، أي أنّها لا تعني أنّ هذه الأمور ذاتية من جوهر الدين. وفقدان مثل هذه التعاليم والإشارات في النصوص الدينية لا يمثّل نقصاً في الدين أيضاً، وأمّا الإشارات الواردة في النصوص إلى هذه المسائل فهي على سبيل الهامش وبالعرض... إنّ الوصول إلى هذه النتيجة وقبولها ينتج ثمرات وبركات كثيرة، ومن ذلك حلّ مشكلة التعارض بين العلم والدين، بمعنى أننا نصل إلى هذه النتيجة وهي أنّه لا ينبغي لنا النزاع والنقاش بجديّة حول الأمور العلمية الواردة في النصوص الدينية والالتزام بها من موقع الإصرار وأنّها تمثّل الحق والواقع))[1].

وأقول:كلامه هذا غير صحيح في معظمه، و فيه تغليط وتلبيس، وانحراف عن المنهج الصحيح المُتعلق بالعلاقة بين الدين والعلم. لأنه أولا إن موضوع التعارض بين الدين والعلم لا يصح القول به من جهة الإمكان النظري، لأنه لا يُمكن أن يحدث تعارض بين كتاب الله المسطور- الوحي- ،وبين كتابه المنظور- الطبيعة وعلومها- . فإذا ما وجدنا تعارضا بينهما في الواقع ، فإما أن النص الشرعي غير صحيح، وإما أن الكتاب كله ليس وحيا حقيقيا. وإما أن المُعطى العلمي الذي اعتمدنا عليه، ليس حقيقة علمية، وإنما هو مُعطى غير صحيح، أو أنه مجرد نظرية لم يقم الدليل القطعي على صحتها. وإما أننا أخطأنا في فهم الدين والعلم أو في فهم أحدهما.

وثانيا إذا كان الدين الإلهي لم يتول تعليم الناس علوم الطبيعة من فيزياء، و كيمياء، وطب ،وهندسة وغيرها، فإن هذا لا يعني أن الدين الحق لا يهتم بهذه العلوم ، ولا أنه لا مكانة لها فيه ،ولا فائدة من ذكرها فيه. فهذا الجانب هو الذي أغفله المؤلف، بل ونفاه بطريقة غيرة مباشرة بدعوى أن الدين لم يأت لتعليم الناس علوم الطبيعة، وأن وجود إشارات منها فيه هو وجود عرضي وليس وجودا أصليا ذاتيا.
و قد سبق أن ناقشنا الرجل في هذا الموضوع وبينا بالشواهد الدامغة أن وجود الإشارات العلمية في القرآن الكريم هو أمر أصلي وأصيل وليس

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 86.

عرضيا وإنما هو ضروري ومطلوب شرعا وعقلا،وأن له فوائد وإيجابيات كثيرة.

علما بأنه إذا كان الدين الإلهي لم يأخذ على عاتقه تعليم الناس علوم الطبيعة، فإن في احتوائه على الإشارات والمفاهيم والحقائق العلمية المتعلقة بالكون ومختلف مظاهره من جهة الإجمال والتفصيل لبعضها، فإن ذلك يعني أن الدين الإلهي جاء بحقائق علمية هامة، وأنه يحث الناس على طلبها ، وأن وجودها في الدين هو من ضروريات الدين الحق. لأنه لا يصح عقلا ولا شرعا ولا علما أن يكون الدين الإلهي لا يتضمن هذا الجانب الهام والأساسي من الكون من جهة. وأن عدم وجوده فيه هو نقص فادح ، ودليل دامغ على أن هذا الدين ليس هو الدين الحق من جهة أخرى. وبما أنه سبق أن تناولنا هذا الموضوع فيما تقدم من كتابنا هذا فلا نعيد تفصيله هنا.

وأخيرا- ثالثا- إن قوله: ((إنّ الوصول إلى هذه النتيجة وقبولها ينتج ثمرات وبركات كثيرة، ومن ذلك حلّ مشكلة التعارض بين العلم والدين، بمعنى أننا نصل إلى هذه النتيجة وهي أنّه لا ينبغي لنا النزاع والنقاش بجديّة حول الأمور العلمية الواردة في النصوص الدينية والالتزام بها من موقع الإصرار وأنّها تمثّل الحق والواقع)). فهو في الحقيقة ليس حلا ،وإنما هو مُشكلة بذاته وتكريس لها، بدليل الشواهد الآتية:أولها إن القول بأن وجود الإشارات والمفاهيم العلمية في الوحي الإلهي هو مجرد وجود عرضي لا ذاتي ولا أصلي، هو قول باطل جملة وتفصيلا. لأن حكاية العرضيات في الشرع هي من خرافات الرجل، وقد سبق بيان فسادها. ولأن القرآن الكريم ينقض ما ادعاه الرجل، فهو يشهد بذاته على أنه كتاب مملوء بالإشارات والمفاهيم العلمية ،وأنها تمثل منه قسما كبيرا جدا ، لذا فمن العناد والتعصب الأعمى إنكاره .

كما أن عدم تولي الوحي تعليم الناس علوم الطبيعة لا يعني أنها عرضية، ولا أنها مُشكوك فيها، ولا أنه أهملها. وإنما الحقيقة هي أن الوحي –مع أنه لم يتضمن تعليم تلك العلوم بالتفصيل- فإنه قد حث على تعلمها، ونوّه بأهميتها، وتضمن حقائق كثيرة منها، واستخدمها لتحقيق مقاصد هامة وحِكم بالغة[1].

---

[1] سبقت الإشارة إلى طائفة منها.

والشاهد الثاني مفاده إن وجود التعارض بين الدين والعلم لا ترفعه حكاية العرضيات والذاتيات التي قال بها المؤلف،وإنما يرفعه أحد الاحتمالات الثلاثة الآتية: إما أن يكون حدث خطأ في فهم الدين والعلم أو أحدهما. وإما أن المُعطى العلمي غير صحيح . وإما أن النص الديني غير صحيح.

والشاهد الأخير- الثالث- إن قوله: ((لا ينبغي لنا النزاع والنقاش بجديّة حول الأمور العلمية الواردة في النصوص الدينية والالتزام بها من موقع الإصرار وأنّها تمثّل الحق والواقع)). فهو قول فيه تشكيك في صحة الإشارات العلمية الواردة في النصوص الدينية كلها، بل وأظهر الميل إلى القول بعدم صحتها. وهذا موقف لا يصح، لأنه كان عليه أولا أن يُميز بين القرآن الكريم الذي هو قطعي الثبوت ومتنه صحيح من دون شك ،و بين الروايات الحديثية التي منها الصحيح، ومنها الضعيف ، والصحيح منها الموافق للقرآن يجب الأخذ به.

وأما بالنسبة للإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم، فهي صحيحة قطعا، ولا يُمكن أن تتضمن أي خطأ علمي. لكن الرجل أغفل هذا وعمم موقفه لغاية في نفسه. مع أنه موقف متناقض، ولا يصح القول به،ولا الدعوة إليه. لأن العقل البديهي- و هوالخالي من الأهواء- يرفض بشدة أن يعتقد أن كتابا ما ، هو من عند الله ، ثم يُشكك فيه كله، أو في بعض منه!!!!. فإما أن هذا الكتاب هو من عند الله، وهذا يستلزم أن كل ما فيه صحيح ، بما فيه جانبه العلمي. وهذا هو الموقف الصحيح والسليم المتفق مع العقل والشرع والعلم. وأما القول بأن هذا الكتاب هو من عند الله ، ثم القول بأنه مُشكوك فيه ،و يتضمن أخطاء علمية ، فهذا قول باطل جملة وتفصيلا، لا يُمكن أن يقبله شرع صحيح، ولا عقل صريح، ولا علم صحيح. وإنما هو كتاب بشري، مكذوب على الله سبحانه وتعالى. لأن كتاب الله الحق يجب أن يكون كله حقا، لأنه من عند الحق سبحانه وتعالى.

فذلك القول هو شاهد دامغ على صاحبه بأنه مارس التغليط والتحريف والتشكيك. وعليه فهو إما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه أخطأ فيما قاله ،وإما أنه لا يُؤمن أصلا بأن القرآن كلام الله تعالى، لكنه لم يُصرّح بذلك علانية لغاية في نفسه.

ثم إن المؤلف قال: ((ولكن من الواضح لكل من خَبُر هذه العلوم وكانت له ممارسة فكرية في طبيعة وتاريخ هذه العلوم أنّ الحكم في هذا المورد مثل سائر الموارد السابقة، فحكم العلوم الإنسانية من اقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع حاله حال العلوم الطبيعية والفيزيائية. فليس الغرض من الأديان، ومنها الإسلام، تعليم الناس العلوم الطبيعية والتجريبية ولا تعليمهم العلوم الإنسانية ... فإنّ مباني ومرتكزات ومسائل هذه العلوم مستقلة عن الدين فيما تمثّله من بحوث ومناهج ودراسات، وهذا المعنى يمثّل أفضل علامة على التمايز الماهوي وبينها وبين الدين. فلو أنّ الأديان جاءت لتعليم الناس هذه العلوم فلماذا لا نجد في الأوساط الدينية عالماً بالاقتصاد أو بالاجتماع أو بعلم النفس بالمعنى السائد في هذا العصر؟ ولماذا لم يستخرج مؤسسو هذه العلوم مبانيهم ونظرياتهم العلمية من عمق التعليمات والنصوص الدينية؟))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه ، وفيه تغليط وتلبيس، وإغفال لمعطيات وحقائق هامة تتعلق بعلاقة الإسلام بتلك العلوم. وتفصيل ذلك أولا إن الحقيقة هي أن الإسلام جاء بتعليم الناس العلوم الطبيعية والإنسانية بطريق غير مُباشر، تمثل في جانبين أساسيين: الأول هو أن الإسلام تضمن نصوصا كثيرة تناولت علوم الطبيعة: مضمونا ،و تنوعا، و منهجا، كقوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)(الأنبياء : 30)،و(ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)(المؤمنون : 14)،و(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)(العنكبوت : 20).

ومنها نصوص أخرى تناولت جوانب كثيرة من علوم الإنسان ضمن الاجتماع البشري بمعناه العام. فمن ينظر في القرآن الكريم ويتدبره يجده اهتم كثيرا بعلم العمران البشري والسنن المُتحكمة فيه، على مستوى الأمم والأفراد والجماعات . منها قوله تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 87-89.

الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذَّبِينَ)(آل عمران : 137)،و(وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(الحج : 40)،و(إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ)(آل عمران : 140)[1].

والجانب الثاني مفاده أن الإسلام بما أنه تضمن جانبا كبيرا من تلك العلوم ، ووظفها لتحقيق مقاصد وأهداف كثيرة، لأنها مطلوبة دينيا ودنيويا ، فهو يكون بذلك قد علمنا جانبا منها ، ونوّه بأهميتها ،وحثنا على تعلمها وممارستها لأنها جزء من الكون الذي صخره الله لنا، وأمرنا بعمارته، وحثنا على ارتياد أقطاره.

وثانيا ليس صحيحا أن العلوم الإنسانية مُستقلة عن الدين بمنطلقاتها وأُسسها ومسائلها .فهذا لا يُمكن أن يحدث ، لأن الدين في حقيقته ليس هو الدين الذي حمل اسم الدين ، وإنما هو أي مبدأ ،أو مذهب، أو فكرة ينطلق منها الإنسان لتحديد علاقته بالخالق، والكون ، والحياة، انطلاقا من الإجابة على الأسئلة الأزلية المعروفة ، التي لاُ يمكن لأي إنسان أو مجتمع أن يتجاوزها، ويعيش من دون الإجابة عنها ، وهي: من أين أتينا؟، و لماذا أتينا ؟ ،و إلى ين المصير؟.وحتى الذين يتهربون من الإجابة عليها ، فهم قد أجابوا عليها بتهربهم منها، و بنوا عليه حياتهم!!. وبما أن الأمر كذلك، فكل إنسان إلا وله دين، وكل مجتمع إلى وقد أقام حياته على دينه، بغض النظر عن حقيقة وخصائص كل دين. والأديان ليست نوعا واحدا، منها أديان أرضية ، كالعلمانية، والبوذية، ومنها أديان ذات أصل إلهي ثم انحرفت وفقدت مصدرها الإلهي،و أصبحت دينا أرضيا، كاليهودية ، والنصرانية ، ومنها دين واحد هو الدين الإلهي الحق، هو الإسلام ، لقوله تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ (آل عمران : 19)،و(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران : 85).

---

[1] للتوسع في هذا الموضوع أنظر مثلا: عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم و الجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998 .

وبمـا أن الأمـر كـذلك، فكـل العلـوم الإنسـانية لا يُمكنهـا أن تنفصـل عـن مجتمعاتهـا مـن جهـة أديانهـا ونظمهـا، أخلاقهـا وغاياتهـا. وإذا تصوّرنـا أنهـا انفصلت عنها، فهذا يعني بالضرورة أن مُجتمعاتها قد انقرضت ، أو أبادتها الكوارث. وعليه فـإن علـوم الإنسـان ستكون نسـبية بالضـرورة فـي أحكامهـا ومجالات تطبيقها ، ولا يُمكنها أن تكون مُطلقة فـي أحكامهـا وانتشارها ما دامت تلك العلوم هذا حالها. فهي كذلك لأن العلوم الإنسانية هي انعكاس لما يجري في مجتمعاتها في كل مظاهر حياتها . وبما أن هذه المجتمعات تُمثل الجانـب الاختيـاري مـن حيـاة البشـر، وأن حيـاتهم لا تقـوم إلا علـى أسـاس نظـرتهم إلـى الكـون والحيـاة والإنسـان ،ومـا يترتـب عـن ذلـك مـن أخـلاق وسلوكيات ونُظم ، وبما أن البشر مُختلفون فـي ذلك، فهذا يُؤدي إلـى تبـاين المجتمعات البشرية في كثير من مظاهرها الحياتية.

وذلـك يترتـب عنـه بالضـرورة ظهـور علـوم إنسـانية مُتعـددة ونسـبية الأحكـام والانتشـار. ممـا يعنـي أن علـوم الإنسـان ليسـت بـذاتها علمـا واحـدا وإنما هي مُتعددة، منها علوم إنسانية تحكم المجتمعات الرأسمالية المتطورة علميـا وماديـا. و منهـا علـوم إنسـانية تحكـم المجتمعـات الشـيوعية، وأخـرى تحكم المجتمعات الإسلامية التي تطبق الإسلام ... وهكذا. لكن يجب أن لا يغيب عنا أن موضوعها واحد، هو العمـران البشـري، وهـذا خـلاف مـا قالـه الرجل عندما زعم أن علوم الإنسان مُستقلة عن الدين.

وبنـاءً على ذلك يُمكن القول: إن أي عالم من علمـاء علـوم الإنسـان يـدرس مجتمعا بشريا ، فهو لن يدرس إلا مُجتمعا دينيا أولا ، وانطلاقـا مـن قناعاتـه الدينية الشخصية ثانيا.

وأما فيما يخص قوله بأن العلوم الإنسانية مُستقلة عن الـدين فـي بحوثهـا و مناهجهـا، فكلامنـا السـابق يُبطلـه مـن أساسـه. وإن قيـل: إن العلـوم الإنسـانية تمتـاز عـن الـدين بجانبهـا الإحصـائي ،والميـداني ،والتخطيطـي. فـأقول: هـذه وسـائل تنظيميـة وبحثيـة موضـوعية حياديـة ليسـت خاصـة بعلـم مـن العلـوم، ويُمكن لأي ديـن ، أو مـذهب أن يسـتخدمها فـي نشـاطه حسـب خصوصـياته. هـذا فضـلا علـى أن الجانـب التنظيمـي والتخطيطـي همـا مـن ضـروريات الاجتماع البشري كما بيناه عندما تكلمنا عن التخطيط والبرمجة والتنظيم .

فعندما يُوجد المجتمع الإسلامي الذي يطبق الإسلام تطبيقا كاملا وشاملا، سيظهر علم العمران البشري الإسلامي ومعه علماؤه الذين يدرسونه في أصوله ومظاهره وآثاره ،وتكون لهم فيه بحوث واستبيانات ،ومقارنات وإحصائيات، وغير ذلك كثير من الوسائل البحثية والتنظيمية.

وأخيرا- ثالثا- فإن عدم ظهور العلوم الإنسانية الحديثة على أيدي الفقهاء المسلمين في العصر الإسلامي، فسببه ليس هو ما ذكره المؤلف،وإنما السبب الأساسي هو تراجع نمو وازدهار العلوم الإسلامية في عصر الانحطاط السياسي والحضاري،وغلبة التعصب والتقليد المذهبيين على معظم أهل العلم في ذلك العصر. فأدى هذا إلى تأخر تلك العلوم عامة، وعلم سنن الاجتماع البشري خاصة ، مع أن أصولها الشرعية موجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة. لكن مع ذلك فقد ظهرت خطوط و إشارات كبرى لهذا العلم على أيدي بعض كبار الفقهاء كالماوردي، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية، وابن خلدون الذي تفوّق على الجميع ، ويُعد المؤسس الفعلي لعلم العمران البشري قبل أن يتكلم فيه الغربيون[1]. فالفضل الأول في تأسيس علم العمران البشري يعود إلى القرآن الكريم أولا، ثم ثانيا إلى فقهاء المسلمين عامة وابن خلدون خاصة[2] ، ثم إلى علماء الغرب ثالثا.

ويجب أن لا يغيب عنا أن الغربيين الذين أسسوا العلوم الإنسانية الحديثة، هم أيضا أسسوها انطلاقا من أديانهم وتوجهاتهم المذهبية ،ومن ظروفهم الاجتماعية التي هي نفسها كانت انعكاسا لأديانهم وسلوكياتهم، ونُظمهم السياسية وغيرها. فهؤلاء أسسوا علوما إنسانية غربية، ولم يُؤسسوا علوما إنسانية عالمية. ولو أسسها مسلمون في مجتمع إسلامي لكانت علوما إنسانية إسلامية، في منطلقاتها ،وأسسها ،وغاياتها ،انطلاقا من الإسلام ،ومجتمعه الإسلامي. وأبرز مثال على ذلك هو أن عبد الرحمن بن خلدون عندما درس العمران البشري كان كثير الاستشهاد بالقرآن والسنة[3]. علما بأن وجود قواعد عامة تجمع كل العلوم الإنسانية لا تنفي خصوصياتها ومُنطلقاتها الدينية والمذهبية، ووجود هذه الأخيرة لا تنفي تلك الأصول

---

[1] للتوسع في هذا الموضوع أنظر مثلا: عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم و الجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998 .

[2] تناولت هذا الموضوع بتوسع في كتابنا: أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المُقدمة ، و الكتاب منشور إلكترونيا وورقيا.

[3] عن ذلك أنظر مثلا: خالد كبي علال: أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المُقدمة ، و الكتاب منشور إلكترونيا وورقيا.

والقواعد العامة التي تجمع كل علوم العمران البشري . فهما وجهان لعملة واحدة ، هي علوم الاجتماع الإنساني التي لا يُمكن تستغني عن أحدهما.

وبذلك يتضح جليا أن المؤلف قد أخطأ عندما قال بوجود تعارض بين الدين والعلم، من دون أن يُحدد بدقة الحالات التي قد يُوجد فيها تعارض بين الدين والعلم، ويستثني الحالة الصحيحة التي يحدث فيها ذلك. لأن الحقيقة هي أنه لا يصح القول بوجود تعارض بين الدين الحق والعلم الصحيح ، وإنما ذلك يوجد في حالات أخرى بيناها أعلاه.

ثالثا : نقض مواقف للمؤلف تتعلق بختم النبوة:

تبنى المؤلف مواقف باطلة أقامها على فهمه التحريفي لمبدأ ختم النبوة في دين الإسلام. منها أنه قال:((حيث إنّ الدين يمثل خلاصة وعصارة التجارب الفردية والجمعية للنبي. ومن هنا لابدّ من استمرار التجارب النبوية الباطنية والخارجية في غيبة النبي من موقع تعميق واتساع الدين وإثراء تعاليمه السماوية، إنّ العرفاء الذين يتطفلون على تجربة النبي وكشفه الباطني ويسيرون في ظلّه ويأكلون من مائدته وطريقته، يعملون على زيادة وإثراء التجارب الدينية لنا، فكل تجربة لعارف من العرفاء تمثّل نوعاً فريداً من التجربة العرفانية بحدّ ذاتها، فهي بدورها مطلوبة ومحمودة وجميلة. فلو قلنا بأنّ «حافظ الشيرازي» أفصح شعراء ايران وأنّ تجربته الشعرية والفنية أغنى وأرفع التجارب «حسب الفرض» فإنّ ذلك لا يلازم أن نغض الطرف عن قصائد شعراء آخرين مثل الجامي والأنوري والمنوچهري وغيرهم ولا نعدّ تجربتهم الشعرية شيئاً مهمّاً ومفيداً في إثراء فن الشعر والتجربة الشعرية. إنّ كل هؤلاء الشعراء أعزاء علينا ولهم مكانتهم السامية في تاريخ الفن، إنّ عالم التجربة عالم الكثرة والتعدد. والتجربة الباطنية والعرفانية للمولوي والغزالي والشبستري والسيد حيدر الآملي كلها تصبّ في ميدان المعرفة ولكل واحدة منها مَعلَم وكلام خاص يزيد من عمق وسعة التجارب العرفانية السابقة. فلو قلنا بعدم صحة مقولة «حسبنا كتاب الله»، فكذلك تكون مقولة «حسبنا معراج النبي وتجربة النبي» غير صحيحة وغير كافية، إنّ تجربة عشق العرفاء على سبيل المثال تعدّ من التجارب اللطيفة العرفانية التي تسير في خط التجارب الدينية للمتدينين. وكذلك الفكر الشيعي الذي يدور حول مفهوم الإمامة، هو في الحقيقة بمثابة فتوى بتداوم واستمرار وبسط التجارب النبوية، وهذا المعنى يلازم حركة وتكامل الدين في الواقع التاريخي))[1].

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 26.

وأقول: هذا كلام باطل، وفيه تغليط وتلبيس، وافتراء على الله ودينه ورسوله ،وفيه انحراف منهجي كبير عن منهج الاستدلال الصحيح. لأنه أولا إن مزاعمه التي تضمنها قوله هذا تفتقد إلى الشرعية، فقد قررها بعيدا عن الوحي الصحيح، فكان عليه أن يذكر الأدلة الشرعية التي تثبتها. وبما أنه لم يذكرها ولن يجدها أيضا فإن مزاعمه هذه باطلة ومردودة عليه. وهذا وحده كافٍ لنسفها من أساسها. وأما حكاية الضرورة التي اختفى من ورائها المؤلف، فهي ليست ضرورة أبدا شرعاً ولا عقلا، وإنما هي رغبة من رغباته، وزعم من مزاعمه ، ومتى كانت الرغبات والمزاعم أدلة وضروريات لمجرد أنها كذلك؟؟!!. فالرجل أنطلق من خلفيات مذهبية مُسبقة بنى عليها مواقفه ،وألبسها ثوب العقل والشرع والضرورة من دون أي دليل صحيح. والحقيقة أنها ليست كذلك تماما، فلا هي من الشرع الصحيح، ولا هي من العقل الصريح.

وثانيا إنه لا يُمكن أن تستمر التجربة النبوية لأن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة، ولأن الدين قد اكتمل، وأن النبي قد توفي. وعليه فلا يُمكن أن تتكرر تجربته، وليس الإسلام في حاجة إلى تكرارها.وكلامنا هذا هو من بديهيات دين الإسلام، والمعروفة منه بالضرورة.قال تعالى:(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)(المائدة:3)،و(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ)(النحل: 89)،و(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)(الأحزاب: 40). لكن التي تتكرر بعد وفاته عليه الصلاة والسلام هي التجارب الإنسانية في التزامها بدين الإسلام وتفاعلها معه.وهذه التجارب الإنسانية تثري تجاربنا وتعمقها ، وتنمي تراثنا الفكري ، لكنها لا يُمكن أن تتدخل في دين الإسلام لتثريه أو لتوسعه كما زعم الرجل ، لأن الإسلام لا يحتاج إليها فهو كامل بذاته، ولن يستطيع أحد أن يُلحق ذلك بدين الإسلام، المَصُون بالقرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة الموافقة له.ومن يدعي أن التجربة النبوية يُمكن أن

تتكرر بعد وفاة النبي فهو إما جاهل بدين الإسلام، و إما أنه لا يعي ما يقول ، و إما أنه صاحب هو قال ذلك لغاية في نفسه.

ومن جهة أخرى فإن دين الإسلام- بعد نبيه- لا يحتاج أبدا إلى تكرار تجربة النبوة، لأنه دين كامل شامل جمع بين الدين والدولة، وبين الدارين الدنيا والآخرة ،وإنما طلب من المسلمين أن يُخلصوا دينهم لله بصدق وعزيمة، وأن يلتزموا بشرائعه، وأن يموتوا عليه مسلمين. قال سبحانه:(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية:18)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء:59).

وثالثا إن الرجل أخطأ خطأً منهجيا فاحشا عندما انطلق في مقارنته بين تجربة النبي، وتجربة الشاعر،وتجربة العارف من مقدمة واحدة ،ثم بنى عليها مواقفه. وهذا لا يصح لأنه لا مجال للمقارنة بين تجربة النبي من جهة، وبين تجربتي الشاعر والعارف من جهة أخرى.لأن تجربة النبي لا تحدث إلا باختيار من الله تعالى ،ولأن النبوة قد خُتمت. وعليه فتجربة النبي لا يُمكن أن تتكرر. لكن تجربة الشعراء و العرفاء والحكماء ، فهي تجارب بشرية يُمكن أن تتكرر بين أمثالهم، وتظهر في أي مكان وزمان. وعليه فلا مجال للمقارنة بين تجربة النبي مع الوحي ،وتجربة الشعراء و الصوفية في تجاربهم الدينية.فالفارق بين التجربتين حاسم وليس فرقا في الدرجة مع وحدة المنطلق، فمن يسوي بينهما في المنطلق فهو إما أنه جاهل بالشرع، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هوى قال ذلك لغاية في نفسه. فالرجل أخطأ في المنهج والتطبيق والنتيجة.

ورابعا إن مقولة :«حسبنا كتاب الله» التي قالها عمر- رضي الله عنه- و التي غمزه بها المؤلف وشكك فيها ، هي مقولة صحيحة 1000/ 100، بل أكثر من ذلك. وهي تعبر عن حقيقة من أعظم حقائق القرآن الكريم ،وهي

أن كتاب الله كتاب كامل شامل للدنيا والآخرة، وأنه كتاب وضع حلا واضحا لموضوع الإمامة.

وكتاب الله كامل شامل بأصوله وفروعه ،وقواعده ومفاهيمه، وتشريعاته العامة والمُفصلة،وبتوجيهاته ودعوته إلى الاجتهاد بكل أنواعه. فلو ألتزم المسلمون بالقرآن الكريم التزاما صحيحا لجنبوا أنفسهم الويلات التي حلت بهم، و لحافظوا على وحدتهم ،ولحقنوا دمائهم ، ولَما غزتهم ودمرتهم الروايات الحديثية والتاريخية المكذوبة.وعليه فأنا أتحدى الكاتب أن يذكر دليلا واحدا يُثبت أن تلك المقولة غير صحيحة.

وإذا قيل:إذا كان القرآن كما ذكرت، فلماذا اختلف المسلمون وتقاتلوا، و كفروا بعضهم بعضا بسبب الخلافة ؟؟. فأقول: إن موضوع الخلافة كأحكام وتشريع وما يتصل بها، قد بينه القرآن الكريم بكل وضوح ، قال سبحانه: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(الشورى : 38)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (النساء : 59)،و(فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)(آل عمران : 159)،و(وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(المائدة:2) . فيتبين من هذه الآيات أن القرآن وضع للحكم حلا واضحا حاسما ، فالحكم- الإمامة، الخلافة- ليس خاصا بفرد من المسلمين، ولا بأسرة ، ولا بقبيلة، ولا بعرق منهم ، وإنما هو شورى بينهم. فكل من اختاره المسلمون بكل رضا وحرية ومساواة فهو الخليفة. وعليه فإن قول المؤلف بأن النبي تحدّث بوصيته لعلي ولبعض الصحابة قبيل وفته[1]. هو زعم باطل قطعا، وافتراء على الله ورسوله والمؤمنين ،وعلى التاريخ الصحيح الموافق للقرآن الكريم.

وأما لماذا اختلف المسلمون بسبب موضوع الخلافة ؟!، فليس سببه هو أن القرآن لم يُشرع للسياسة، ولم يضع حلا لموضوع الحكم ،وإنما سبب ذلك هو أن أهل الأهواء وأصحاب المصالح الدنيوية من الأفراد والجماعات

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 125.

والقبائل والفرق الإسلامية عندما لم يُعجبهم ما شرعه القرآن، ووجدوه يتعارض مع مصالحهم عطلوه،وجعلوه وراء ظهورهم، واختلقوا روايات كثيرة عطلوا بها حكم القرآن ،وحرموا الأمة من حقها في أن تختار من يحكمها ،وأقاموا بها لأنفسهم مذاهب حسب أهوائهم ومصالحهم ومذاهبهم[1].

وأما مقارنة المؤلف بين المقولتين السابقتين و تعليقه عليهما بقوله: ((فلو قلنا بعدم صحة مقولة «حسبنا كتاب الله»، فكذلك تكون مقولة «حسبنا معراج النبي وتجربة النبي» غير صحيحة وغير كافية)). فهي مقارنة غير صحيحة، وفيها تغليط وتلبيس، لأن المقولتين غير مُتطابقتين،و الفارق بينهما أساسي وحاسم،ولا مجال للمقارنة بينهما. فالأولى صحيحة لأنها تُعبر عن حقيقة ودور وأهمية القرآن الكريم وقدرته على إسعاد الأمة. لأن القرآن كتاب كامل شامل للدين والدنيا، وهو كتاب قطعي الثبوت والورود ،ويقوم بنفسه ولا يقوم بغيره، ويحمل بداخله براهين صدقه. وأما المقولة الثانية فهي- في مضمونها ليست في مستوى المقولة الأولى، بل هي جزء منها ، والأمر الذي دعت عليه لا يُمكنه أن يحل محل القرآن الكريم ،ولا أن يقوم بدوره. فتجربة المعراج هي حادثة من القرآن نفسه، فكيف تستطيع أن تحل محله؟؟ .

والشطر الثاني منها " تجربة النبي " ليس في مستوى القرآن ، وإنما هو أيضا جزء منه ، لأن القرآن هو الذي أمرنا بإتباع السنة النبوية من جهة ، ولأنها تطبيق عملي لما أمر به القرآن الكريم من جهة ثانية. والقرآن هو الأصل والمنطلق، وهو الذي أوجد التجربة النبوية وليس العكس. فهو الموجد لها ، والمتحكم والموجه لها ، ولا يُمكنها أن تحل محله. والقرآن كتاب الله ، وتجربة نبيه ليست كتاب الله، وإنما هي تطبيق عملي لما يأمر به كتاب الله. فهذا هو الفارق الحاسم بينهما ، ومن ثم فالمقارنة بينهما لا تصح : مُنطلقا ،ولا مكانة ،و لا دورا.

علما بأن التجربة النبوية لا تقوم لوحدها ، فلا تجربة نبوية بلا قرآن من جهة ، ولا يُمكنها أن تكون لوحدها دليلا قطعيا على صدق نبوة محمد- عليه الصلاة والسلام- من جهة أخرى. وهي في معظمها أخبار آحاد وليست قطعية الورود كالقرآن الكريم. فالتجربة النبوية تابعة للقرآن الكريم، وليس

---

[1] كل أهل الأهواء أقاموا مذهبهم على الكذب و اختلاق الروايات، فكان سوق الكذب رائجا ، بحيث كثرت الروايات المكذوبة بعد مقتل الشهيد عثمان بن عفان، بشكل كبير و رهيب. و عن هذا الموضوع أنظر كتابنا: مدرسة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي وتدوينه . و الكتاب منشور ورقيا وإلكترونيا.

العكس، فهو الذي أوجدها، وأمر باتباعها، وأعطاها الشرعية، فهي لا تساويه، ولا تنافسه، ولا تناقضه،ولا تتقدم عليه، وإنما هي تابعة و خادمة له، وتطبيق عملي لأوامره. قال سبحانه : (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(النحل : 44)،و(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام : 162).

وإذا قيل: أليس القرآن هو أيضا تابع للتجربة النبوية كما في تحديد تفاصيل الصلاة، فقد وردت فيه مُجملة ،والسنة النبوية هي التي فصلتها، ولا يُمكننا أداء الصلاة كاملة إلا بالعودة إلى التجربة النبوية . فأقول: نعم هذا صحيح ، لكن يجب أن نعلم ونفهم أن هذا الأمر تم بأمر من القرآن الكريم نفسه، و ليس بأمر من التجربة النبوية. فالله تعالى كان قادرا على أن يُفصل أفعال الصلاة في القرآن الكريم كما فصل أحكام الميراث، والوضوء، والطلاق. لكنه سبحانه لم يفعل ذلك إلا عن حكمة وكمال، وليس عن نقص في كتابه، لكي يُبين لنا أن السنة النبوية الصحيحة مطلوبة، و مرتبطة بالقرآن الكريم ارتباطا قويا و تابعة له أيضا.

والموقف الثاني مفاده أن المؤلف قال: ((ومن هنا كانت جميع المقالات الواردة في تحليل ظاهرة خاتمية النبوة من جنس تحليل الواقعة بعد وقوعها، أي بما أننا قد اعتقدنا سابقاً بهذه القضية وأنّ هذا النبي خاتم الأنبياء فنتحرك في تحليلنا لهذه الظاهرة من هذا الموقع، فنحن لا نملك فرضية مستقلة عن النصوص بل نعتمد في ذلك على ادعاء النبي نفسه. فمثل هذا التحليل والتفسير هو تحليل بعد وقوع الواقعة ويترتب عليه أحكام خاصة، منها أنّه لا مجال فيها لاستشراف المستقبل كما هو الحال في العلوم التجريبية، فعندما نقرأ تحليلاً وتفسيراً لهذه الظاهرة فإننا سنقبل بأصل هذا المدعى بدون تردد، ولذلك فهو بالمعنى الدقيق للكلمة غير برهاني وغير استدلالي بل لمجرّد بيان معقولية هذا المدعى، وهذا هو السر في اختلاف المفكّرين وعلماء الإسلام في بيان سرّ هذه الخاتمية، فقد كان عملهم مثل فهم لغة معينة بدون أن يكون لدى الإنسان قدرة التكلّم بها وتشكيل جمل

وعبارات من مفردات تلك اللغة، أو يشبه حدس علّة لظاهرة معينة بحيث لا يوجد طريق مباشر يوصل بين العلة وذلك المعلول))[1].

وأقول : ليس صحيحا أن الاستدلال على ختم نبوة محمد-عليه الصلاة والسلام- للرسالات السماوية هو استدلال غير برهاني ،ولا يصح أيضا مقارنتها بالأمثلة التي ذكرها المؤلف. لأن الذي أخبرنا بختم نبوته هو الله تعالى ورسوله، وكلام الله برهان بنفسه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)(النساء:174)،و(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ (يونس : 108). وكذلك كلام النبي-عليه الصلاة والسلام- فإن صح فهو حجة بذاته أيضا.فلا تصح المقارنة بين إنسان عادي يدعي أنه نبي خاتم، وبين نبي يقول بأنه نبي خاتم. فالأول يحتاج إلى برهان لإثبات نبوته أولا، لكن الثاني لا يحتاج إلى ذلك، وكلامه صحيح لأنه برهان بذاته، بحكم أنه نبي. ومن يعترض علينا في هذا الاستدلال، فهو مُخطئ، ولا يصح له أن يعترض علينا فيه من ناحية الاستدلال العلمي. وإنما عليه أن ينقض المقدمة أولا ، لكي تسقط النتيجة، ولا يعترض على النتيجة مباشرة. بمعنى عليه أن يُثبت أولا أن القرآن ليس كلام الله، وأن محمدا ليس نبيه. وبما أنه لن يستطيع إثبات ذلك، فاعتراضه غير صحيح، واستدلالنا صحيح.

ويُمكن تقريب استدلالنا على ختم النبوة بكلام الله ورسوله،بأنه استدلال علمي صحيح، باستخدام القوانين العلمية كأدلة وبراهين في مختلف العلوم. فهذه القوانين بعدما أثبت البحث العلمي بأنها صحيحة، أصبحت براهين وحججا بذاتها، تُستخدم كمعيار وميزان لقبول أو رفض أية نظرية جديدة ، من دون المطالبة بصحة تلك القوانين أولا، وإنما أصبحت هي مقياسا لمعرفة الحقيقة العلمية من عدمها. وبما أن هذا الاستدلال صحيح ، فمن باب أولى أن يكون صحيحا عندما نستدل بكلام الله وسنة نبيه الصحيحة الموافقة له.

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 153-154.

والموقف الثالث يتمثل في قول المؤلف: ((أمّا النقطة المهمّة الأخرى والتي تستدعي تكرارها والتركيز عليها فهي: أنّ مقولة الخاتمية تعتبر مدعى من داخل دائرة الدين لا من خارجه، أي لا يمكن إثبات خاتمية الرسول الأكرم بواسطة الأدلة العقلية والتجربية، وكذلك كون دين الإسلام كاملاً لا يمكن إثباته بالبراهين العقلية والامبريقية ... نعم هناك دليل قطعي على ذلك وهو أنّ هذا الدين كامل، وبما أنّه كامل فهذا يقتضي ختم النبوة، فهذا الدليل صحيح ولكنّ مقدمته تنطلق من دائرة النصوص الدينية فهي قضية من داخل الدين وغير قابلة للإثبات العقلي والتجربي. فالمسلمون يعتقدون لمدى قرون بالخاتمية من دون أن يكون لهم مبررات عقلية ومنطقية لهذا الاعتقاد...))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه انحراف عن منهج الاستدلال الصحيح. لأنه أولا إن من جهة الإمكان العقلي فإن ختم النبوة من عدمه ، هما احتمالان واردان بنسبة متساوية. فمن المُمكن أن يختم الله تعالى النبوات بنبوة أحد أنبيائه، ومن الممكن أن لا يختمها ،ولا يستطيع العقل أن يُثبت أحدهما بدليل يقيني. وعليه فهذا الأمر لا يُمكن إثباته إلا بدليل من الوحي الصحيح ، لأن الأمر بيد الله وليس بيد البشر. وعليه فإن الدليل الشرعي هو الوحيد الذي يستطيع أن يبت في ذلك بيقين. وهذا يعني أنه لا تصح المطالبة بالدليل العقلي والعلمي المجردين عن الوحي لكي يُثبت بيقين ختم النبوة من عدمها ، لأن هذا الأمر لا يدخل في مجاله، ولن يستطيع الحصول عليه بنفسه. لكنه يستطيع الحصول عليه من الوحي الصحيح، ومن الشواهد والأدلة التي تعتمد عليه ، والتي كان هو السبب في توفرها من جهة، وبإقامة الدليل القطعي العقلي والمحسوس على أن الإسلام هو دين الله حقا، مما يستلزم بالضرورة أن قوله بختم النبوة هو حق ويقين.

وبناءً على ذلك، فإنه يُمكن البرهنة على ختم النبوة بأدلة كثيرة قوية ودامغة، لا تقف أمامها اعتراضات المُنكرين للقول بختم النبوة، التي لا تعتمد على وحي صحيح، ولا عندها أدلة واقعية تشهد على صحتها.فمن الأدلة التي تُثبت ختم النبوة ، هو ما قرره القرآن الكريم. هذا الكتاب المعجز والفريد من نوعه في العالم بأسره، والذي لا يقبل التفسير البشري مُطلقا لتعليل مصدره ، والذي تحدى الله به الإنس والجن على الإتيان بمثله،

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 181-182.

فعجزوا كلهم عن الإتيان بمثله.هذا الكتاب يُمثل بنفسه دليلا ماديا ملموسا ، على أنه كتاب الله، ومن ثم فإن قوله بختم النبوة هو حق ويقين. ومن ثم لا يحق لأحد أن يرفض هذا الاستدلال بدعوى أنه استدلال ديني من داخل الدين وليس من خارجه. لا يصح لأن القرآن لم نستدل به لأنه كتاب ديني، وإنما لأنه برهان مادي ملموس بنفسه على أنه كتاب من عند الله ، وهذا يستلزم قطعا صحة ما تضمنه هذا الكتاب. والذي يُصر على رفض هذا الاستدلال، لن يصح موقفه حتى ينقض المقدمة التي انطلقنا منها. بمعنى حتى يُقيم الدليل الصحيح على أن القرآن الكريم ليس كتابا إلهيا. وهذا لن يستطيع القيام به، ولن يحصل على دليل واحد يُثبت زعمه. ولقد بذل الكفار قديما وحديثا، جهودا مُضنية للرد على التحدي القرآني فباءت كلها بالفشل الذريع. وعليه فمن ينكر ختم النبوة بدعوى أنه لا يثبت بالعقل وإنما يثبت بالقرآن فهو مُخطئ في موقفه.

والثاني هو دليل واقعي محسوس يتمثل في التوافق والتصديق والتطابق بين ما قرره القرآن الكريم بأن النبوة خُتمت بالنبي محمد- عليه الصلاة والسلام-، وبين ما يشهد به التاريخ والواقع على صحة ما قرره القرآن الكريم. فقد سجل التاريخ منذ أكثر من 14 قرنا ، أن كثيرين ادعوا النبوة ، كمسليمة الكذاب، وسجاح، والبهاء مؤسس البهائية، لكن ولا واحد منهم استطاع أن يأتي بالدليل القطعي على أنه نبي ، ولا جاء بكتاب معجز كالذي جاء به نبي الإسلام، ولا واحد منهم أستطاع أن يُحقق ما حققه نبينا عليه الصلاة والسلام من انتصارات. مما يعني أن هؤلاء لم يكونوا أنبياءً، وإنما كانوا من مدعي النبوة، ولهذا خذلهم الله تعالى، وصح ما نص عليه القرآن من أن النبوة قد ختمها الله تعالى بنبيه محمد-عليه الصلاة والسلام. وهذا دليل مادي دامغ على صحة ما نص عليه القرآن الكريم.
والدليل الأخير-الثالث- مفاده أن اتصاف الإسلام بأنه دين عالمي، وأنه دين الله تعالى الذي ارتضاه للبشرية، ولا يقبل من أحد دينا غيره، وأنه دين كامل و صالح لكل زمان ومكان . يعني أن النبوات قد خُتمت بنبوة محمد- عليه الصلاة والسلام- الذي جاء بآخر نسخة إلهية من دين الإسلام، وإلا ما جعل الله تعالى الإسلام مُتميزا بتلك الصفات و الخصائص.

وأما قوله بأنه لا يُمكن إثبات كون دين الإسلام كاملاً بالبراهين العقلية والامبريقية. فالصحيح ليس كما ذكر الرجل، وإنما الصحيح هو أنه يُمكن

إثبات كون الإسلام دينا كاملا[1]، بالدليل المحسوس، وهذا الدليل أقوى بكثير من الدليل المستنبط بالاستنتاج العقلي. وتفصيل ذلك هو أنه علينا أن ننظر في دين الإسلام ، هل تضمن بداخله ما يشهد ويُثبت أنه دين كامل شامل للدارين ؟. وهذا أمر ثابت بوصف الإسلام لنفسه بأنه كامل شامل، و بما تضمنه من أصول في العقائد و المفاهيم الكونية، ومناهج البحث والاستدلال في العمران البشري والطبيعة، وبما تضمنه أيضا من قواعد وسنن تتعلق بالعبادات والمعاملات، وبما فيه من أخبار عن مشاهد القيامة ، وبما فيه من مقاصد ودعوة للاجتهاد ،وبما انفرد به بأنه لا مثيل له في العالم من جهة إعجازه وهيمنته على الكتب المقدسة السابقة. كل هذا وغيره يجعل دين الإسلام دينا كاملا، ومن السهولة البرهنة عليه بمعطيات محسوسة دامغة ، تجعل اعتراض الرجل لا يصمد أمامها. وبذلك يكون الإسلام قد أثبت بنفسه أنه كامل شامل بوصفه لنفسه بذلك، وبما تضمنه من مكونات ومعطيات ومضامين تشهد بنفسها على أنه كذلك. فيكون هذا شاهدا بنفسه على صحة القول بختم النبوة.

والموقف الرابع مفاده أن المؤلف قال: ((ولا يرى أنّ خاتمية النبوة تستوجب إنهاء حضور النبي في ميدان التدين والإيمان بل يؤكد على ضرورة هذا الحضور لتأمين طراوة التجارب الدينية، وعمدة الكلام تتمحور حول تأثير شخصية النبي البشرية في عملية التشريع والتجربة الدينية ودور ولايته في استمرار ظاهرة التدين))[2].

وأقول: قوله هذا مجرد زعم تبناه لا دليل صحيح يُثبته، والموضوع الذي تكلم فيه هو أمر شرعي لا يحق لأحد أن يبت فيه بحكم إلا الشرع وحده ، ولا مكان فيه للرغبات والتمنيات والأهواء والظنون. و ماذا يقصد بعبارة ((حضور النبي)) ؟! ،إن قَصَد به الحضور من خلال أقواله وأفعاله الصحيحة التي وصلتنا فهذا كلام صحيح، لكن يجب التعبير عنه بصيغة أخرى تكون أكثر وضوحا ودقة، لأن عبارته السابقة غير دقيقة وتحتمل أكثر من معنى.

وإما إن قَصضد به الحضور الجسدي للنبي-عليه الصلاة والسلام- فهذا باطل قطعا، بدليل الشرع والواقع، لأن الذي يموت لن يعود إلى الحياة إلا يوم القيامة.

---

[1] كماله لا يعني الجمود، وإنما يعني أنه قادر على مواكبة التغيرات البشرية على جميع المستويات من دون أن يفقد خصوصياته ، ومن دون يكون عائقا أمام تطور العمران البشري.

[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ترجمة أحمد القبانجي، دار الفكر الجديد ، العراق، سلسلة ثقافة إسلامية معاصرة(13)، 2006، ص: 3 .

وإن قصد بتلك العبارة الحضور الروحي للنبي مع المؤمنين، والراجح أنه قصد هذا ، فهو باطل أيضا، بدليل الشواهد الآتية: أولها إن موقفه هذا هو مجرد رأي وزعم، وقول على الشرع بلا دليل صحيح .وهو موقف شخصي لا يصح نسبته إلى الشرع ،ولا فرضه عليه، إلا بدليل صحيح منه. و الرجل قرر هذا المبدأ من دون أي دليل صحيح يُثبت زعمه الذي قال به. وعليه فإنه موقف مردود على صاحبه ،وهو خطأ كبير من المؤلف يتعلق بمنهج الاستدلال ، وهذا وحده كافٍ لرفض زعمه من أساسه و إبطاله أيضا.

والشاهد الثاني إن قوله بأنه ((لا يرى أنّ خاتمية النبوة تستوجب إنهاء حضور النبي في ميدان التدين والإيمان)). فهو نقض لختم النبوة باسم ختم النبوة، وهدم لدين الإسلام من أساسه. لأن زعمه هذا نَقَل النبوة الخاتمة من شخص النبي في حياته بين المسلمين، وجعلها مُستمرة ومُتفرقة بين المسلمين بعد وفاته عن طريق اتصاله الروحي بهم حسب زعم الرجل. وهذا يعني أن كل المسلمين أصبحوا أنبياءً بهذا الاتصال الروحي المزعوم . وإلا أية فائدة من هذا لاتصال ؟؟!!. و بما أن هذا الزعم يُؤدي إلى نقض النبوة الخاتمة التي خُتمت بالنبي محمد- عليه الصلاة والسلام-، قال تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (الأحزاب : 40) (وخاتم النبيين) . فإن هذا دليل قاطع على بطلان قول الباحث عبد الكريم سروش.

والثالث مضمونه أن القرآن الكريم بيّن في آيات كثيرة أن المقصود بإتباع النبي- عليه الصلاة والسلام- هو طاعته في أوامره ونواهيه،وليس الاتصال به روحيا للتلقي عنه. كقوله سبحانه :(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(الحشر: 7)،و(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً (النساء : 65)،و(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً)(الأحزاب:

36). وعندما يموت تبقى هذه الأوامر والنواهي تؤدي وظيفتها من دون حضور للنبي جسديا ولا روحيا.
والشاهد الرابع مفاده أنه صح عن النبي- عليه الصلاة والسلام – أن الذي يبقى بعد وفاته بين المسلمين هو سنته ليُعمل بها("تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض")[1]، و ليس حضوره الروحي هو الذي يبقى بينهم.

والخامس مفاده إن القول بالحضور الروحي للنبي مع المسلمين بعد وفاته يفتح مجالا لتعطيل الشرع وهدمه.لأنه بما أن المؤمن على اتصال روحي بالنبي تلقيا وتفاعلا ، فهو ليس في حاجة أصلا إلى أن يعود إلى القرآن الكريم ،ولا إلى السنة النبوية المدونة. فدلّ هذا على بطلان ما زعمه الرجل، لأن الله تعالى أمرنا في آيات كثيرة بإتباع كتابه و سنة نبيه- عليه الصلاة والسلام- ، كقوله سبحانه :(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام:153)،و(إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)(الزمر : 41)،وقُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ)(النور: 54) . فلو كان النبي يبقى على اتصال روحي بالمسلمين فلا معنى لهذه الأوامر!!.

والشاهد السادس يتمثل في أن القول بالحضور الروحي للنبي مع المسلمين بعد وفاته يفتح الباب على مصراعيه لادعاء العصمة. فيستطيع أي مسلم أن يدعي العصمة لنفسه، بدعوى أنه على اتصال روحي بالنبي يتلقى منه الأوامر والأنوار الإيمانية التي تحميه وتعصمه من الأخطاء والانحرافات. فيصبح يقول: حدثني قلبي عن النبي !!. و هذا زعم باطل بلا شك، لأنه لا عصمة إلا للشرع ، و من يزعم من البشر أنه معصوم من الخطأ فهو كذاب بدليل الشرع والواقع.

---

[1] الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ج 2ص: 3، رقم: 2937.

فأما شرعا قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (محمد : 33)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً)(النساء:59) . وصح الخبر عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[1]. فكل الناس يُخطئون ،ولو كنا معصومين فلا فائدة من إرسال الرسل وإنزال الكتب.

وأما واقعا فالتاريخ والحاضر يشهدان على أن البشر قاصرون، ويُخطئون ويُصيبون ، ويظلمون ويعدلون. فلو كانوا معصومين لما أخطؤوا ،ولما اعتدوا ولا ظلموا غيرهم . وهذا أمر ينطبق على كل بني آدم من دون استثناء، إلا أنبياء الله الذين عِصمتهم ليست من ذواتهم و إنما هي من خارجهم.

والشاهد السابع مضمونه أن الصحابة- الذين شهد لهم الشرع والتاريخ الصحيح بالإيمان والعمل الصالح- كانوا بعد وفاة النبي يُطبقون السنة النبوية بعودتهم إلى أقواله وأفعاله، وكانوا يسألون عنها، فإذا لم يجدوا نصا من القرآن ،ولا من السنة اجتهدوا بآرائهم[2].فدلّ هذا على أن المقصود بإتباع النبي- عليه الصلاة والسلام- هو الالتزام بأقواله وأفعاله، وليس المقصود منه الاتصال الروحي به. ولو كان للنبي حضور روحي معهم لما احتاجوا- أي الصحابة- إلى سنته ،و لما بحثوا عنها. و لو كان الحضور الروحي للنبي حقيقة لكانوا هم أولى به من كل المسلمين ، وبما أنهم لم يقولوا أنهم على اتصال روحي به، وإنما يتبعون سنته، ويجتهدون بآرائهم[3]. فإن هذا دليل دامغ على بطلان حكاية هذا الحضور المزعوم من أساسه.

والشاهد الأخير-الثامن- مفاده إن الذي يحسه المؤمنون في نفوسهم عند التزامهم بالشرع وتفاعلهم معه بإخلاص وصدق، هو دليل دامغ على بطلان حكاية الحضور الروحي للنبي. فهم لا يحسون بهذا الحضور

---

[1] الألباني: صحيح ابن ماجة، ج 2 ص: 418، رقم: 3428.
[2] عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، قصر الكتاب، الجزائر ، 1990، ص: 68 و ما بعدها.
[3] نفسه ، ص: 68 و ما بعدها.

المزعوم ، وإنما إحساساتهم و عواطفهم هي كما وصفهم الله تعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7)،و(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر : 23)،و(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال : 2)،و(وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور : 40).

فهذا هو الذي يحسه المؤمنون الصادقون الملتزمون بالشرع قلبا وقالبا، وأما المنحرفون عنه ، فأحوالهم الوجدانية هي أحوال شيطانية لا رحمانية. قال تعالى :(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(البقرة : 10)،و(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (الحجر : 72)،و(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53)،و(تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل : 63)،و(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ)(الأنعام : 112)،و(وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)(الأنعام : 121).

ومن يُكذب ما قلناه، ويزعم أنه هو شخصيا على اتصال روحي بالنبي، فليعلم أنه على خطأ ، وأنه مُغرر به ومُلبس عليه. وإن أصر على موقفه وتكذيب من يُخالفه ، فهو إما أنه جاهل لا يعي ما يقول، وإما أنه مريض نفسيا، وإما أنه يتعمد قول هذا الباطل لغاية في نفسه.

وأما زعمه بأن موقفه ((يؤكد على ضرورة هذا الحضور لتأمين طراوة التجارب الدينية)) فهو زعم لا يصح ، لثلاثة أمور أساسية: الأول هو أن الذي يُقرر ذلك لتأمين طراوة التجارب الدينية حسب زعم المؤلف ، ليس هذا الرجل ،ولا أحد من البشر ، إنما الله تعالى هو الذي يُقرر ذلك كوسيلة من وسائل الاستمرارية الإيمانية في حياة المسلمين بعد نبيهم. وهو الذي

يحدد الوسيلة التي تتم بها تحقيق تلك الغاية. وبما أن هذا الرجل لم يذكر دليلا شرعيا صحيحا على زعمه. وبما أن زعمه هذا لا وجود له في دين الإسلام ، فإن هذا يعني أن قوله بضرورة الحضور الروحي للنبي لتحقيق ما سماه بالطراوة الإيمانية، هو زعم يفتقد للشرعية، وباطل من أساسه. مما يعني أن هذا الرجل لم يتكلم بعلم من الشرع ولا من العقل ، وإنما تكلم برغباته وخلفياته المذهبية لغاية في نفسه.

والأمر الثاني إن قوله بأن الحضور الروحي للنبي ضروري لتأمين طراوة التجارب الإيمانية . هو مجرد رأي مُحتمل ،وليس ضروريا نظريا ولا عمليا من جهة. ويُمكن الاستغناء عنه تماما ،ويتحقق الهدف من دون ذلك الحضور الضروري المزعوم . فأين الدليل الذي يُثبت هذه الضرورة المزعومة؟؟!!. إنه لا يُوجد دليل صحيح من الشرع ولا من العقل يُثبتها، وإنما الرجل يعتمد على رغباته ومذهبية في تقرير أفكاره مُسبقا، ثم يتسلط بها على القراء محاولة منه للتأثير فيهم وفرض أرائه عليهم بدعوى الضرورة والحتمية الزائفتين.

والأمر الأخير- الثالث- إن الشرع حدد الوسائل والمنطلقات للمسلمين لتحقيق التجربة الإيمانية ،وضمان استمراريتها إلى يوم القيامة،وليس من بينها ما زعمه الرجل، ولا هو من الشروط الضرورية لحدوثها وتواصلها واستمرارها. من ذلك أنه يتبين من النصوص الشرعية أن التجربة الإيمانية لدي المسلم تبدأ بصدق الإيمان ،والإخلاص لله تعالى في عبادته فتنبت بذرة الإيمان في قلبه، وتنمو تدريجيا حسب تفاعله والتزامه بالشرع ، واستقامته عليه قلبا وقالبا. فَتُصبح تلك البذرة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وارفة الظلال ،وكثيرة الثمار.والنصوص الدالة على ذلك كثيرة جدا، منها قوله تعالى: (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(التغابن : 11)،و(فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)(الأنعام : 125)،و(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7)،و(الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (الرعد : 28)،و(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ

لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)(الأحزاب : 21) .فرسولنا الكريم- عليه الصلاة والسلام- أسوة لنا بأقواله وأفعاله في حياته ومماته ،وليس بحضوره الروحي كما زعم الرجل. فأية أسوة في هذا الحضور المزعوم؟؟!!.

والموقف الخامس مفاده أن المؤلف قال: ((وهنا يثار هذا السؤال: هل يستطيع كل شخص أن يكون رسولاً؟ في الواقع ينبغي الإذعان إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ كل شخص بإمكانه أن يكون نبيّاً لنفسه ويعيش حالات خاصة من خلال ما يجده من مكاشفات وذوقيات، ولكن المجتمع الديني الإسلامي سيتصدى لمثل هؤلاء الأفراد فيما لو أعلنوا نبوتهم من موقع القساوة والشدّة والخصومة، وفي الحقيقة أنّ النبي عندما قال: «لا نبي بعدي» فإنّه قد أمر أتباعه بإيصاد وغلق هذا الباب وأن لا يعتنوا بمن يدعي هذا الادعاء، وبالنسبة للأشخاص الذين يعيشون هذا الإحساس ويجدون في أنفسهم مثل هذه الحالات الروحانية عليهم أن يكتموا هذا الشعور ولا يظهروا هذه الحالات للناس، فربّما يجد الإنسان أحياناً حالة معنوية خاصة بينه وبين الله ويشعر أنّه مكلّف بمهمّة معينة من قبل الله، فلا يجب عليه العمل بهذا الدين أو بتعاليم ذلك المذهب))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا ، وهو كلام بلا علم، وافتراء مُتعمد على الشرع والعقل والعلم، وفيه تغليط وتحريف وتلبيس على القراء. لأنه أولا إن الرجل كعادته يتكلم بلا شرع صحيح، ولا عقل صريح ،ولا علم صحيح، وإنما يتكلم بأهوائه وظنونه ،وخلفياته المذهبية، وهذه ليست أدلة علمية ،ولا هي من الاستدلال الصحيح. وهذا وحده يكفي لرد زعمه من أساسه، لأنه يفتقد إلى الشرعية العلمية من جهة منهج الاستدلال العلمي.
والغريب من أمر هذا الرجل أنه وصف زعمه الباطل بأنه حقيقة ، وأنه يجب الإذعان لها !!. مع أنه لم يُقدم أي دليل صحيح يُؤيد به زعمه إلا هواه ومذهبيته في تعريف معنى النبوة.
وهذا الرجل عرّف النبوة حسب رغباته ومذهبيته، ولم يعرفها بدليل صحيح من الشرع ،ولا من العقل، ولا من العلم . وعليه فتعريفه لمعنى النبوة باطل ، وقد سبق أن بينا هذا وفصلناه ، فلا نعيده هنا. علما بأن النبوة

[1] عبد الكريم سروش : بسط التجربة النبوية، ص: 125 .

هي اختيار من الله تعالى أولا، وتكليم منه للنبي ثانيا ، وأن النبوة قد خُتمت بالنبي-محمد عليه الصلاة والسلام- فلا نبي بعده. وعليه فإن أي إنسان يستطيع أن يكون وليا صالحا ، أو وليا زنديقا ، أو نصرانيا زاهدا، أو مُلحدا مُتقشفا ،أو علمانيا مُستهترا، لكنه لن يستطيع أن يكون نبيا. مما يعني أن الرجل مُخطئ فيما ذهب إليه، ولا يحق له أن يصف من كانت له أحوال ومواجيد بأنه نبي، أو يستطيع أن يكون نبيا. لأن هذه الأحوال ليست نبوة، و إنما هي أحوال نابعة من ذوات أصحابها.

وثانيا إن قوله بأن الإنسان يستطيع أن يكون نبيا لنفسه بما يجده من مكاشفات وذوقيات. فالأمر ليس كذلك لأمرين أساسيين: الأول إن النبوة ليست مُكتسبة حتى يقال بأنه اكتسبها بمجاهداته ومواجيده ، وإنما هي اختيار من الله تعالى ،وقد ختمها بنبيه محمد-عليه الصلاة والسلام-. والثاني أن ما يجده العُباد والزهاد وأمثالهم من أذواق وعواطف ليست هي النبوة، ولا دليلا عليها ، وإنما هي آثار وانعكاسات تنعكس على هؤلاء الناس بسبب ما يقومون به من مجاهدات، وهي خليط من الإحساسات الوجدانية، منها ما هو مرض وهلوسات ،ومنها ما هو من حظوظ النفس، ومنها ما هو تهيآت ووساوس نفسية وشيطانية، ومنها ما هو مواجيد صحيحة. وهي ليست خاصة بأتباع دين معين ،وإنما هي تظهر على أي إنسان يقوم بتلك الأعمال. ولهذا وُجد الزهاد والمنقطعون للعبادة قديما وحديثا من كل الأديان والمذاهب . فهي تظهر على كل من يُمارس أعمال هؤلاء، حتى وإن كان مُلحدا، أو علمانيا.

وأما المعرفة الربانية الصحيحة، والأذواق والمواجيد والأحوال الشرعية الرحمانية، فلن يجدها إلا المسلمون المؤمنون المخلصون الأتقياء. لقوله تعالى: (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور : 40)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(الأنفال : 29)،و(نورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)(النور : 35)،و(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7)،و(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (الأنفال : 2)،و(اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى

الظُّلُمَاتِ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّـارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقرة : 257) . وبما أن النبوة لا تُكتسب لأنها اختيار من الله تعالى ، فلن يكتسبها العابد التقي ولا العابد الزنديق.

وثالثا إن قوله بأن المجتمع الديني الإسلامي سيتصدى لمثل هؤلاء الأفراد فيما لو أعلنوا نبوتهم من موقع القساوة والشدّة والخصومة. فهذا كلام مُتعصب للضلال والباطل، وفيه تشجيع على الانحراف عن الشرع. وتناسى هذا الرجل أن الذي يدعي النبوة كذاب وكاذب على الله ورسوله ،وعلى العقل والعلم. وأنه يستحق بهذه الجريمة العقاب الشديد لأنه خَطَرٌ على نفسه وعلى الإسلام والمسلمين وعلى غيرهم من الناس. لكن هذا الرجل المحرف للشرع يُشجع كل من يعمل على مخالفة دين الإسلام ويعمل على هدمه.لأن دفاعه عن المدعين للنبوة، هو تشجيع وعمل على تقويض دين الإسلام. مع أن كلا من الشرع والعقل يفرضان عليه أن يُنكر على كل من يدعي النبوة ، لا أن يُشجعه !!.

وأما قوله بأن على الذين يجدون تلك ((الحالات الروحانية عليهم أن يكتموا هذا الشعور ولا يظهروا هذه الحالات للناس، فربّما يجد الإنسان أحياناً حالة معنوية خاصة بينه وبين الله ويشعر أنّه مكلّف بمهمّة معينة من قبل الله، فلا يجب عليه العمل بهذا الدين أو بتعاليم ذلك المذهب))[1].فهو قول غير صحيح في معظمه، لأن الأحوال التي يمر بها العُباد منها أحوال شرعية ، وهي لا تظهر إلى على المسلمين المؤمنين الأتقياء . ومنها أحوال نفسية وشيطانية تظهر على العُباد والزهاد من كل الأديان والمذاهب، وهي أحوال لا قيمة لها في ميزان الإسلام، والغالب عليها أنها مخالفة للشرع. وإنما هي تندرج ضمن قوله تعالى: (تَاللّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(النحل: 63)،و(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج: 53)،و(ومَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(القصص : 50)،و(بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (الروم : 29)،و(وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)(الزمر : 45).

[1] عبد الكريم سروش : بسط التجربة النبوية، ص: 125 .

ومن مظاهر الأحوال الشيطانية أن أحدهم يدعي أنه نبي ، وأن الله كلمه وكلفه بمهمة ، وأنه لا ينبغي عليه الالتزام بدين الإسلام. والدليل على بطلان هذه المزاعم والأحوال أنها مُخالفة لدين الإسلام، لأن العابد المسلم تقي مُلتزم بالشرع قلبا وقالبا ، ولهذا قال سبحانه : (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ،الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)(يونس:62-63) 63). فالشيطان هو الذي يُزين لهم أحوالهم ويأمرهم بمخالفة دين الإسلام ، فإن أطاعوه أصبحت أحوالهم شيطانية لا رحمانية . قل تعالى: (لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ)(الحج : 53).

وكل من يدعي أن الله كلمه وكلفه ، فهو إما مريض مُهلوس، وإما أنه جاهل لا يعي ما يقول، وإما أنه مُلبس عليه من الشياطين ،وإما أنه صاحب هوى أظهر ذلك لغاية في نفسه. لأن الله تعالى ختم الرسالات وأنزل كتابه للعالمين، وقال لنا:(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام: 153). فالله تعالى كلمنا بكتابه، وأمرنا ونهانا من خلاله ، وشريعته مدونة في كتابه وسنة نبيه الصحيحة. لكن مع وضوح هذه الحقائق القطعية والدامغة فإن هذا الرجل مُصر على ضلاله وتحريفاته ومغالطاته وتلبيساته، وكأنه مُكلف بمهمة إفساد دين الإسلام، والتشويش على أتباعه، وتشكيكهم في دينهم !!. فبئس هذه المهمة التي نصب الرجل نفسه للقيام بها !!.

ثم أن المؤلف قال: ((وكل إنسان يرتبط فيما بينه وبين الله تعالى برابطة معنوية خاصة يجب عليه أن يتحرك وفق مسؤوليته، فلو أحسّ شخص أنّه لا يستطيع بعد الآن التحرك وفق تعاليم شريعة نبي الإسلام وشعر في نفسه أنّه له وظيفة أخرى، فيجب عليه أن يجيب ربّه من موقع الحجة، وأمّا الشخص الذي ليس لديه هذا الشعور والإحساس فعليه أن يعمل بوظيفته. ولكن مع كل ذلك فإنّ التجربة النبوية مستمرة وباقية في مجمل الصيرورة التاريخية في المجتمع البشري لأنّ تجليات الله لا تنفذ، ولا يمكن القول إنّ الله تعالى تجلي لنبي الإسلام ثم أوصد باب التجلي على نفسه، فالتجلي الإلهي مستمر وكل إنسان يتنعم ويحظى بهذه التجلي بمقدار ظرفيته))[1].

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 123-124.

وأقول: كلامه هذا باطل جملة وتفصيلا، وهو قول بلا علم ،وفيه افتراء على الله تعالى، ومخالف للشرع مخالفة صريحة، و فيه تغليط وتلبيس على القراء . لأنه أولا إنه لا يُفرق بين الأحاسيس الصحيحة المنبثقة من الشرع ،والمضبوطة به، والموافقة له. وبين الأحاسيس الوجدانية التي منها المرضي، والنفسي، والشيطاني، وهي خليط من الأهواء والشبهات ،و التوهمات والتهيؤات، التلبيسات الشيطانية. هذا النوع الثاني لا يصح الاعتماد عليه إلا بعد غربلته وتمحيصه بميزان الشرع الصحيح والعقل الصريح، والعلم الصحيح ، فلا يُقبل منها إلا ما وافق هذه الموازين أو واحد منها . وعليه فإن قول الرجل : ((فلو أحسّ شخص أنّه لا يستطيع بعد الآن التحرك وفق تعاليم شريعة نبي الإسلام وشعر في نفسه أنّه له وظيفة أخرى، فيجب عليه أن يجيب ربّه من موقع الحجة)) فهو باطل من دون شك ، لأن هذا الإحساس المزعوم هو إحساس فاسد من وساوس النفس والشيطان يأمر صاحبه بالخروج عن دين الإسلام، وهذا كفر صريح به، لا يُأمر به إلا شياطين الإنس والجن، ومن ثم فهذا النوع ليس حجة أبدا ، وإنما هو ضلال ومن طرق الشيطان. وصاحبه ينطبق عليه قوله تعالى : (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(القصص : 50). ومن أحس بهذا عليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ومن أهواء نفسه الأمارة بالسوء، ويعود إلى الله تعالى مُخلصا راجيا منه أن يُنقذه ويُشفيه مما هو فيه. لأن هذا الإحساس ليس نداءً من الله كما زعم هذا الرجل، وإنما هو من وساوس الشياطين ونزغاتهم وشبهاتهم ، لتُخرجه من دين الإسلام . لكن الغريب من أمر هذا الرجل أنه شجع صاحب الوساوس الشيطانية على الخروج من دين الإسلام والكفر به ، بدعوى أنه يُجيب ربه!!، وهذا مكر وضلال ، لأن الذي يُجيب ربه عليه أن يلتزم بدين الإسلام ، لا أن يخرج منه ، ومن يفعل ذلك، فهو قد كفر بدين الإسلام و أجاب دين الشيطان وارتمى بين أحضانه. فعجبا من هذا الرجل الذي يُشجع على الخروج من طريق الرحمن ، وإتباع طريق الشيطان ،والله تعالى قد نهانا عن ذلك، بقوله سبحانه : (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153).

وثانيا إن قوله بأن التجربة النبوية مُستمرة لأن تجليات الله لا تنفذ،و((لا يمكن القول إنّ الله تعالى تجلي لنبي الإسلام ثم أوصد باب التجلي على نفسه، فالتجلي الإلهي مستمر وكل إنسان يتنعم ويحظى بهذه التجلي بمقدار

ظرفيته)). فهو قول غير صحيح في معظمه ،وفيه تغليط وتلبيس على القراء . لأن الحقيقة هي أن التجربة النبوية كنبوة قد توقفت قطعا ، لأن الله تعالى قد ختمها بنبيه محمد –عليه الصلاة والسلام- ، وهذا أمر من بديهيات دين الإسلام، وقد سبقت الإشارة إليه مرارا فلا نعيده هنا. لكن الرجل هذه المرة يبدو أنه عبر عن قوله بحكاية استمرار النبوة بعبارة تجلي الله بنفسه على العباد بعد نبي الإسلام. فإذا كان المقصود بذلك استمرار النبوة، فهو أمر باطل من دون شك . وعليه فيجب على الرجل أن يكون واضحا وصريحا في استخدام مصطلحاته، ويبتعد عن التعمية والتلبيس.

لكن يجب أن نفهم أن التجربة التي تستمر بعد النبي، ليست هي تجربة النبوة، وإنما هي التجربة الإيمانية. هذه التجربة يمر بها معظم الناس أو كلهم بأشكال ودرجات مختلفة، وحسب أديانهم ومذاهبهم. وهذه التجارب بعضها يستمر مدة طويلة، وبعضها الآخر لا يستغرق زمنا طويل ، فقد يستغرق ساعات ، أو أياما ،أو شهورا . ولا شك أن بعضهم قد تنتهي به تجربته إلى الدين الحق- الإسلام-، ومنهم من يكفر بدينه الموروث ويعتنق دينا آخر، ومنهم من يُقلد مجتمعه فيما هم فيه ، ومنهم من ينغلق على نفسه ويخفي شبهاته وشهواته إلى أن يموت، أو ينتهي حاله إلى الزندقة، أو يهتدي إلى الطريق المستقيم. فهذا الرجل يتعمد عن سبق وإصرار وترصد تسمية التجربة الإيمانية بالتجربة النبوية والتسوية بينهما لغاية في نفسه، مع أن الفرق بينهما كبير جدا، ولا مجال للمقارنة بينهما. فالتجربة المُستمرة هي التجربة الإيمانية وليست تجربة النبوة كما زعم الرجل.

ثم أنه قال: ((بمعنى أنّ الدين بمثابة بناء من ثلاث طبقات أو مجموعة من ثلاثة أُطر، فلو أخذنا بنظر الاعتبار الآيات المكية التي نزلت على النبي في أوائل البعثة، فسوف نرى تأكيداً واضحاً على مسألة التوحيد والمعاد، وإلى جانب ذلك هناك توصيات أخلاقية من قبيل وجوب اطاعة الله: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ) ثم الأمر بالزكاة والنهي عن البخل: (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) حيث يحذر الأشخاص الذين يتحركون في سلوكياتهم من موقع الأنانية وحبّ المال والبخل. ولكننا لا نجد أحكاماً فقهية في السور المكية فقد نزلت هذه الأحكام في المدينة، وتمثّل هذه الأحكام الإطار الخارجي للدين حيث أضيفت إلى الدين في آخر الأمر. فعندما ارتوى العرب من منهل الدين وشعروا بالقوة والحيوية في جو هذه الدعوة النبوية، تحركوا في مجال بسط هذا الدين والعمل على مدّ أغصانه إلى سائر البلدان وبذلك استطاعوا استمالة قلوب سائر المجتمعات، وهذه الجاذبية لا ترتبط بالأحكام الفقهية،

فلا ينبغي أن نتصور أنّ النبي استطاع أن يقهر العالم ويثير اعجاب الناس في المجتمعات الأخرى بما جاء به من أحكام الحيض والنفاس والزواج والطلاق والرق وأمثال ذلك، فالشيء الذي سخّر قلوب العرب للنبي وأثار إعجاب الآخرين هو تلك التعاليم الأولية للإسلام والتي تمثّل جوهر الدين، ومحور هذه التعاليم والأصل في خطاب النبي للناس عبارة عن عبادة الله.))[1].

وأقول: كلامه هذا باطل مردود عليه ، ويشهد على أنه يتكلم بلا علم ، ويفتري على الإسلام من دون دليل ،ويتكلم باسمه من دون برهان ولا إذن منه. لأن الإسلام يتكلم عن نفسه ولا أحد ينوبه في التحدث عن ذاته. فماذا يقول الإسلام ؟ إنه ليس في الإسلام فروع مُنفصلة عن أصولها، وإنما هو دين واحد له أصول وفروع مُترابطة فيما بينها، ارتباط النتائج بمقدماتها. وبمعنى آخر إن لدين الإسلام عقائد إيمانية هي الأصول ،وله تشريعات تطبيقية تشمل كل مجالات الحياة ، هي الفروع. وهذا مأخوذ من الشرع نفسه، لقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (البقرة : 277).

علماً بأن الأحكام الفقهية (التشريع التطبيقي) هي جزء لا يتجزأ من دين الإسلام سواء تعلقت بالعبادات أو المعاملات، ولا يحق لأي إنسان أن يفصل بين أصول الإسلام وفروعه، لأن فروعه جزء لا يتجزأ منه. وعليه ليس صحيحا أن الأحكام الفقهية بدأت في النزول في المدينة، وإنما الصحيح هو أن الجانب العقدي والأخلاقي والروحي كان غالبا على الجانب الفقهي في العهد المكي، لكنه كان موجودا كفرض الصلوات الخمس. وهذا الأمر طبيعي ومنطقي فرضته ظروف الدعوة الإسلامية، وكل ذلك من الدين. فلما هاجر المسلمون إلى المدينة وكوّنوا دولة الإسلام ، تغير الحال ، فاتسع جانب التشريع وتراجعت الجوانب الأخرى نسبيا، لكنها ظلت قائمة وبارزة لأن الأحكام الفقهية لا تقوم إلا على أساس أصول الإسلام من عقائد وآداب ومفاهيم. وهذا الأحكام هي التطبيق العملي لدين الإسلام في كل مجالات الحياة . قال تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)،و (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 126-127.

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً)(النساء : 65) الذين آمنوا وعملوا الصالحات)).

وبناء على ذلك فلا يصح ما فعله الرجل، عندما قسّم الإسلام إلى: تعاليم أولية ، وأخرى إضافية. فهذا كذب على دين الإسلام وتحريف له . ومن يفعل هذا فهو إما انه جاهل بالإسلام، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه صاحب هو تعمد فعل ذلك لغاية في نفسه. وعليه فإن ظهور الأحكام الفقهية بشكل مُكثف في العهد المدني لا يعني أنها إضافية وليست من صميم دين الإسلام، وإنما يعني أن المرحلة المدنية وفرت الظروف المناسبة ليُنزل الله تعالى كل أحكام دينه وليست هي التي أنزلته، وإنما هي التي أوجدت الظرف المناسبة ليُكمل الله تعالى دينه ، ولهذا عندما أتمه أنزل على نبيه: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)(المائدة : 3). فكل التشريعات التي تمت في العهد المدني هي تشريع من عند الله ، وجزء لا يتجزأ من دينه سبحانه وتعالى، ولا يصح وصفها بأنها إضافية كما زعم الرجل، لقوله سبحانه: (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)(المائدة : 49)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18).

وذلك يعني أن الرجل افترى على الله ورسوله عندما زعم أن الأحكام الفقهية التي نزلت في المدينة أُضيفت إلى الدين في آخر الأمر. فهذا افتراء مُتعمد ،وجريمة كبرى في حق دين الإسلام، ولا يقوله مسلم صادق الإيمان بدين الإسلام . لأن الله تعالى الذي بدأ دين الإسلام بقوله تعالى (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)(العلق : 1) اقرأ)، هو الذي ختمه بقوله (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)(المائدة : 3). فدين الله واحد ، سواء تقدمت بعض أحكامه أو تأخرت، فقد أخرها الله تعالى لِحكم عملية تطلبتها مراحل الدعوة. فليس من الحكمة أن ينزل الوحي بالأحكام المتعلقة بالحدود والحرب والعلاقات الخارجية، والمسلمون يعيشون أقلية مُضطهدة في مكة !!. فظهور تلك الأحكام في العهد المدني

هو أمر طبيعي جدا،وتأخر ظهورها لا يعني أنها إضافية كما زعم الرجل، وإنما يعني أن الظروف لم تكن تهيأت ليُنزلها الله تعالى ويُكمل بها دينه. ومثال ذلك ظهور الأزهار، ثم الثمار كآخر مرحلة من مراحل نمو النبات ، فهل هذا يعني أن ظهور الأزهار ثم الثمار ليس من صميم حياة النبات؟؟!!. وهل ظهور الشيخوخة في آخر مرحلة من مراحل عمر الإنسان يعني أنها ليست طبيعية ولا أصيلة في الإنسان؟؟!!. طبعا لا ، وألف لا ، فتَأخر ظهور جزء من أمر كلي لا يعني أنه ليس أصليا، وإنما يعني أن وقت ظهوره لم يحن بعد، وعندما يحين سيظهر ويكون جزءاً أصيلا لا يتجزأ من الكل.

وأما قوله الأخير بأن الإسلام لم ينتشر بين الشعوب بأحكامه الفقهية كالمتعلقة بالحيض والنفاس، والزواج والرق ، وإنما انتشر بينهم بتعاليمه الأولية. فهو قول باطل وجريمة في حق دين الإسلام من جهتين: الأولى إنه فَصَل فروع الإسلام عن أصولها ، بمعنى آخر أنه فَصَل بين التشريعات التطبيقية والعقائد الإيمانية. وهذا عمل يرفضه الإسلام جملة وتفصيلا. والجهة الثانية هي أنه قزّم الأحكام الشرعية التطبيقية- الفقه- وطعن فيها بطريقة تهكمية تشهيرية. وهذا فعل يرفضه الإسلام ، ولا يقوله مسلم صادق الإيمان.

ومن جهة أخرى إن الإسلام دين كامل شامل لا تنفصل فروعه عن أصوله، ولهذا عندما نشره المسلمون لم ينشروا منه جانبا دون آخر، وإنما نشروه كله بين الناس.ولاشك أن الإسلام قد أعجبهم بكل ما فيه من أصول وفروع، ولم يُعجبهم منه أصوله فقط كما زعم الرجل من دون أن يذكر أي دليل صحيح. والجانب الذي قزّمه الرجل -كالأحكام التي ذكرها- ، هو من الأحكام الضرورية للناس، ولا يصح تركها دون تشريع . وهو من مظاهر كمال الإسلام وعظمته ،وشموليته للدنيا والآخرة. مما يدل على أن الإسلام اهتم بكل جوانب الحياة الخاصة والعامة ، فكما شرّع للحيض والزواج ، فإنه شرّع أيضا للاقتصاد والسياسة، والاجتماع البشري بكل جوانبه. لكن الرجل لم يُعجبه هذا ليس لأنه غير صحيح، وإنما لا يتفق مع هواه ومذهبيته العلمانية. فهو يريد دينا لا يتدخل في تسيير الحياة بكل جوانبها ، وإنما يريد دينا له عقائد دون تشريع دنيوي يقوم عليها، لتأتي العلمانية و

تملأ هذا الفراغ بتشريعات من عندها. فلما وجد الإسلام دينا كاملا شاملا، دينا ودولة، دنيا وآخرة لم يُعجبه هذا لأنه يتناقض مع مذهبيته العلمانية، لم يتركه على حاله ويبحث لنفسه عن دين آخر يتفق مع هواه، وإنما أخذ على نفسه أن يسعى ليُفسده ،ويُ ُعلمنه، ويُحرفه بكل ما يستطيع من وسائل التحريف والتغليط ، والتلبيس والافتراء. وعمله هذا قد أقمنا الأدلة القطعية على بطلانه ، وكتابنا هذا دليل دامغ على صحة ما ذكرناه من حال هذا الرجل مع دين الإسلام.

ثم أن الرجل قال أيضا: ((ولكنّ تعاليم النبي الأساسية في دائرة العقائد الأخلاق والحقوق هي محل البحث، فأدنى تعاليم النبي هي التي تتصل بالأحكام الفقهية والتي تمثّل أكثر التعاليم الدينية عرضية وقشرية، والأحكام الفقهية تمثّل أشدّ التعاليم الدينية قشرية من جهة كونها تاريخية وبعيدة عن أصل الدين))[1].

وقوله هذا باطل جملة وتفصيلا، وفيه تحريف وتغليط وتلبيس على القراء. لأنه أولا ليس في الإسلام تعاليم أساسية وأخرى ثانوية، أو عرضية، أو قشرية كما زعم الرجل، و قد سبق أن ناقشناه في هذا الموضوع وبينا بطلان مزاعمه. وإنما الإسلام دين واحد لا تنفصل مكوناته الفروعية عن أصولها الإيمانية. وهو يتكون من: تشريعات عقدية ومفهومية ، وتشريعات تطبيقية، وبمعنى آخر: أصول الدين وفروعه التي هي تطبيق عملي لأصوله، وجزء لا يتجزأ منه. لكن الرجل قسمه إلى : تعاليم أساسية ، وأخرى عرضية، وقشرية ، ليتخلص من التشريعات التطبيقية بدعوى أنها ليست أساسية ،وإنما هي تشريعات ثانوية عرضية وليدة ظروفها، ومن ثم فهي ستفقد صلاحياتها بتغير ظروفها. وهذا تحريف لدين الإسلام وافتراء عليه، لأن تقسيمه هذا ليس من الإسلام ، وإنما هو من دين هذا الرجل.

وثانيا إن المؤلف وصف تعاليم الإسلام من عقائد وأخلاق ،وغيرها بأنها من تعاليم النبي- عليه الصلاة والسلام-، وهذا تعبير مشبوه بالنسبة لهذا الرجل، ولا يُعبر عن حقيقة الإسلام.لأن دين الإسلام هو دين الله تعالى بكل مكوناته وليس من تعاليم نبيه ، ولهذا قال سبحانه: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران : 19)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 126-127.

عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)،و(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(المائدة : 48). ومحمد-عليه الصلاة والسلام- هو أول المؤمنين والعابدين الذي قال له ربه: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)، و(قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ (الأنعام : 14).

كما أن هذا الرجل أساء الأدب مع الله تعالى ، عندما وصف أحكامه بأنها قشرية!!. مع أن الله تعالى هو الذي شرعها و جعلها من دينه ،وأمرنا بتطبيقها ،وحذرنا من عدم الالتزام بها، أو التفريط فيها. فهي لا يُمكن أن تكون كما زعم ، لأنها جزء لا يتجزأ من دين الإسلام.قال سبحانه(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ)(المائدة : 49)،و(وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً)(الطلاق:1). فهل يُعقل أن مسلما يصف أحكام الله تعالى بأنها قشرية؟؟!!. وهل يقول هذا الكلام مسلم صادق الإيمان ؟؟!!.

وثالثا إن قوله بأن ((الأحكام الفقهية تمثّل أشدّ التعاليم الدينية قشرية من جهة كونها تاريخية وبعيدة عن أصل الدين)). فهو قول باطل أقامه على هواه ومذهبيته، ولم يُقمه على شرع صحيح، ولا عقل صريح، ولا علم صحيح .ففيما يتعلق بحكاية عرضية أحكام الإسلام وتاريختها ، فقد سبق أن توسعنا في الرد على الرجل في قوله بتلك الخرافة، وبينا بطلانها، فلا نعيد ذلك هنا.

وفيما يخص زعمه بأن تلك الأحكام بعيدة عن أصول الدين، فهو كذب مفضوح، وافتراء مُتعمد على الله وكتابه ورسوله!!.لأن الذي شرّع أصول الإسلام هو نفسه الذي شرع فروعه، فكيف تكون الأحكام الفقهية بعيدة عن أصولها التي قامت عليها؟؟!!. وبما أن الأحكام الفروعية- الفقهية- هي تطبيق عملي بمقتضى ما تستلزمه أصول الإسلام ، فكيف تكون تلك

الأحكام بعيدة عن أصولها؟؟!!. فهذا لا يُمكن أن يحدث، لأن الإيمان بأصول الدين يستلزم الالتزام بفروعه، فهو ارتباط ضروري كالعلاقة الضرورية بين النتيجة ومقدمتها، وبين العلة والمعلول. ولهذا وجدنا القرآن الكريم كرر كثيرا قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ)(المائدة : 9) فقد كررها أكثر من 35 مرة. ومنها قول النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوايقه))[1]، وقوله: « الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان »[2]. فالعلاقة وطيدة وحتمية بين الإيمان بأصول الإسلام والالتزام بتطبيق تشريعاته. ولا يُمكن أن تكون الأحكام الفقهية قشرية أو عرضية ، أو بعيدة عن أصول الدين كما زعم الرجل.

والموقف السادس مضمونه أن المؤلف بعدما زعم أن التجربة النبوية هي التي أوجدت المتن القرآني- الوحي- وزعم أن التجربة النبوية استمرت من بعده بواسطة التجارب الإنسانية التي ورثت التجربة النبوية وصل إلى ما يترتب عن ذلك من أن تجارب المسلمين كان لها دور في التصرف في المتن القرآني، فقال: ((ومضافاً إلى التجارب الباطنية، فإنّ التجارب الخارجية والاجتماعية بدورها تمنح الدين عمقاً وتكاملاً وشمولية. فالمسلمون من خلال فتوحاتهم وتعرفهم على الثقافات الجديد ساهموا في بسط واتساع الجدل والكلام والأخلاق، وفي الحقيقة ساهموا في توسعة الدين الإسلامي وأخرجوه من دائرة الإجمال إلى دائرة التفصيل، ولذلك يمكن القول بأنّه مادام باب هذه التجارب مفتوحة وجارية فإنّ الدين يستمر في التكامل والاتساع))[3].

وأقول: كلامه هذا باطل جملة و تفصيلا، وفيه تغليط وتلبيس لغاية في نفس صاحبه.أولا إن هذا الرجل يتعمد عدم التفريق بين دين الإسلام كدين إلهي الموجود في القرآن الكريم ، ثم في السنة النبوية الصحيحة الموافقة للقرآن ، وبين المذاهب الفكرية التابعة للفرق الإسلامية التي أنتجت تراثا فكريا كبيرا، منه ما يتفق مع دين الإسلام ومنه ما يُخالفه، ومنه ما هو

[1] البخاري: الصحيح، ج 8 ص: 10، رقم: 6016 .
[2] مسلم: الصحيح ، ج 1 ص: 46، رقم: 162.
[3] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 26.

حرب عليه بلا هوادة. فهذه المذاهب لم توسع دين الإسلام ولا أدت إلى تكامله كما زعم الرجل ،لأن دين الإسلام دين إلهي كامل شامل للدين والدنيا بذاته ولا يحتاج أبدا إلى من يُكمله من خارجه كما زعم عبد الكريم سروش. وإنما تلك المذاهب خدمت أفكارها ودافعت عنها ونشرتها ، و ضخمت تراثها الفكري انتصارا لمذاهبها.

وثانيا يجب أن نعلم أن أهل الأهواء – عبر تاريخنا الإسلامي- حاولوا مرارا تحريف دين الإسلام بالطعن في القرآن الكريم، والزعم بأنه تعّرض للتحريف، حتى وصل بهم الأمر إلى اختلاق آيات و سور زعموا أن الصحابة أسقطوها من القرآن[1]. لكن محاولاتهم هذه باءت كلها بالفشل الذريع لأن الله تعالى تولى حفظ كتابه، فلم يتمكن هؤلاء من الوصول إلى المتن القرآني . لكنهم نجحوا في اختلاق مئات آلاف من الروايات الحديثية المكذوبة على النبي- عليه الصلاة والسلام ، فأقاموا بها لأنفسهم مذاهب توافق رغباتهم وأهوائهم ومصالحهم ، لكنهم لم يتمكنوا بها من اختراق المتن القرآني لتحريفه وتطويعه لخدمة أهوائهم، لأن القرآن الكريم مُحصن من داخله ومن خارجه. وإلى جانب هذا وُجد نشاط فكري آخر متنوع الاتجاهات غلبت عليه صبغة التعصب المذهبي على مستوى الأصول والفروع ، كان هَم كل اتجاه الانتصار لمذهبه بالدرجة الأولى[2]. لكن كلا من النشاطين لم يصل إلى المتن القرآني، وإنما وصلا إلى خدمة المذاهب الفقهية : توسيعا وإثراء ، إكمالا وانتصارا. فدين الإسلام لم يحدث فيه أي توسيع، ولا إكمال على أيدي الفرق الإسلامية كما زعم الرجل، و إنما هذه الفرق وسعت وأكملت مذاهبها .

والموقف السابع مفاده أن المؤلف قال: ((ولا ينبغي أن ننسى أنّ عرفاءنا أثروا التجربة الدينية وأنّ مفكّرينا وسّعوا من دائرة فهم الدين وكشف مفاهيمه الغنية، ولا ينبغي أن نتصور أنّ هؤلاء العظام مجرّد شرّاح للتجربة الأولى ودورهم ليس بأكثر من تكرار تلك التجربة. فالغزالي جاء بكشوفات دينية جديدة وهكذا المولوي ومحيى الدين بن عربي والسهروردي وصدر الدين الشيرازي والفخر الرازي وآخرون، وأساساً فإنّ الدين

[1] أنظر مثلا: الكليني: الكافي في الأصول، ج 1 ص: 72، 73 ، ج2 ص: 51، ج 6 ص: 215. و ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11 ص: 339.
[2] أنظر مثلا: عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، ص: 109 و ما بعدها .

الإسلامي قد تكامل ونما بهذه الصورة ... فالإسلام على امتداد تاريخه المجيد صار أعمق وأوسع وأنضج من خلال هذه الإضافات الفكرية والكشفية، ومادام هذا التكوّن التدريجي مستمراً في حركته في الواقع والحياة، فإنّ ذلك يعني وجود ضمانة لاستمرار حياة الدين))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تغليط وتلبيس على القراء. لأن دور هؤلاء العرفانيين وأمثالهم مهما كان كبيرا وهاماً فإنه لن يخرج عن كونه تجارب لعلماء مسلمين في شرح وإثراء تراثنا الديني، ولن يستطيع دورهم أن يصل إلى متن الوحي الإلهي، ولا أن يُكرر التجربة النبوية الأولى، و هذا أمر سبق بيانه فلا نعيده هنا.

وليست أعمالهم هي الضمانة لاستمرار دين الإسلام ،لأن ضمانة استمرار دين الإسلام تكفل الله تعالى بها . وقد ارتكبت كثير من المذاهب الصوفية والكلامية والفقهية والطائفية جرائم كبرى في حق دين الإسلام، حتى أن منها مذاهب وفرق يُمكن القول بأنها هدمت الإسلام ب: 93/ 100 ، ولم يبق عندها منه إلا 100/3 فقط. ولو لا حفظ الله تعالى لدينه وحمايته له بحفظه لكتابه الكريم ، ما بقي الإسلام كما أنزله الله تعالى على نبيه محمد- عليه الصلاة والسلام-.

ومهما قيل في تعظيم ما قام به العرفانيون كالغزالي مثلا، فإن أعمالهم نسبية تجمع بين الخطأ والصواب، ولا يصح الغلو فيهم ولا في أعمالهم. وقد وقع هؤلاء في أخطاء وطامات كبرى، ولهم شطحات كثيرة ليس هنا موضع بيانها[2].

وعليه فإن أعمال هؤلاء-و غيرهم- لم يكن لها أي دور في تكوّن و تكامل دين الإسلام ، فهذا أمر تولاه الله تعالى ، وإنما كان لها تأثير في أتباعهم وتراثهم. فأعمالهم لم توسع دين الإسلام ولا عمقته، وإنما وسعت وعمقت تجاربهم ومذاهبهم. لكن الرجل مُصر على موقفه من عدم التفريق بين دين المذاهب الذي اختلقها البشر، وبين دين الله تعالى الذي أنزله على نبيه- عليه الصلاة والسلام-.

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 27-28.

[2] يُعد الصوفيه من أكثر أهل العلم أخطاء، لأن الغالب عليهم تقديم رغباتهم على الشرع و العقل و العلم. من ذلك قول بعضهم بالحلول ، و وحدة الوجود ، و من أخطاء و نقائص الغزالي المعروفة، موفقه من المنطق الصوري، و تقديمه الوجدان في مجال الصفات على الوحي . وهذا قاله صراحة في كتابه إحياء علوم الدين . و له أخطاء كثيرة ليس هنا مجال ذكرها.

وأما الموقف الثامن فيتمثل في قول المؤلف : ((فربّما يرتقي العارف في معراج المعرفة ويكشف لطائف معنوية مهمّة ويرى الجنّة وحور العين ويتحدّث مع الله في باطنه وأعماق نفسه وغير ذلك، هذه كلها من التجارب العرفانية، ولكنّ التجربة النبوية أكثر من ذلك، فهي تجربة متعدية في ما تفرضه على الآخرين من تكاليف وأعمال))[1].

وأقول: إن قوله المتعلق بما يراه العارف ويحدث له مع الله، هو كلام لا يصح. بدليل الشواهد الآتية: أولها مفاده أن المؤلف قرر ذلك من دون دليل صحيح من الشرع، ولا من العقل، ولا من العلم. وهو قول خطير جدا ،ولا يُمكن أن يقبل بمجرد الزعم ، أو التمني، بل لابد من دليل قطعي يُثبت ذلك، وإلا لا يُقبل.

وإذا قيل: إن ذلك الحال يحسه بعض الأفراد دون غيرهم من الناس، ولا يُمكنهم البرهنة عليه. فأقول: إن هذا التبرير ليس دليلا، ولا مُبررا مقبولا، وهو إحالة على مجهول، ومن ثم فلا يُقبل ومردود على مدعيه. ولأنه أيضا يُمكن تفسير أحوال هؤلاء بعكس ما قالوه ، فقد تكون أحوالهم من حديث النفس ووساوسها، وتخيلاتها وتطلعاتها ،وقد تكون خليطا من إيحاءاتها ووسواس الشياطين، فلا يوجد أي مانع من أن يتقمص الشيطان شخصية أي كائن ويتحدث باسمه.

لكن ذلك لا يعني أنه ليس للمؤمنين الصادقين أحوال إيمانية صحيحة . فهذا ثابت من دون شك، هذه الأحوال قد ذكرها الشرع وبين صفاتها ، وليس من بينها أن المؤمن التقي يتحدث مع الله ،ولا أنه يرى الجنة وحور العين. فالله تعالى ذكر صراحة أنه يرزق عباده المخلصين الإيمان الصحيح، وينوّر قلوبهم ،ويجعلهم لهم فرقاناً يمشون به في الناس، وغيرها ذلك من صفاتهم. قال سبحانه: (يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(الأنفال : 29)،و(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)،و(وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور : 40)،و(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 167.

وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال : 2).

والشاهد الثاني مضمونه إن ذلك الزعم يعني أن الله تعالى يتحدث مع عباده قلبيا خارج إطار النبوة، و يستطيع أي إنسان أن يتحدث معه إذا اتبع طريقة هؤلاء العارفين حسب زعم الرجل. وهذا لا يصح من جهتين: الأولى إن الله تعالى اخبرنا أنه خص الأنبياء بكلامه دون غيرهم من الناس، قال سبحانه: (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى : 51)،و(إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (آل عمران : 33)،و(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(الحج : 75).

والجهة الثانية هي إن ذلك الزعم هو مخالف لختم النبوة بالنبي محمد-عليه الصلاة والسلام- ونقض لها أيضا، لأنه يعني عمليا أن كل إنسان بعد ختم النبوة يستطيع أن يتحدث مع الله ، ويطلع على الغيب إذا سار في طريق هؤلاء العارفين حسب زعم الرجل. وهذا يعني أن هؤلاء أصبحوا أنبياءً من الناحية العملية، سواء قلنا أنهم غير مُكلفين برسالة،أو مكلفين بها ، فالنتيجة واحدة في النهاية، وهي نتيجة باطلة من دون شك. مما يعني أن ذلك الزعم الذي قاله المؤلف غير صحيح.

والشاهد الثالث مفاده إن القول بأن في إمكان العارفين أن يتحدثوا مع الله و يطلعون على أحوال الجنة ، هو تعطيل لرسالة دين الإسلام بعد ختم النبوة. فأية فائدة من إنزال القرآن على البشرية، إذا كان الإنسان يستطيع أن يتحدث مع الله ويطلع أحوال من الغيب؟؟!!، إنه لا معنى لإنزاله ، والقول بذلك الزعم هو هدم لدين الله وكتابه وسنة نبيه الصحيحة. ولا معنى ولا فائدة من حفظه ، وتحدي الإنس والجن على أن يأتوا بمثله. وبما أن الأمر هكذا، فإن ذلك الزعم الذي قاله المؤلف باطل، لأن الله تعالى بعدما ختم النبوة تكلم مع بني آدم كلهم بالقرآن الكريم،ولم يتكلم معهم من خارجه.

والشاهد الأخير- الرابع- مضمونه إنه لو صح ذلك الزعم لذكره الله تعالى في القرآن الكريم ولحثنا عليه ،لأن أمرا كهذا هام وخطير جدا، فهو في درجة النبوة، ولا يصح إغفاله. والله تعالى الذي أكمل دينه، وذكر فيه تفاصيل تتعلق بالميراث، والأسرة ،وبأمور أخرى كثيرة جدا، لا يُمكن أن يكون ذلك الزعم صحيحا ولا يذكره الله تعالى في كتابه، وبما أنه لم يذكره ، فهذا دليل دامغ على أن ذلك الزعم باطل.

والموقف التاسع مفاده أن المؤلف قال: ((وأمّا بالنسبة للعقائد والكلام لدى أهل السنة فبالرغم من أنّهم لا يعتقدون بالأئمة المعصومين بعد النبي إلاّ أنّهم يعتقدون بمكانة خاصة للعرفاء في ما يعيشونه من حالات الإلهام والاتصال بعوالم الغيب))[1].

وأقول: إنه أخطأ في تعميم قوله هذا على كل أهل السنة، لأن من يعتقد بذلك منهم هم الصوفية ، أو معظمهم ، ومن تأثر بهم ، أما أهل السنة قبل ظهور التصوف وانتشاره ، وأهل الحديث وأتباع المذاهب الأربعة من غير الصوفية، فلا يقولون بذلك. وليس عندهم العارفون ،أو العرفاء، وإنما عندهم الأولياء المؤمنون الصالحون الأتقياء ، لقوله تعالى: ((أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (يونس : 62) و((وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ (الأنفال : 34))). وهؤلاء لا يعلمون الغيب ولا لهم اتصال بعالم الغيب ، لأن الغيب لا يعلمه إلا الله، قال سبحانه:((قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ)(النمل : 65). وإنما هم مؤمنون أتقياء مُلتزمون بالشرع قلبا وقالبا، لا شطحات عندهم ولا رعونات نفس. وإنما هم من الذين قال الله تعالى فيهم: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7)،و(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال : 2)،و(وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ،وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً)(الطلاق :2- 3)[2].

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 120.-121.

[2] للتوسع في معرفة أولياء الله الحقيقيين من المُزيفين أنظر : ابن تيميةالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

والموقف الأخير- العاشر من المبحث الثالث- يتمثل في قول المؤلف: ((وعلى سبيل المثال لو أخذنا بنظر الاعتبار مفهوم «العشق» حيث نجد إشارات لهذا المفهوم في النصوص الدينية، مثلاً القرآن الكريم يتحدّث بصراحة عن الحبّ الإلهي: (يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ....) وهناك إشارات إلى هذا الأمر في الروايات أيضاً، ولكنّ ما ورد في هذه النصوص الدينية لا يمثّل أبداً سعة هذا المفهوم في كلمات الأدب العرفاني، فالعرفاء تحركوا على مستوى بسط هذا المفهوم وأضافوا له من معطيات تجاربهم، ولذلك ما يوجد لدينا الآن من المعرفة في إطار هذا المفهوم أوسع وأعمق على مستوى الصورة والمضمون ممّا هو موجود في النصوص، وهذا يشير إلى أنّ الدين يتحدّث في مورد المسائل المهمّة والدقيقة مثل مفهوم العشق من موقع الحدّ الأدنى لا الأكثر))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح في معظمه، و فيه تحريف وتلبيس، وانحراف عن الاستدلال الصحيح . لأنه أولا إن مفهوم الحب بين الله تعالى وعباده فإن الشرع وحده هو الذي يُحدده وليس الصوفية ولا غيرهم من الناس. والله تعالى قد تكلم في علاقة الحب بينه وبين عباده فسماها بالحب ، وبالود ، والخُلة . كقوله سبحانه: (مِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ)(البقرة : 165)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)(المائدة : 54)،و(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ)(البقرة : 222)،و(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)(مريم : 96)،و(وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (البروج : 14)،و(وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً)(النساء : 125) . لكنه سبحانه لم يسم نفسه عاشقا،ولا معشوقا،ولا ذكر أنه يعشق عباده المؤمنين، ولا عباده يعشقونه، بل إنه لم يذكر كلمة العشق في كتابه ُمطلقا.

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 87-89.

وبناءً على ذلك فإنه لا يصح إبعاد اللفظ الشرعي(الحب) وتعويضه بلفظ لم يرد في الشرع :(العشق) من جهة، وهو من جهة أخرى لفظ يُستخدم في العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة سواء كانت حلالا أم حراما.و هذا يعني أن لفظ العشق ليس مُصطلحا شرعيا ،ولا يُعبر عن المعني الشرعي المراد من الحب الإلهي لفظا ولا معنى. وهذا خلاف ما زعمه الرجل وأراد أن يُوهمنا به من أن مفهوم العشق هو مفهوم شرعي.

وثانيا ليس صحيحا أن الشرع- الكتاب والسنة الصحيحة الموافقة له- لم يتوسع في موضوع الحب الإلهي بين الله تعالى وعباده المؤمنين،ولا تعمق فيه. فهذا كلام مردود على صاحبه، فقد ذكره الشرع في نصوص كثيرة ،وليس في إشارات كما ذكر المؤلف، كما أنه تطرق إليه من جهة آثاره وشدته وعمقه، ومقتضياته التي تقتضيها علاقة الإيمان والحب القائمة بين الله تعالى وعباده المؤمنين. منها قوله سبحانه : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ)(البقرة : 165)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)(المائدة : 54)،و (وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (البروج : 14) و(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً)(مريم : 96))، و(قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)(التوبة:24) ،و(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (البقرة : 222).

وأما من السنة النبوية الصحيحة، فمنها قول النبي-عليه الصلاة والسلام- : ((فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده))[1] ،و((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))[2].

---

[1] البخاري: الصحيح، ج 1 ص:12 رقم: 14.
[2] البخاري: الصحيح، ج 9 ص: 20 ، رقم: 6941 .

وثالثا إنه لا يصح شرعا ولا عقلا القول بأن الصوفية تكلموا في الحب الإلهي أعمق من الشرع- الله ورسوله- فهذا خطأ فادح، وانحراف سافر عن الشرع. لأن هذه العلاقة لن يستطيع يتكلم فيها بحق وعمق وصواب إلا الشرع وحده أولا ، ثم من مارسها وتكلم فيها وفق الشرع ثانيا. وأما ما فعله الصوفية فلاشك أنهم توسعوا في موضوع التصوف ومباحثه، منها الحب الإلهي كما توسع الفقهاء في الفقه بأصوله وفروعه، والمتكلمون في أصول الدين و قضايا علم الكلام المتصلة به. لكنهم- أي الصوفية- خاضوا في موضوع الحب الإلهي بمنهج ناقص، وفيه انحراف كبير عن الشرع الصحيح ،و العقل الصريح والعلم الصحيح . فكَثُرت انحرافاتهم وأخطاؤهم وشطحاتهم وضلالاتهم، وقد رأينا كيف غيروا لفظ الحب بعبارة العشق ، وظهرت على كثير منهم أحوال غريبة، فمنهم من أدعى أنه تحلل عن الالتزام بالشريعة، و منهم من زعم أن الله حلّ فيه، و منهم قال بوحدة الوجود ،و منهم من قال أنه يعبد الله حبا فيه لا خوفا منه ، وغير هذا كثير جدا من شطحات القوم وأباطيلهم بدعوى الحب الإلهي[1]. ومن هذا حاله لا يصح أن يُمدح بدعوى أنه وسع وعمّق مفهوم الحب الإلهي أكثر من الشرع، وإنما يجب أن يُنقد بميزان الشرع ،والعقل ،والعلم فيُمدح فيما أصاب ووافق الشرع، ويُنتقد ويُذم فيما أخطأ وخالف الوحي. علما بأن علم التزكية- التصوف- يجب أن يكون كغيره من علوم الوحي محكوما بالشرع في منطلقاته ووسائله و نتائجه ، وإلا سينحرف عن دين الإسلام، وتكثر أخطاؤه وضلالاته، ويفقد شرعيته وأصالته الإسلامية.

ثم أن المؤلف قال: ((وعلى أيّة حال فالقائد والزعيم الديني يعيش بعض القيود والأطر التي لا يعيشها الأتباع. فالنبي لا يمكنه أن يتحرك في عمله الرسالي من موقع العشق وحالة السكر من شدة العشق، ولكنّ هذا لا يعني منع الأتباع من ممارسة هذه التجارب، وعلى سبيل المثال أيضاً لننظر إلى الملامتيين، وهذا بدوره يمثّل كشفاً لبعض عرفائنا ومتصوفينا، فعندما يتلوث المجتمع الديني بأشكال الفساد والانحطاط وتتفشّى ظاهرة التجارة بالدين والرياء والتفاخر بالتدين فإنّ المصلحين والخيرين يرون في حالة الملامتية علاجاً لهذه النواقص والأمراض. (الملامتية تعني التظاهر بالفسق

[1] للتوسع في ذلك أنظر مثلا: ابن الجوزي: تلبيس إبليس. وابن قيم الجوزية: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.

وعدم اجتناب القبائح وما يثير اللوم من قِبل الآخرين، وممارسة الأعمال التـي تسـقط الإنسـان فـي نظـر الآخـرين». وحتـى أنّ الغزالـي وهـو الفقيـه والمفتـي الذي يسلك طريق الاحتياط يقول: إنّ بعض أرباب القلوب ومن أجل تطهير قلوبهم من حبّ الذات والأنانية وسحق مكانتهم الاعتبارية لدى الناس، يقومون بشرب الماء في آنية الخمر ليظن المتدينون بأنّهم فساق ولا يبالون بأحكام الدين، ثم إنّ الغزالي يقول بعد ذلك: إنّ هذا العمل لا يخلو من إشكال من الناحية الفقهية، ولكنّ أرباب القلوب يعرفون كيف يتخلصون من هذا الخطأ))[1].

وأقول:كلامه هذا غير صحيح في معظمه ، وفيه انحراف واضح عن التزكية الروحية في الإسلام . لأنه أولا إن حكاية العشق والسكر،لا تُعبر عن المعنى الشرعي للحب الإلهي في الإسلام، ولا عبرت عنه بالمصطلح الشرعي. كما أن تلك الأحوال التي ذكرها المؤلف عن الصوفية، ليست هي من الأحوال الإيمانية التي وصف الله بها المؤمنين ومدحهم عليها، ولا هي من الأحوال الروحية التي تُعبر عن التزكية الإيمانية الشرعية التي فصلها الوحي الصحيح. كقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)(الأنفال : 2)،و(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات: 7)،و(أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)(الزمر : 22)،و(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)(الزمر: 23). فالمفروض شرعا وعقلا أن تكون الأحوال الإيمانية الوجدانية للصوفية وغيرهم من المسلمين مضبوطة بالشرع و مُحتكمة إليه ، ولا يحق لأي مُسلم – مهما كان- أن يستثني نفسه منها.ومن يستثني نفسه منها فهو مُغرر به ومُتبع لهواه، و ليس مُتبعا للشرع، ولا للعقل ،ولا للعلم.

وبمعنى آخر إن الأحوال القلبية الإيمانية يجب أن تنضبط بالشرع قلبا وقالبا ، ومن يخالف ذلك فهو مُخطئ ومنحرف عن الشرع. لأن الله تعالى

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 95-96 .

أمرنا بإتباع كتابه ورسوله ، وتلك الأحوال الغريبة والمشبوهة التي ظهرت على الصوفية ليست من القرآن ،ولا من سنة النبي- عليه الصلاة والسلام- ،ولا من أحوال الصحابة –رضي الله عنهم- الذين مدحهم الله تعالى ، وشهد لهم بالإيمان والجنة والعمل الصالح، وأمرنا بإتباعهم. قال تعالى :(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة: 100). وبناء على ذلك فمن يزعم أن الصوفية غير مُلزمين بإتباع الأحوال التي حددها الشرع- كتابا وسنةً- فهو مُخطئ ومُخالف للشرع .

وبناءٌ على ذلك فأحوال الصوفية عامة و الملاماتية منهم خاصة يجب أن تنضبط بضوابط الشرع قلبا وقالبا، ومن يُخالف ذلك فهو مخالف للشرع والعقل، ومُتبع لهواه وظنونه، ومُلبس عليه من حيث يدري أو لا يدري. والشاهد على هذا أيضا قوله تعالى: (ولَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7) فالإيمان الحقيقي الصحيح، يجب أن يُصاحبه التزام بالشرع قلبا وقالبا، ولا يصح أن تُصاحبه أحوال مُخالفة له كما هو حال الملامتية وأمثالهم من الصوفية. فالإيمان الحق يترتب عنه بالضرورة الالتزام بما أمر به الشرع، وتطبيق مقتضياته في الواقع، ويصدق عليه قوله تعالى :(وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7) . ولاشك أن أفعال الملامتية منحرفة عن الشرع، لأنها قامت بأفعال مخالفة له ومنحرفة عنه، وتندرج في أفعال الكفر والفسوق والعصيان.وهذا خلاف ما ذكرته الآية (وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات : 7). فَكُره تلك الأفعال وعدم إتيانها هو من علامات الإيمان الصحيح والمقبول عند الله تعالى، وليس العكس .

وأما الزعم بأن هؤلاء الملامتية فعلوا تلك الأحوال دفعا للرياء وطلبا للإخلاص، فهذا تبرير لا يصح، لأنه مُخالف للطريقة الشرعية في مجاهدة النفس وتزكيتها ومراقبتها. ولأنه قد تكون تلك الأحوال هي بنفسها من الرياء ، ليُقال: إنهم فعلوا ذلك إخفاءٌ للإخلاص. ويُمكن أن يُقال أيضا : إن

هؤلاء أظهروا تلك الأحوال طلبا للجاه، وتجميعا للناس من حولهم. ومن ثم يصدق عليهم المثل الذي يقول: كلهم صيادون، لكن شباكهم تختلف.
وثانيا إن احتجاج المؤلف بكلام أبي حامد الغزالي ليس حجة، لأن الرجل على مكانته في العلم ، فهو عندما تصوّف باع فقهه بالتصوف، وأصبح مدافعا عنه بحق وبغير حق، من حيث يدري أو لا يدري. وعليه فكلام الغزالي ليس حجة بذاته بمجرد أن الغزالي قاله من جهة، والأدلة الشرعية والعقلية والعلمية الصحيحة هي فوق كل إنسان من جهة أخرى. والأدلة تُعرف بما تحمله من حق وصواب،ولا تُعرف بمجرد قائلها. وأما قول الغزالي: ((ولكنّ أرباب القلوب يعرفون كيف يتخلصون من هذا الخطأ))، فهو قد اعترف بأنه خطأ ، لكن تبريره لا يصح، وموقفه هذا هو من أخطائه وشطحاته التي وقع فيها عندما تصّوف. فكان عليه أن يُطالبهم بالالتزام بالشرع بعدما اعترف بخطئهم ، لا أن يُبرره بكلام لا يحمل دليلا صحيحا من الشرع ولا من العقل، وإنما هو من التغليط والتلبيس على الناس، والدفاع بالباطل عن هؤلاء الصوفية.

وثالثا إن المؤلف عقب على كلامه السابق بقوله : ((ولكنّ أتباع هذا المذهب والدين يمكنهم أحياناً، ومن أجل علاج بعض الأمراض الروحية، الاستفادة من هذه الطريقة في واقع الحياة ولا يمثّل هذا العمل بالنسبة لهم انحرافاً في مزالق الخطيئة))[1].
و تبريره هذا ضعيف أيضا ،وليس من الشرع ،وفي الطرق الشرعية والمباحة ما يكفي لتربية الناس من كل أمراضهم من دون اللجوء إلى الطرق المخالفة الشرع. فلا يوجد في القرآن الكريم آية تأمر بذلك ، وإنما خلافه هو الموجود ، لأن الله تعالى يأمر بالعدل والإحسان،ولا يأمر بالفحشاء والمنكر(إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)(النحل:90).

ومن جهة أخرى فقد تولى النبي- عليه الصلاة والسلام- أعظم تربية إيمانية، وفكرية ،وسلوكية ،وجهادية في التاريخ أخرجت العرب المسلمين من جاهليتهم ،وأمراضهم ورذائلهم، إلى الإيمان ،والجهاد ،والعمل الصالح

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 95-96 .

، ووصفهم الله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)(آل عمران:110). فحدث كل ذلك، ولا يُوجد دليل في القرآن ولا في السنة الصحيحة يثُبت أن النبي- عليه الصلاة والسلام- ربى أصحابه بارتكاب المخالفات الشرعية ،ولا أنه أمرهم بفعل ذلك لجهاد أنفسهم وتطهيرها!!!!.

وختاما لهذا الفصل- الثالث- يُستنتج منه أن المؤلف عبد الكريم سروش أخطأ في موقفه من الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم، عندما أوّلها تأويلا فاسدا ،وألحقها بخرافة عرضيات الإسلام وذاتياته. أخطأ فيه لأنه أقامه على رغباته وخلفياته المذهبية، ولم يُقمه على مُنطلق صحيح قائم على الوحي والعقل والعلم.

وتبين أيضا أن موقفه من الإشارات العلمية في القرآن، أوصله إلى القول بوجود تعارض بين الدين والعلم من دون أن يُقدم دليلا صحيحا يُثبت به قوله. ولم يُبين الحالات التي قد يحدث فيها تعارض بين الدين والعلم.ولا حدد المنهج الصحيح في التعامل مع هذه الظاهرة عند حدوثها. ولا نصّ على أن الأصل في العلاقة بين الدين الحق والعلم الصحيح هي علاقة تصديق وتطابق وتوافق ،لا علاقة تعارض وتناقض.

واتضح بالأدلة الدامغة أن معظم ما قاله المؤلف حول موضوع ختم النبوة كان كلاما باطلا مخالفا للشرع مخالفة صريحة. لأنه بينا بالشواهد القطعية أن دين الإسلام- بعد نبيه- لا يحتاج أبدا إلى تكرار تجربة النبوة، لأنه دين كامل شامل للدين والدنيا. ولأن القول بحكاية الحضور الروحي للنبي بعد وفاته، بدعوى استمرا التجربة النبوية، ليست من دين الإسلام ، وما هي إلا خرافة من خرافات الرجل وأمثاله. لأن الحقيقة هي أن التجربة النبوية كنبوة قد توقفت قطعا ، لأن الله تعالى قد ختمها بنبيه محمد –عليه الصلاة والسلام-. وعليه فلن يستطيع أي إنسان أن يكون نبيا لنفسه ولا لغيره بعد ختم النبوة بنبينا عليه الصلاة والسلام.

إنه أخطأ في ذلك لأنه تبين أن المؤلف انحرف عن المنهج الصحيح الذي يُفرق بين النبي الذي هو كليم الله ،وبين غيره من الشعراء والزهاد وكبار الصوفية والعباقرة والعلماء. فالرجل لم يُفرق بين النبي وهؤلاء، وقارن بينهم بمنهج واحد، وهذا لا يصح وانحراف كبير عن منهج الاستدلال الصحيح. لأنه لا مجال للمقارنة بين تجربة الأنبياء عامة، والخاتم منهم خاصة ،و بين تجارب غيرهم من البشر.

الفصل الرابع
مواقف وقضايا متفرقات،آثار واستنتاجات

أولا: نقض مواقف متفرقة للمؤلف:
ثانيا: من أهم الاستنتاجات والآثار:
ثالثا: أسباب كثرة أخطاء المؤلف وانحرافاته العقدية والمنهجية

مواقف وقضايا متفرقات،آثار واستنتاجات

يتضمن هذا الفصل – الرابع والأخير- ثلاثة مباحث هادفة ومركزة هي امتداد للفصول السابقة. أولها يتعلق بمواقف للمؤلف عبد الكريم سروش وردت مُتفرقة في كتابه بسط التجربة النبوية. والثاني أفردناه لرصد وإبراز الآثار والاستنتاجات التي أظهرها بحثنا هذا في نقدنا لكتاب المؤلف. والأخير- الثالث- خصصناه للبحث عن الأسباب التي كانت من وراء كثرة أخطاء المؤلف وانحرافاته العقدية والمنهجية.

أولا: نقض مواقف متفرقة للمؤلف:

تضمن كتاب المؤلف مواقف فكرية كثيرة ومتنوعة تبناها الكاتب وأثارها في كتابه أثناء عرضه لأرائه ومواقفه المتعلقة بموضوع بسط التجربة النبوية. وقد سبق أن نقضنا معظم مواقفه المرتبطة مباشرة بموضوع كتابه، وهنا نذكر منها ثمانية مواقف أخرى مُتفرقة.

أولها مفاده أنه المؤلف قال: ((وينبغي النظر من هذه الزاوية إلى ظاهرة تعدد الفرق والمذاهب في الإسلام، فعندما يقال بأنّ وجود هذه المذاهب المتعددة كان بسبب مؤامرة الأعداء، أو يقال أنّ الحوادث الكبيرة والعظيمة كانت بسبب المؤامرة فإنّ ذلك يدل على السطحية في الفكر. ألا يلزم البسط التاريخي لهذا الدين أن تتشكل فرق ومذاهب مختلفة تستوحي كلها من تعاليمه؟ أليس ظهور المذهب الشيعي والسني هو مقتضى وحصيلة ذلك البسط التاريخي؟))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تغليط وتلبيس، وقائله إما جاهل بتاريخ الفرق الإسلامية، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه قاله لغاية في نفسه. لأنه أولا إن وجود مبدأ التآمر بين الناس هو أمر ثابت قطعا بدليل العقل والتاريخ والحاضر.وهو من الضروريات لدي معظم ممارسي السياسة والاستخبارات.وعليه فلا يصح تقزيم هذا الجانب ، ولا وصف من يقول به بالسذاجة. أَلم تتآمر قريش والعرب واليهود على دين الإسلام و نبيه وأتباعه ؟!، وأَلم يتآمر الغرب النصراني على المسلمين في الحروب

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 27.

الصليبية ؟؟!!، وألم يتآمر الغرب الاستعماري على العالم الإسلامي عندما احتلوه في القرنين التاسع عشر والعشرين ؟؟!!، وألم يتآمر الغرب على المسلمين عندما افتك منهم فلسطين وسلمها لليهود ؟؟!! ، وغير ذلك كثير جدا. لكن الخطأ قد يقع عندما نبالغ في تضخيم مبدأ التآمر في حادثة من الحوادث وهولا يستحق ذلك. أو عندما نستخدمه في غير محله . لكن علينا أن نكون حذرين فطنين ، لأن من حيل المتآمرين أنهم يُوهمون المُتآمر عليهم بأنه لا يُوجد آي تآمر عليهم، وأنه من الخطأ والسذاجة الاهتمام بهذا الأمر، يفعلون هذا لتغفيلهم وتغليطهم حتى يُمرروا مُخططاتهم الجهنمية،وحتى ينقضوا عليهم في الوقت المناسب وهم في غفلة من أمرهم.

وثانيا إنه يجب أن لا يغيب عنا أن الاختلافات التي أدت إلى ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية ، ليست نوعا واحدا في مُنطلقاتها وغاياتها، وإنما منها اختلافات سببها تباين وجهات النظر حول القضايا والمشاكل التي حدثت بين المسلمين، والغالب عليها أنها من نوع اختلاف التنوع لا التناقض. ومنها اختلافات معظمها من اختلاف التناقض لا التنوع ،سببها الخطأ في الفهم والتأويل. ومنها نوع ثالث من الاختلافات- التي أدت إلى تفرق الأمة- الغالب عليه أنه من اختلاف التناقض لا التنوع، ويتعارض مع دين الإسلام تعارضا صريحا ويعمل على هدمه وتفريق أهله. وهذا النوع ليس من الاختلاف العلمي المُبرر، وإنما هو اختلاف مشبوه ومُغرض، لأصحابه نوايا سيئة للكيد والتآمر على الإسلام وأهله. والشواهد التي تُثبت هذا النوع كثيرة جدا في تاريخنا الإسلامي، منها: إن تعرض الخلفاء الراشدين الثلاثة-عمر، وعثمان، وعلي، -رضي الله عنهم- للقتل بالطرق المعروفة هو شاهد دامغ على وجود الكيد والتآمر فيما حدث لهم على أيدي قاتليهم. وقد كان ذلك أكثر وضوحا في الطريقة التي أستشهد بها عثمان بن عفان- رضي الله عنه -.

ومنها إن في ظهور جماعة من بين جيش علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- تدعي أنه إله ، حتى أنه أحرق طائفة منهم[1]، هو دليل قاطع على وجود تآمر وكيد للإسلام وأهله.لأنه لا يُعقل ، ولا يصح، ولا يجوز، أن

[1] أنظر مثلا: الشهرستاني: الملل والنحل،ظ7، دار المعرفة، بيروت ، 1998 ، ص: 203 و ما بعدها.

يظهر من بين المسلمين من يدعي الألوهية في علي ،ولا في أيٍ من الصحابة، في زمن قريب من النبوة والصحابة كثيرون. وبما أن هذا قد حدث، فهذا دليل دامغ على وجود التآمر والكيد ، ودورهما الماكر في السعي إلى تقسيم الأمة إلى شيع وأحزاب متناحرة.

وآخرها- الشاهد الثالث-مفاده هو أن ظهور فرقة من الفرق الإسلامية تدعي أن القرآن قد تعرّض للتحريف، وأن الصحابة هم الذين حرّفوه، وأنهم ارتدوا لتحريفهم للقرآن، وإخفائهم للوصية[1]،هو دليل قاطع على وجود الكيد والتآمر على الإسلام وأهله. لأن تلك المزاعم هي باطلة قطعا ، بدليل القرآن الكريم، والروايات الصحيحة الموافقة له. فمن الذي اختلقها ؟؟، ولماذا اختلقها ؟؟. وبما أن الأمر كذلك، فمن هو الذي سطحي الفكر ، المؤلف أم من يُخالفه في الرأي ؟؟!!.

وثالثا إنه من الثابت تاريخيا أن ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية كان ظاهرة مرضية وسلبيه أكثر مما كان ظاهرة صحية وإيجابية بفارق كبير جدا. لأن هذه الفرق والمذاهب لم يكن ظهورها واختلافها يندرج ضمن اختلاف التنوع والتكامل والتعاون، وإنما كان الغالب عليه أنه اختلاف التناقض والتنازع ، والتقاتل والتكفير. وهذا الذي حدث مُخالف للشرع دون شك ، حدث بسبب ابتعاد المسلمين عن دينهم. ولم يكن هذا حتمي الحدوث كما زعم الرجل ، فقد كان في مقدور المسلمين أن لا يقعوا في ذلك، ويجنبوا أمتهم الويلات والمحن التي أصابتها عبر تاريخها الطويل.

وعليه فليس صحيحا أن ظهور الفرق والمذاهب الإسلامية من خارجية، و إمامية ، وسنية ، ومعتزلية، وأشعرية ، كان ضروريا. فهذا زعم باطل من دون شك، فلو تمسك المسلمون بما أمرهم به القرآن الكريم من أخوة وترابط، ووحدة وتعاون، وحقن للدماء وحُكم بالشورى. لما تفرقوا ولما تقاتلوا، و لما تبادلوا التكفير وطعنوا في بعضهم. فظهور تلك الفرق والمذاهب بتلك الطريقة كان مخالفا للشرع، ووبالا على المسلمين، وجريمة نكراء في حق الأمة ودينها، ولم يكن أمرا حتميا ،ولا ضروريا ، ولا كان طبيعيا ولا صحيا كما أراد أن يُوهمنا به الرجل.

---

[1] عن ذلك أنظر مثلا: نفس المصدر، 169 وما بعدها، و 189 وما بعدها. و الكليني: الكافي في الأصول، ج 1 ص: 72، 73 ، ج2 ص: 51، ج 6 ص: 215.

وبناءً على ذلك فلا يُمكن أن تكون كل تلك الفرق على صواب، لأنها متناقضة فيما بينها، ومعظمها مخالف للقرآن الكريم في أكثر أصوله، مما يعني بالضرورة أن معظم تلك الفرق مُنحرفة عن الشرع، وليس منها إلا فرقة واحدة هي التي على صواب، وأصولها تتفق تماما مع القرآن الكريم أولا، ثم مع السنة النبوية الصحيحة الموافقة له ثانيا ، ثم مع الروايات التاريخية الصحيحة الموافقة للقرآن والسنة ثالثا .

والموقف الثاني مفاده أن المؤلف قال: ((فالشريعة علم والطريقة عمل،والحقيقة هي الوصول إلى الله، ولهذا السبب بالذات فإنّ العرفاء يرون أنّ ظهور الحقائق يوجب بطلان الشرائع «لو ظهرت الحقائق لبطلت الشرائع» والوصول إلى الحقائق حاله حال الوصول إلى السطح والوصال وعدم الحاجة إلى سلم العلم والعمل. ويقول المولوي:

ـ عندما تصل إلى سطح السماء
ـ فعند ذلك لا تبحث عن السلم
ـ ولا تريد العلم إلاّ لتعليم الغير ومساعدته
ـ ولا تهتم بطريق الخير بعد وصول إلى الخير
ـ فإنّ الرجل عندما يحصل على الوصال
ـ فإنّه لا يعدّ يهتم بالبحث عن الدليل
ـ وعندما تصل إلى مطلوبك أيّها الجميل
ـ فإنّ طلب العلم يكون قبيحاً.

إنّ التمثيل بالقشر واللب أو الظاهر والباطن إنّما هو بهذا المعنى. فاللب أو المخ لا يعني مركز وأصل المعارف والتعاليم الدينية في مقابل الظواهر والقشور، بل يعني حالة ومرتبة رفيعة في الإنسان تتمثل في كون العلم الديني والعمل به والحلال والحرام والفقه والأخلاق الدينية بمثابة وسيلة للوصول إلى تلك المرتبة، وبما أنّ القشرة وضعت للمحافظة على هذا الكل، فلذلك كانت مانعة من تحصيل اللب، وبهذا المعنى يقول الشيخ محمود الشبستري:«إنّ الشريعة تمثل قشرة على مخ الحقيقة، وبين هذه وتلك تكون الطريقة»))[1].

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 35.

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تغليط وتلبيس،وانحراف كبير عن الشرع. لأنه أولا إن هؤلاء قد تركوا أصل الدين وغايته، وهو العبادة بمعناها الواسع، قال تعالى:(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام:162)،و(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة:21)،و(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات: 56). تركوا ذلك واهتموا بثمرات ونتائج العبادة، والتي هي ليست أصلا، وإنما هي مكافأة ربانية دنيوية مؤقتة، وليست هي أصل الدين وأركانه التي يقوم عليها ابتداءً. فيكون هؤلاء قد تركوا أصول الدين وتمسكوا بجزء من نتائجه، فضاع منهم الأصل واختلطت عليهم النتائج. لأن من ضَيّع الأصول حُرم الوصول. ومن يقول بتلك المزاعم التي قال بها هؤلاء الصوفية فهو في الحقيقة يعبد الله على هواه ،ولا يعبده وفق شريعته التي فرضها علينا.

وثانيا إن مما يُبطل مزاعم هؤلاء أنهم لم يدعموها بدليل صحيح من الشرع ، والوحي شاهد بنفسه على بطلانها أيضا. بدليل الشواهد الآتية: أولها مفاده أنه لا يوجد في الشرع دليل يأمرنا بعبادة الله حتى نصل إلى تذوق العبادة ومعرفة حقيقتها ثم نتخلى عن الشرع ونترك عبادة الله،وإنما أمرنا أن نعبده حتى نلقاه . قال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)(آل عمران : 102)،و(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)(القصص: 83)،و(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)(طه: 132).

والشاهد الثاني مضمونه أن الله تعالى جعل تذوق المؤمن لحلاوة العبادة حافزا ومكافأة له للمزيد والتفاني في العبادة، وليس لتركها وتعطيلها. وكلما ازداد عبادة ازداد قربا وتذوقا لها، ويحدث العكس عندما يتهاون العبد في عبادة الله ويُفرّط فيها، فيُعاقبه بالضيق والإبعاد ،والطرد وفقدان حلاوة الإيمان، وقد ينتهي به الأمر إلى الكفر. قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً)(النساء:137)،و(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ)(المنافقون:3)،و(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ)(الصف: 5).وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ،ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ،ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)[1].

والشاهد الثالث مضمونه أنه لو كان تذوق ثمرات العبادة- الوصول إلى الله- يُبطل الشرائع كما زعم هؤلاء، لكان النبي- عليه الصلاة والسلام- هو أول من ترك الالتزام بدين الإسلام، لأنه قد وصل إلى الله تعالى وصولا يقينيا عن طريق الوحي. لكن هذا كله لم يحدث ، فقد كان-عليه الصلاة والسلام-مجتهدا في العبادات حريصا على تطبيق ما أمره الله به. ولو كان كما زعم هؤلاء ما قال له ربه: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام:162)،و(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى)(طه : 132)،و(قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً،أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (المزّمّل)(المزّمّل: 2).
والشاهد الرابع مفاده أنه لاشك أن الصحابة- رضي الله عنهم- قد تحقق فيهم الإيمان ،ووصلوا إلى تحقيق ثمراته في أنفسهم.وقد شهد الله لهم بالإيمان والرضوان والعمل الصالح، كقوله تعالى:(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)(التوبة:100)،و(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً (الفتح : 18). فلو كان الأمر كما زعم هؤلاء ،لكان الصحابة قد تخلوا عن الالتزام بالإسلام وعطلوه بما أنهم حققوا تلك الدرجات الإيمانية!!. و بما أن هذا لم يحدث ، دل على أن مقولة هؤلاء باطلة من أساسها و مردودة عليهم.

والشاهد الأخير- الخامس- هو أن كثرة انحرافات وشطحات الصوفية هو دليل دامغ على بطلان منهجهم ، حتى وصل بكثير منهم إلى شطحات جنونية، كالقول بوحدة الوجود، والحلول، والتحلل من الشريعة، وغير ذلك كثير. هذه الآثار السلبية والمدمرة للدين والدنيا ولأصحابها هي ثمار مرة لذلك المنهج الذي قال به هؤلاء. كقولهم : (لو ظهرت الحقائق لبطلت

[1] البخاري: الصحيح ،ج 7 ص: 104، رقم: 5578 .

الشرائع). فكان نتيجة ذلك أن عاقبهم الله تعالى، وسلبهم الإيمان الحقيقي وتركهم يتخبطون في وجدانياتهم المريضة القائمة على الظنون والأهواء، وتلبيسات الشياطين.

وبذلك يتبين أنه من الخطأ الفادح القول بما قاله هؤلاء الصوفية ،فهو زعم باطل شرعا وعقلا. لأن الإسلام ليس جسرا ،ولا سلما، ولا طريقا ،ولا وسيلة كما زعم هؤلاء، وإنما هو عبادة لله تعالى بالمعنى الواسع للعبادة . فمن ألتزم بها قلبا وقالبا كما أمره الله بها إلى أن يموت فسيفوز بالدنيا والآخرة. ومن جعل دين الله تعالى وسيلة لتحقيق رغباته الدنيوية، كطلب اللذة القلبية، فهو قد انحرف عن الصراط المستقيم. لأنه لم يعبد الله وفق ما شرّعه لنا، وإنما عبده كما أراد هو من الله حسب هواه، لا وفق ما شرّعه الله تعالى !!. وهذا المنحرف إن هو واصل السير على منهجه الفاسد فإنه سيصل إلى القول بالتحلل من الشريعة وإبطالها. وهنا يكون قد ظل الطريق ، وانحرف عنه انحرافا كبيرا، وسيُعاقبه الله تعالى عاجلا أم آجلا ، كأن يسلبه الإيمان الصحيح ،ويتركه يتخبط في وجدانياته المخلوطة بالظنون والرغبات،والوساوس والشطحات.

وبناءً على ذلك فإن الصحيح هو أن الالتزام بدين الإسلام يجعلنا على الطريق المستقيم في فهم معنى العبادة والتفاني فيها، و يُرزقنا حلاوة العبادة من جهة. ويضمن لنا استمرار المدد الإلهي وتعميقه وتوسيعه من جهة ثانية .لكن الأخذ بمقولة المؤلف وأمثاله يعني الانحراف عن معنى العبادة، وقطع المدد الإيماني الصحيح، والوقوع في الأهواء والشطحات من جهة ثالثة.

فمقولة هؤلاء ليست مقولة من يعبد الله تعالى استجابة له عندما أمرنا أن نعبده وفق شريعته، وإنما هي مقولة من يعبد الله كما يريد هو من الله طلبا لرغباته منه، بمعنى آخر أنه يعبد الله على هواه. فشتان بين العبادتين !!!!. فدلّ هذا على أن مقولة هؤلاء ليست شرعية، ولا هي صحيحة شرعا ولا عقلا. ومن يقول بها فهو في الحقيقة يعبد هواه لا يعبد خالقه، ويكون قد ارتد عن عبادة ربه سواء قصد ذلك أو لم يقصده !!.

والموقف الثالث مضمونه أن المؤلف ألحق الديانة المسيحية بالأديان التوحيدية ، وذكر أنها تفتقد إلى الشريعة[1]. وأقول: ليس صحيحا أن المسيحية التي بين أيدينا هي ديانة توحيدية وسماوية، ومن يقول بذلك فهو يتعمد إنكار حقيقة هذه الديانة، ويُخالف ما يقٌرره العقل في موقفه منها . لأن الثابت قطعا أنها ديانة تثليثية تقول صراحة بثلاثة آلهة متساوية الأقانيم، فهي تعتقد ب: ((الإيمان بإله واحد: أب واحد، ضابط الكل، خالق السماوات والأرض، كل ما يرى وما لا يرى. وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر، ومن أجل خطايانا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء تأنس، وصلب عنا على عهد بيلاطس، وتألم وقُبِر، وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب، وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، ولا فناء لملكه. والإيمان بالروح القدس، الرب المحيي المنبثق من الأب، الذي هو الابن يسجد له، ويمجده الناطق بالأنبياء))[2].

وبما أن الأمر كذلك فلا يُمكن أن تكون ثلاثة ذوات تساوي ذاتا واحدة ،ولا واحدة تساوي ثلاثة . ومن يدعي أن هذا توحيد، فعلى التوحيد السلام ، وتكون كل الأديان توحيدية مهما تعددت آلتها ، خاصة إذا كانت تقول بوجود كبير الآلهة ومعه آلهة صغري تعاونه ، فهذا " توحيد" أكثر وضوحا من " التوحيد المزعوم" الذي تكون آلهته متساوية الدرجة من جهة ألوهيتها !!!!. و بهذا المفهوم الفاسد لمعنى التوحيد تضيع حقيقة التوحيد ،و تصبح كل الأديان توحيدية. وهذا بلا شك زعم باطل جملة وتفصيلا، جرّنا إليه إلحاق المؤلف الديانة " المسيحية" بالأديان التوحيدية.

و أما قوله بأن المسيحية تفتقد إلى الشريعة ، فهذا الموضوع سبق أن تناولناه فلا نتوسع فيه هنا.علما بأن الحقيقة التي قررها القرآن الكريم هي دعوة عيسى- عليه السلام- لم تكن دعوة مُستقلة عن اليهودية،وإنما كانت امتدادا لشريعة التوراة ،قال تعالى:(وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ)(آل عمران : 50). والشاهد على هذا أيضا أن النصرانية اليوم تقوم على التوراة والأناجيل ،وليس على الأناجيل فقط، فهي تقوم على العهدين القديم والجديد .وعليه لا يصح القول بأن النصرانية لم تكن لها شريعة.

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 37-38.
[2] محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ص : 98 .

والموقف الرابع مفاده أن المؤلف قال: ((إنّ الأنبياء حصلوا على كمالات في عالم المعنى ثم انكشف لهم طريق العبادات، وبعد ذلك قالوا لنا أن نتحرك من موقع امتثال وإتيان هذه العبادات لنصل إلى تلك الكمالات، فالعبادات معلولة- نتيجة- لكمالات الأنبياء ولكنها بالنسبة لنا علة الكمالات))[1].

وقوله هذا نموذج للتعمية والتغليط، وعدم تحديد العبارات المقصودة بدقة ووضوح . لأن الأنبياء لم يتحصلوا على كمالاتهم من أنفسهم وإنما من عند الله تعالى عندما أكرمهم بالنبوة ، ثم كلفهم بالقيام بتبليغ رسالة الله إلى البشر. و كمالاتهم لم تحدث دفعة واحدة، وإنما حدثت بالتدرج بناءً على الأوامر والنواهي الإلهية، منها القيام بالعبادات، التي أُمروا بها كما أُمر بها المؤمنون، ولم تنكشف لهم نتيجة كمالاتهم كما زعم الرجل. والدليل ذلك أن نبينا –عليه الصلاة والسلام- عندما نزل عليه الوحي أول مرة ، اضطرب وخاف على نفسه، وذهب إلى زوجته خائفا مرتجفا. وعندما فتر الوحي مدة قَلِق بسبب فتوره ، فكان الوحي ينزل عليه تطمينا ،وتهدئة، وتكليفا. من ذلك قوله سبحانه:((الله تعالى عليه وحيه بقوله:((،، ثم بعدها بدأت الأوامر بالدعوة و التزام العبادات. منها قوله تعالى:((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ،قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً ،نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (المزّمّل :1- 3))،و((ُنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ...(المزّمّل : 20) ،و(مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى)(الضحى : 3) فواضح من ذلك أن كلام الرجل غير صحيح، لأن أصل نبوة الأنبياء ليست الكمالات التي بنى عليها الرجل كلامه، وإنما أصله تكليم الله لهم وتكليفهم بالرسالة .

وليس صحيحا أن الأنبياء بعدما انكشفت لهم العبادات ((قالوا لنا أن نتحرك من موقع امتثال وإتيان هذه العبادات لنصل إلى تلك الكمالات...)). فهذا لا يصح لأن الأنبياء هم أول المؤمنين والعابدين ،و ليسوا هم الذين أمرونا بامتثال تلك العبادات لنصل إلى كمالاتهم كما زعم الرجل، وإنما الله تعالى هو الذي أمر الجميع بالالتزام بدينه لكي يرضى عليهم، و يرزقهم الإيمان والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة. وهذا واضح من قوله تعالى: ((((إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 145.

الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ...(المزّمّل : 20).فالجميع خاضع لدين الله تعالى ومأمور به، والأنبياء هم أول المسلمين والمؤمنين والعابدين، قال سبحانه : (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162)،و(لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الأنعام : 163) .فواضح من كل ذلك أن المؤلف لا يتكلم بعلم، وإنما يتكلم من دون علم انطلاقا من ظنونه ورغباته ومذهبيته الفاسدة.

ثم أنه قال: ((ونحن بوصفنا من أتباع النبيين نحتاج إلى هذه التجارب بشدّة، لأنّ أحد معاني اتباع النبي، المشاركة في تجاربه ... مثلاً حرمة شرب الخمر، حيث نرى هذا الحكم في جميع الأديان أيضاً، وحتى في البوذية نجد حرمة شرب الخمر. فكل هؤلاء العظماء أدركوا أنّ شرب الخمر يمثّل مانعاً للتجارب الروحية السامية في حركة الإنسان في آفاق المعنى))[1].

و قوله هذا فيه حق وباطل، وتغليط وتلبيس. لأنه لاشك أن الأنبياء وكثير من الناس يعرفون خطر الخمر على الإنسان، لكن قوله: ((فكل هؤلاء العظماء أدركوا أنّ شرب الخمر يمثّل مانعاً للتجارب الروحية السامية في حركة الإنسان في آفاق المعنى)) يحتمل معنيين: الأول هو أن الأنبياء هم الذين حرموا شرب الخمر بعدما رأوه مانعا للتجارب الروحية السامية. وهذا هو المعنى الظاهر من كلامه . والثاني هو أن هؤلاء الأنبياء حرموا الخمر انطلاقا من الدين الذي جاؤوا به. وهذا المعنى ضعيف لا يكاد يظهر من قول الرجل. لكن الصحيح أنه كان على المؤلف أن يكون واضحا في كلامه، وينص صراحة على أن الله تعالى هو الذي حرم الخمر ، وليس الأنبياء هم الذين حرموه لما رأوه مانعا لتجاربهم الروحية.

والشاهد على ذلك أيضا هو أن تحريم الخمر في الإسلام تأخر إلى العهد المدني، بعدما كانت التجربة النبوية قد اتسعت وترسخت، وكانت تجارب الصحابة الإيمانية قد ثبتت وتعمقت، وأثمرت الإيمان والعمل الصالح. ومع ذلك لم يُحرمه النبي-عليه الصلاة والسلام- حتى تولى الوحي تحريمه على ثلاث مراحل كما هو معروف. قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 145.

قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (البقرة : 219)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)(النساء: 43)،و(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(المائدة : 90). فلماذا سلك هذا الرجل ذلك المسلك ولم يكن صريحا في كلامه ؟؟!!.

ومن ذلك أيضا قوله : ((بالنسبة لحقوق المرأة وحقوق الرجل، الإرث، الديات، القصاص، وجميع المنظومة السياسية وما يتعلق بالسلطة والحكومة، الأحكام الاجتماعية، البيع والشراء، الزواج والطلاق، وغير ذلك من أبواب الفقه فإنّ النبي كان ينطلق في بيان هذه الأحكام من موقع ثقافة عصره فيما كانوا يرونه ويفهمونه من طبيعة العدالة والظلم، فمفهوم العدل والجور هو مفهوم تاريخي معاصر وزمني تماماً)) [1].

وكلامه هذا باطل جملة وتفصيلا ، وفيه تحريف و تلبيس، وكذب على الله ورسوله وتكذيب لهما. لأن الثابت قطعا أن النبي- عليه الصلاة والسلام- يبين للمسلمين حكم الله تعالى،ويُطبق ما أنزله عليه، ولم يكن ذلك أبدا انطلاقا من ثقافة عصره ومفاهيمه. و إنما طبق ما أمره الله تعالى به، وكانت أحكامه سبحانه أحكاما إلهية تُمثل الحق والعدل المُطلقين الصالحين لكل زمان ومكان. ولهذا قال الله تعالى لنبيه- عليه الصلاة والسلام- : (ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)،و(فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَـكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)(المائدة : 48)،و(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الأنعام : 153). فالأحكام الإسلامية لم تكن نتاجا للظروف التي ظهرت فيها ،وإنما كانت تشريعا ربانيا لتغييرها وفق شريعة الإسلام.

والموقف الخامس مؤداه أن المؤلف بعدما أورد قولا لمحمد إقبال يتعلق بالاجتهاد في فروع الدين ، علّق عليه بقوله : ((وهكذا نرى أنّ إقبال يرى هذا الرأي في باب الاجتهاد في الفروع مع أنّ وحدة الأمّة الإسلامية الشكلية

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 147 .

أمر مطلوب أساساً في نظر إقبال حيث يعتقد أنّه لا ينبغي إهمال أي حكم من أحكام الدين في صورة عدم وجود ضرورة ملزمة ،ولابدّ من الاجتهاد في هذه الأحكام في صورة وجود ضرورة على مستوى العمل والتطبيق. وشرط الاجتهاد هو أن ننظر إلى سنة النبي من خلال ما تمثّله من نموذج ومثال لا أكثر، وهكذا يتبيّن معنى خاتمية النبوة في إطار المفاهيم الإسلامية حيث يرفع التعارض بين قضايا الدين والعقل ويتحرك الدين لتطبيق وتطويع نفسه مع مقتضيات العصر والظروف الجديدة))[1].

وأقول: قوله تضمن أخطاء فادحة، وانحرافا واضحا عن الإسلام فيما يتعلق بالقضايا التي تناولها. لأنه أولا إن شرط الاجتهاد ليس محصورا فيما ذكره الرجل، وإنما يتمثل الاجتهاد أولا في فهم وتدبر النصوص الشرعية فهما صحيحا لاستخراج معانيها ودُررها، وتطبيق أوامرها ومقتضياتها في كل مجالات الحياة. قال سبحانه : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)(محمد: 24)،و(كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ)(ص : 29). و يتمثل ثانيا في الاجتهاد لاستنباط الأحكام من الكتاب والسنة لإيجاد الحلول الشرعية المُستجدة في حياتنا اليومية.
ويتمثل ثالثا في الاجتهاد لاستخراج النماذج المتنوعة من الكتاب والسنة لنعتبر بها، وتكون قدوة وعبرة وعِظة لنا، لأن العاقل من يتعظ بغيره. قال سبحانه: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...)(الممتحنة : 4)،و(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(يوسف : 111)،و(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً (الأحزاب : 21). وعليه فليس صحيحا أنه علينا أن نجتهد للنظر في السنة النبوية لتكون لنا نموذجا لا أكثر !!
وثانيا إن قوله: ((وهكذا يتبيّن معنى خاتمية النبوة في إطار المفاهيم الإسلامية حيث يرفع التعارض بين قضايا الدين والعقل ويتحرك الدين لتطبيق وتطويع نفسه مع مقتضيات العصر والظروف الجديدة)). فهو ليس صحيحا ، لأن دين الإسلام لا يوجد فيه أصلا تعارض بين قضايا الدين

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 159-160.

والعقل، وهذا أمر سبق أن ناقشناه وبيناه فلا نعيده هنا. ولا يصح القول بأن الإسلام يُطوّع نفسه مع مقتضيات العصر وظروفه الجديدة.لأن الإسلام دين إلهي رباني جاء للبشرية جمعاء ليُخرجها من جاهلياتها إلى عبادة الله الواحد الأحد وفق شرعه الحنيف. فهو جاء ليُغير الواقع وليس ليتغير مع الواقع ويُطاوعه كما زعم الرجل. كما أن الواقع الذي يعيشه البشر ليس حجة على دين الله تعالى، وإنما هو الحجة عليه. ودين الله تعالى لا يتعارض مع العقل الصريح، ولا مع العلم الصحيح، ولا مع التطور الحضاري النافع، بل العكس إنه يشجع على ذلك ، و يحث عليه ويحتويه. وعليه فإن الإسلام يتعامل ويتفاعل مع الظروف الجديدة ليُصلحها ، و يرشدها، و يُخلصها من أمراضها ، و يُنمي إيجابياتها ، لكنه لا ينصاع لها، ولا يُطاوعها ليصبح أسيرا وتابعا لها. لأن هذا يتناقض تماما مع رسالة الإسلام التي جاء من أجلها، وهي في صميمها تعبيد العباد لربهم وفق ما شرّعه ليهم.

وأما الموقف السادس فمضمونه أن المؤلف قال: ((فالمتكلّمون لم يقصدوا خيانة الدين وصبّه في قوالب ذهنية، بل عملوا على عقلنة تعاليم النبي فيما يخص العقيدة ... فالمتكلّمون جاءوا وأثبتوا كلام الأنبياء بالدليل والبرهان، أي أنّهم شيدوا نظاماً عقلانياً بشرياً ومستقلاً عن الوحي من هذه التعاليم ... ومن هذه الجهة فإنّ المتكلّمين قد خدموا الدين لأنّهم عملوا على برهنة الكلام الخطابي وغير المبرهن للأنبياء، وأوجدوا له رصيداً عقلياً فيما أودعوه من خزين استدلالي ومنطقي، ولكن من الطبيعي أن تكون لهذه الخدمة عواقب سلبية أيضاً، ومنها سلب الطبيعة الروحانية من الخطاب الديني ، وبذلك ابتعدت الشخصية النبوية عن هذه التعاليم إلى الظل، ووصل كلام الأنبياء إلى رتبة العقول البشرية ودخل في دائرة السؤال والجواب))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تغليط وتلبيس على القراء. لأنه أولا إن معظم علم الكلام الذي أنتجه المتكلمون خلال العصر الإسلام، لم يكن عقلانيا إلا في بعض جوانبه، لأن العقلانية ليست هي استخدام العقل في التنظير والبرهنة، والجدال والسفسطة، و نقض أدلة الخصوم.فهذا أمر يستخدمه كل أهل العلم في تخصصاتهم دون استثناء، ولا يُمكن أن يوجد

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 171.

علم ليس فيه ذلك. وإنما العقلانية هي الاحتكام إلى العقل الصريح- البديهي، الفطري- و الالتزام بأحكامه حتى وإن كانت نتائجه قد تضر بمصالحنا.
وبناء على ذلك فإن معظم علم الكلام الذي أنتجه المسلمون لم يكن عقلانيا ،وإنما كان علما مذهبيا مُنظرا بطريقة عقلية انطلاقا من خلفياته المذهبية، فكان العقل هنا وسيلة للعرض والبرهنة، ولم يكن-في الغالب- مصدرا للاحتكام إليه والالتزام بأحكامه. ولا يغيب عنا أن نشأة علم الكلام لم تكن نشأة بريئة ولا علمية لبيان عقائد الإسلام والدفاع عنها، وإنما نشأ انطلاقا من خلفيات سياسية ومذهبية، ومصالح دنيوية، حسب الفرق السياسية المتناحرة التي ظهرت على إثر استشهاد الخليفة عثمان بن عفان وما بعده.
ومن جهة أخرى فإن معظم تلك الفرق أقامت مذهبها الكلامي حسب خلفياتها ومصالحها، مما جعلها تستخدم التأويل الفاسد في التعامل مع النصوص الشرعية، وتقديم أهوائها ومصالحها ومذهبياته على الشرع. وهذا الذي يُعرف بتقديم العقل على الشرع، وهذا كلام مُضلل وفاسد، لأن الحقيقة هي أن تلك الفرق أقامت مذاهبها الكلامية على تقديم أهوائها وظنونها و مذهبياته على الشرع، ولم تُقمها على تقديم العقل على الشرع. لأن العقل الصريح لا يقول بذلك ولا يُقره، لأنه ليس من العقل ، ولا من الشرع، ولا من العلم تقديم العقل الصريح على الوحي الصحيح.

وثانيا ليس صحيحا قوله بأن المتكلمين عقلنوا الإسلام، إن هذا الزعم لا يصح لأمرين: الأول هو أنه ليس صحيحا أن الإسلام لم يكن مُبرهنا ، وما هو إلا خطابات غير مُبرهنة كما زعم الرجل. فهذا قول باطل، وقد بينا بطلانه بالنسبة للكتاب والسنة الصحيحة في مواضع أخرى من كتابنا هذا. و من جهة أخرى إن دين الإسلام لا يحتاج إلى عقلنة أبدا وإنما يحتاج إلى من يفهمه فهما صحيحا، و يستخرج براهينه وآياته ومناهج استدلاله الكثيرة والمتنوعة. ولا يحتاج دين الله تعالى إلى تلك العقلنة المزعومة ، لأن دين الإسلام كله علوم وحقائق (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)(البقرة : 120)،و(لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)(يونس : 94)،و(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ)(يونس : 108). والعلوم حقائق، والحقائق علوم، وهي كلها

تقوم على المنطق الفطري والعلمي. مما يعني أن دين الإسلام مُعقلن من داخله ، ولا يحتاج إلى من يُعقلنه ، لأنه قائم على العلم والحق. ولهذا لا يُوجد في دين الإسلام ما يُخالف العقول الصريحة و يُناقضها، وإنما جاء بما يتفق معها، وبما لا تدركه ولا يتناقض معها. لكن لا يُوجد فيه ما يُناقضها.

والأمر الثاني مفاده أن معظم هؤلاء المتكلمين كانوا يفتقدون إلى العقلانية الصحيحة، ولم يكن لديهم منها إلا القليل ، بسبب ما ذكرناه من انحرافات في منهجهم وتكونهم. وبما أن هذا حالهم فلم يكن في مقدورهم فهم الإسلام فهما صحيحا عقلانيا ، لأن فاقد الشيء لا يُعطيه.لذلك لما خاضوا في الدين بانحرافاتهم أضروه أكثر مما نفعوه. وهذا لا يعني أن هؤلاء لو كانوا عقلانيين سيُعقلنون الإسلام، كلا ، لأن الإسلام مُعقلن من داخله ، بمعنى أنه قائم على العلم والحق والعدل ،والمنطق الفطري. وإنما كانوا سيتعاملون معه بما يفرضه عليهم الوحي الصحيح والعقل الصريح والعلم الصحيح.

والموقف السابع مفاده أن المؤلف قال: ((وما نراه من موقف الشيعة في عدم تكفير المخالفين والمنكرين للأئمّة من أتباع سائر الفرق الإسلامية يشير إلى مدلول مهم، وهو أنّ كلام وتجربة هؤلاء الأولياء ليست بمستوى ومرتبة كلام وتجربة النبي ولا تمثّل جزءً من الأجزاء القطعية للإيمان...))[1].

وقوله هذا باطل جملة وتفصيلا، وفيه افتراء مُتعمد عن سبق إصرار وترصد. لأن الثابت قطعا في مذهب الشيعة الإمامية كالمذهب الاثنى عشري- مذهب شيعة إيران- أنه يُكفر كل من لا يُؤمن بأئمته الاثنى عشر، ولهذا بدأ بتكفير كل الصحابة تقريبا بدعوى أنهم أنكروا إمامة على بن أبي طالب. وعليه فكل من لا يُؤمن بإمامته وإمامة الباقين من أئمة المذهب الاثنى عشري فهو كافر. سواء كان من الفرق الشيعية الأخرى، أو من الخوارج، أو من المعتزلة ، أو من أهل السنة. وهذا الأمر صرحوا به في كتبهم، وهو من ضروريات مذهبهم أيضا. وهم يعتقدون بأن أئمتهم معصمون من الخطأ، فهم كالنبي ،ويعلمون ما كان وما سيكون، وكلامهم

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 179.

شرع وطاعتهم واجبة، ومن أنكر إمامة واحد منهم فهو كافر[1]. أليس هؤلاء الأئمة- بتلك الصفات هم في مقدمة الأنبياء، بل إنهم أعظم من الأنبياء؟؟!! لأن الأنبياء لا يعلمون الغيب، وهؤلاء الأئمة يعلمون الغيب. والأنبياء بالوحي ولا يعلمون الغيب، لكن أئمة الشيعة بلا وحي مباشر من جبريل لكنهم يعلمون الغيب !!. ولاشك أن المعصوم الذي يعلم الغيب من دون واسطة من جبريل، وله علم لدني، أحسن من المعصوم الذي لا يعلم الغيب وله اتصال بجبريل !!. وأليس اتصاف هؤلاء الأئمة بتلك الصفات هو نقض لمبدأ ختم النبوة في الإسلام؟؟!!.

وبناءً على ذلك فليس صحيحا ما قاله الرجل،لأن الحقيقة هي أن الإيمان بهؤلاء الأئمة هو أصل الدين عندهم، وبدونه ينهار المذهب كله. فلماذا هذا التلاعب والتغليط، والافتراء والتلبيس؟؟! فهل الرجل يجهل ذلك ،أما أنه من مظاهر ممارستة للتقية التي هي من أصول مذهب القوم كما هو معروف[2] ؟؟!!.

وأما الموقف الأخير فيتمثل في قوله: ((فالصدق ليس حسناً بذاته والكذب ليس قبيحاً بذاته، فالحسن والقبح لهذه القيم بسبب ما تثيره من مسائل ونتائج ومعطيات في حركة الحياة والإنسان، فنتيجة الصدق هي خلق علاقات سليمة وروابط متينة مع الآخرين، ونتيجة الكذب بالعكس. فأغلب الفضائل والرذائل الأخلاقية الواردة في النصوص الدينية هي من هذا القبيل))[3].
وأقول: ليس الأمر كذلك، فهذه نظرة نفعية محضة لمعنى خُلق الصدق والكذب. لأن الأصل في صفة الصدق أنه محمود بذاته، أولا ثم بنتائجه الحميدة ثانيا. وحتى عندما قد تكون له نتائج غير حميدة على بعض فاعليه في مواقف ، فإن الصدق يبقى محمودا ومطلوب فعله. ولهذا كثيرا من الصادقين يصبرون على فعله وقوله حتى وإن جلب لهم الضرر. ومنهم من يصبر ويُقاوم لكنه قد يضعف فيكذب ، لكنه يحزن ويتألم لما وقع فيه. ومنهم من ينهار بسهولة ولا يصمد، فيكذب ، لكنه مع ذلك يتأسف ويندم ولا يكون

---

[1] أنظر مثلا: الكليني: الكافي ،ج 1، 185، 187، ج2 ، ص: 492، ج 8 ص : 9 ، 11 . و المفيد : الاختصاص ، حققه علي الغفاري نشرته جماعة المدرسين بقم ، إيران ، ص: 131 . و محمد العياشي : تفسير العياشي ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، ج 2 ص: 32 . العروسي الحويزي: تفسير نور الثقلين ، ط 4 ، مؤسسة إسماعيليان ، قم ، إيران ، 1412 ، ج 6 ص: 29 . و محمد رضا المظفر: عقائد الإيمامية ، دار الإرشاد ، بيروت، 1988، ص: 89 و ما بعدها.
[2] أنظر مثلا: محمد رضا المظفر: عقائد الإيمامية ، دار الإرشاد ، بيروت، 1988، ص: 108و ما بعدها.
[3] عبد الكريم سروش: بسط التجربة ، ص: 91.

راضيا عن نفسه فيما وقع فيه من كذب. وكل هذه الحالات تشهد قطعا بأن الصدق محمود أولا لذاته ، ثم لنتائجه الحسنة في أكثر الأحيان. والكذب مذموم أولا لذاته ، ثم لنتائجه الضارة وغير المحمودة في أكثر الأحيان. ومما يدل على أن الكذب مذموم لذاته أن كثيرا من الناس قد يكسبون مصالح دنيوية بالكذب لضعف ، أو لظروف قاهرة، لكنهم غير راضين عما فعلوه، ويخفون حالهم عن الناس ليس خوفا من العقاب، وإنما حياءً ، وإحساسا منهم بأنهم فعلوا ما يتنافى مع الأخلاق الحميدة. والإنسان عندما يصدق من دون أي مكسب يفرح ويرتاح معنويا ، وعندما يكذب من دون أي مكسب يتألم ويحزن، مما يعني أن الصدق ممدوح لذاته، والكذب مذموم لذاته. حتى أن الغالب على الناس في معاملاتهم أنهم يصدقون في أحاديثهم ومعاملاتهم ، والكذب عندهم استثناءً ، فما معنى هذا؟؟. وخلاصة ذلك أن الصدق محمود لذاته أولا، والكذب مذموم لذاته أولا ، ثم لنتائجهما ثانيا.

وإنهاءً لهذا المبحث يتبين من تلك المواقف التي تبناها المؤلف، كموقفه من أسباب ظهور الفرق الإسلامية، وكون النصرانية ديانة توحيدية، وأهمية علم الكلام ، أنه أخطأ في مواقفه منها بسبب انحرافه عن منهج الاستدلال الصحيح، واحتكامه إلى ظنونه ورغباته ومذهبيته على حساب الشرع والعقل والعلم.

<u>ثانيا: من أهم الاستنتاجات والآثار:</u>

نُفرد هذا المبحث لاستخراج وإبراز أهم الآثار والاستنتاجات التي أظهرها نقدنا لكتاب بسط التجربة النبوية. منها ما يتعلق بمنهج الاستدلال عند المؤلف عبد الكريم سروش، ومنها طائفة أخرى تتعلق بخصائص فكر المؤلف وجوانب أخرى مُتفرقة منه.

فبالنسبة لمنهج الاستدلال عند المؤلف ، فقد تبين أنه انحرف عن منهج الاستدلال الصحيح انحرافا كبيرا، شمل معظم ما ذكره عن بسط التجربة النبوية. فمن ذلك أولا إنه خصص كتابه لموضوع النبوة ، وهو موضوع ديني إسلامي، لكنه لم يخض فيه انطلاقا من القرآن الكريم، والسنة الصحيحة الموافقة له، ولا من الأخبار التاريخية الصحيحة المروية عن الصحابة والمتعلقة بالمظاهر الخارجية للنبوة. وإنما خاض فيه انطلاقا من ظنونه ورغباته وخلفياته المذهبية من جهة، وجعل دين الإسلام خادما لفكره

مـن جهــة أخـرى. وهـذا مـنهج اسـتدلالي باطـل ومرفـوض، ولـيس مـن الموضوعية ولا من العلم في شيء ، فصّله الرجل على مقاسه ليُوصله إلى النتائج التي خطط لها مُسبقا عن سبق إصرار وترصد !!.

وبذلك لا يصح قول المؤلف بأنه سيتحدث عن بسط التجربة النبوية من ((موقع التحقيق الدقيق))[1]. إنـه لا يصـح لأن الرجل خـاض فـي موضـوع النبوة من دون العودة إلى مصادرها الأصلية، وهي: القرآن الكريم ، والسنة النبويـة، والروايـات التاريخيـة الصـحيحة. ولا يصـح أيضـا لأن موضـوع النبوة لا يُمكن أن يتحدث عنه من موقع التحقيق الدقيق إلا تلك المصادر ،أو نبي من الأنبياء. وبما أن النبوة قد خُتمت، وهي لا تُورّث، ولا تُكتسب، فإنـه لن يستطيع أحد أن يتحدث عنها من موقع التحقيق أبدا. ومن يخوض فيها مـن غيـر مصــادرها الصـحيحة ، فإنــه سـيخوض فيهـا بظنونـه ورغباتــه ومذهبيتـه، وهـذه بـذاتها لا تصـلح لتكـون مصـادر لموضـوع النبـوة ، ومـن الخطأ الفادح، ومن الجريمة الكبرى في حق الشرع والعقل و العلم الاعتماد عليها كمصادر لموضوع النبوة.

فواضـح مـن ذلـك أن المؤلـف لـم يكـن يمتلـك منهجـا اسـتدلاليا صـحيحا: مُنطلقــا ولا وسـيلة، ولا ممارســة فــي تحليــل الأفكــار،ولا فــي تحقيــق الأخبار،ولا في التعامل مع النصوص الشرعية بطريقة صحيحة. فانعكس هذا سلبا على المؤلف وفكره ، بكثرة الأخطاء وقلة الصواب.

وثانيا إن المؤلف لم ينظر إلى النبي محمد- عليه الصلاة والسلام- بنظرة موضوعية وعلمية ،وإنما نظر إليه بنظرة ذاتية ومذهبية وتحريفية لغاية في نفسـه . مـن ذلـك أنـه قـال: ((عندما ننظـر مـن بعيد إلـى نبـي الإسـلام بنظـرة أرضية وبشرية، نراه رجلاً مديراً، مصلحاً، مؤيداً وموفقاً إلى أبعد الحدود ...))[2]. فـأين الخطـأ هنـا؟، إنـه مـن الخطـأ النظـر إلـى النبـي- عليـه الصـلاة والسـلام- بنظـرة أرضـية بشـرية. لأن المطلـوب منـه ومـن أي باحـث عـن الحقيقـة أن ينظـر إليـه بحيـاد ، ومـن دون خلفيـات مذهبيـة قادحـة مـن جهـة ،

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ترجمة أحمد القبانجي، دار الفكر الجديد ، العراق، سلسلة ثقافة إسلامية معاصرة(13)، 2006، ص: 8.

[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ترجمة أحمد القبانجي، دار الفكر الجديد ، العراق، سلسلة ثقافة إسلامية معاصرة(13)، 2006، ص: 8.

وينظر إليه كما كان هو يتحرك في الواقع بأفكاره وسلوكياته و دعوته من جهة أخرى. وبما أن نبينا - عليه الصلاة والسلام- كان يتحرك في الواقع على أنه رسول الله وخاتم أنبيائه، لقوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)(الكهف : 110)،و(مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (الأحزاب : 40). فلا يصح لعبد الكريم سروش ولا لغيره من الباحثين، أن يصف محمدا- عليه الصلاة والسلام- بأنه كان يتحرك على أنه زعيم، أو مُصلح . فمن يقول هذا، و يصفه بذلك فقط ، فهو مُحرف للشرع والتاريخ، ومُكذب للنبي وكاذب عليه، وعلى الحقيقة. نعم إن محمدا-عليه الصلاة والسلام- كان قائدا، و مربيا، وزعيما، ومُصلحا، لكنه قبل كل هذا كان نبيا رسولا. وهو لم يقل للناس أنه زعيم أو مصلح، أو قائد عربي، وإنما قال لهم إنه النبي الخاتم . ومن يدعي أنه ينظر إليه على أنه بشر لا نبي ، فهو مُخطئ، ومُغالط ، ومُحرف للتاريخ . لأنه لا محمد دون نبوة، ولا محمد دون وحي، ولا محمد دون إسلام. إن محمدا –عليه الصلاة والسلام- لم يتحرك إلا بأمر من الله تعالى، الذي قال له : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ)(العلق : 1)،و(قُمْ فَأَنذِرْ)(المدّثر:2)،و(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة : 67)،و(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام : 162). إن حياته كانت كلها لله تعالى، فلا يوجد في حياته- بعد نبوته- قسم منها كان للدنيا، وآخر للدين والآخرة.

فمن يزعم أنه ينظر إلى محمد –عليه الصلاة والسلام- نظرة بشرية أرضية ، فهو مُخطئ، ومُحرف للتاريخ ، والمطلوب منه أن ينظر إليه نظرة حيادية علمية واقعية ، ثم يتحقق من أحواله وأخباره وأقواله، ليتأكد من حقيقة شخصية نبينا -عليه الصلاة والسلام-، وسينتهي إلى إحدى النتيجتين: إما الإيمان به على أنه نبي ، وإما إنكار نبوته جحودا وعنادا. ومن يُصر على تلك النظرة التي قال بها المؤلف، فهو إما أنه جاهل بدين الإسلام وتاريخه،وإما أنه لا يعي ما يقول ، وإما أنه صاحب هوى يتعمد الافتراء على نبينا لغاية مذهبية في نفسه!!.

ومن ذلك أيضا فقد تبين أن المؤلف في طريقة تعامله مع النصوص الشرعية، أن الأصل عنده أنه لم يكن ينطلق منها ولا يحتكم إلها، وإنما ينطلق من ظنونه ورغباته ومذهبيته العلمانية والصوفية أولا. فيُقرر أفكاره ومواقفه وشطحاته ويُدافع عنها سواء وافقت الشرع أو خالفته. ثم بعد ذلك قد يذكر نصوصا شرعية وقد لا يذكرها حسب ما يراه مناسبا له. وإذا ذكرها فكثيرا ما كان يُؤّلها تأويلا فاسدا لغاية في نفسه، وإذا كانت تتفق مع فكرته فيذكرها من دون تحريف لمعانيها لأنها توافق مواقفه. مما يعني أن المؤلف كان يستخدم النصوص الشرعية تدعيما وتعضيدا لمواقفه لا انطلاقا منها ، واحتكاما إليها، والتزاما بها !!. ولاشك أن هذا المسلك هو انحراف منهجي كبير وخطير هو الذي أورد صاحبه الموارد المهلكة، وجعل معظم مواقفه المتعلقة بموضوع النبوة غير صحيحة.

وثالثا إنه قد تبين من مواقف كثيرة للمؤلف أنه كان يُقيم أفكاره على روايات وأقوال من دون أن يُحققها ليتأكد منها : هل هي صحيحة أم لا ؟!. فلا يصح منهجيا اتخاذ مواقف بناءً على مقدمات غير صحيحة، أو مشكوك فيها ، فلابد من التأكد من صحتها أولا ، ثم الاعتماد عليها والتعامل معها بموضوعية وعلمية ثانيا. من ذلك مثلا أنه قال:((بيد أنّ التجارب الدينية والوحيانية تبقى مستمرة في دائرة الحركة المعنوية للبشرية، وقد نقل الملا صدرا رواية عجيبة في كتاب مفاتيح الغيب تتضمن مفهوماً عرفانياً سامياً حيث تقول:«إنّ لله عباداً ليسوا بأنبياء تغبطهم النبوة». يعني أنّ هؤلاء يستوحون معارف غيبية في واقعهم الباطني وربّما تكون مرتبتهم أعلى من بعض الأنبياء الإلهيين الذين ورد ذكرهم في تاريخ النبوات، ومع ذلك فإنّ هؤلاء العباد ليست لديهم رسالة خاصة وشريعة سماوية لتبليغها للناس))[1].

وقوله هذا غير صحيح ،وفيه انحراف منهجي واضح عن منهج الاستدلال الصحيح . لأنه كان على المؤلف أن لا يعتمد على تلك المقولة إلا بعد مناقشتها والتأكد من صحتها إسناد ومتنا، ولا يصح البناء عليها قبل القيام بذلك، لكن الرجل لم يفعل ذلك وأقام عليها موقفه !!. فإن كانت تلك المقولة منسوبة للنبي[2]- عليه الصلاة والسلام- فهي لا تصح، لأنها مخالفة

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 153-154.

[2] بحثت كثيرا عن تلك المقولة ، فلم أعثر لها على أثر في كتب الحديث وعلم الرجال ،ولا في مصنفات العلوم الأخرى.

للقرآن الكريم الذي نص صراحة على أن الأنبياء هم الأخيار والأصفياء من عباده، ثم يأتي بعدهم الصديقون ،والشهداء ، والصالحون. قال سبحانه: (إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(آل عمران : 33) و((وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً) (النساء : 69).

وأما إن كانت تلك المقولة منسوبة لغير النبي-عليه الصلاة والسلام-فهي تُمثل وجهة نظر صاحبها ، ولا تحمل في ذاتها دليل صدقها، ويُمكن معارضتها بمقولات أخرى. لأنها تكلمت في أمر لا يُمكنها التأكد منه، ولا أن تُقيم دليلا موضوعيا صحيحا على صحة زعمها من جهة. ولا يصح لها أن تقارن الحالة التي ذكرتها بالنبوة ، أو تساويها ،أو تفضلها عليها من جهة أخرى. هذا فضلا على أنها مقولة مخالفة للشرع فيما نصت عليه. فهذه المقولة تفتقد إلى الشرعية من جهة الاستدلال و المعنى.

وهو قد أخذ بتلك المقولة من دون تردد وبنى عليها فكرته ، وصرّح بالأمر الذي تضمنته المقولة ولم تصرّح به تصريحا واضحاً. فزعم أن العُباد الذين ذكرتهم المقولة، ربما بعضهم- بما لديهم من معرفة باطنية- تكون ((مرتبتهم أعلى من بعض الأنبياء الإلهيين الذين ورد ذكرهم في تاريخ النبوات...)). وهذا لا يصح ، لأن الولي الصالح مهما بلغ من الصلاح والتقوى ، ومهما ترقى في المراتب الإيمانية القلبية ، لن يصل إلى مرتبة النبي بأي حال من الأحوال. لأن النبوة لا تُكتسب ،ولا يتذوقها إلا النبي. ومن يدعي أنه وصل إلى مرتبة النبوة أو تجاوزها فهو مُخطئ من دون شك. إما لأنه جاهل بدين الإسلام ، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه تعمد قول ذلك لغاية في نفسه !!.

ورابعا إن من مظاهر انحراف منهج الاستدلال عند المؤلف نظرته التقزيمية لمكانة وعمليات البرهنة والاستدلال في القرآن الكريم. من ذلك أنه قال : ((ولو ألقينا نظرة على القرآن «والكتب السماوية الأخرى» فإنّنا لا نعثر على عملية برهنة واستدلال إلاّ نادراً...))[1].

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 166.

وقوله هذا لا يصدق على القرآن الكريم أبدا، ومن الخطأ الفادح القول بذلك، أو مقارنة القرآن بالكتب المقدسة الأخرى، إنه لا مجال للمقارنة بينه وبينها. علماً بأنه لا يُمكن أن ينزّل الله كتابه الخاتم و يتحدى به الإنس والجن ولا يكون يتضمن أدلة وبراهين كثيرة ومتنوعة تُثبت قطعا صدق كتابه ونبيه . ولهذا وجدنا القرآن الكريم قد وصفه الله تعالى بأنه برهان، وآيات بينات ،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)(النساء : 174)، و((وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ)(البقرة : 99)،و(وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ)(الحج : 16). ولا يُمكن أن يكون القرآن كذلك من دون أن يتضمن آيات تحمل براهين واستدلالات كثيرة ومتنوعة. وهل يُعقل أن ينزل الله تعالى كتابه الخاتم والمعجز ولا يكون يتضمن من البراهين والاستدلالات إلا القليل منها ؟؟!!. كلا وألف كلا . ولا يغيب عنا أن للقرآن منهج استدلالي شامل و متنوع من جهة، ولا يصح من جهة أخرى القول بأنه لا يتضمن عمليات برهنة أو استدلال إلا قليلا.

و الحقيقة هي أن القرآن الكريم قد تضمن منهجا استدلاليا شاملا ومتنوعا، قائما على الوحي الصحيح ، وموافقا للعقل الصريح والعلم الصحيح. وقد تضمن كتاب الله تعالى آيات كثيرة جدا احتوت استدلالات متنوعة وعديدة دحض بها شبهات ودعاوى المعارضين بطريقة قوية دامغة لا تُرد. والذين لم يأخذوا بها لا يعني أنهم ردوا عليها ونقضوها، وإنما أعرضوا عنها عجزا وتكبرا وجحودا إتباعا لأهوائهم ومصالحهم.

وقد تضمن القرآن الكريم طرقا استدلالية كثيرة من جهة، وذكر منها نماذج متنوعة وكثيرة في الرد على أصناف الكافرين به من جهة أخرى . وفيه آيات كثيرة ذكرت شبهات المعارضين وردت عليها ببراهين دامغة. منها قصة إبراهيم- عليه السلام- مع قومه فقد ناقشهم وأقام عليهم الحجة الدامغة على بطلان عقائدهم، واستدل عليهم بأدلة منطقية وبديهة ومتنوعة مُفحمة . منها ما حدث بين إبراهيم عليه السلام وقومه ، قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(البقرة:258)،و(وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ، فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ (الأنعام،فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ،فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ)(الأنعام :75- 78)،و(قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ،قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ،فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ،قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ،أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَ)(الأنبياء:59-70).

ومنها أنه سبحانه استدل على صحة نبوة نبيه وأن القرآن الذي جاء به من عند الله بما كان يعرفه قومه من حياة النبي –عليه الصلاة والسلام-.وهذا استدلال دامغ يستخدم التاريخ الصحيح لإقامة الحجة على المنكرين لنبوة محمد –عليه الصلاة والسلام-. قال تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ)(الأنعام : 33)،و(وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)(العنكبوت : 48)،و(قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)(يونس : 16).

ومنها أن الله تعالى استدل على وجوده ووحدانيته وصفاته بآيات كثيرة جدا ، منها قوله سبحانه : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ)(الطور : 36)،و(قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(الرعد : 16)،و(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)(الأنبياء:22)،و(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ

وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)(المؤمنون:91).

ومنها الاستدلال على إمكانية حدوث البعث الأخروي بالمنطق ، وبما يحدث في الطبيعة من تحولات كثيرة ومتنوعة تشمل مختلف مظاهرها. كقوله سبحانه: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)(يس : 78)،و(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)(الحج : 5).

ومنها ذكر شبهة الدهريين والرد عليها برد موجز دامغ مُفحم قوضها من أساسها وأفقدها شرعيتها الاستدلالية، وهذا يعني أنها باطلة مُنطلقاً ونتيجة. قال سبحانه : (وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ)(الجاثية: 24). وكذلك ره على المشركين في عبادتهم للأصنام ، قال سبحانه: ((إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى)(النجم : 23).

ومنها أن الله تعالى كشف فساد منهج الاستدلال عند الكفار، وبهذا يكون القرآن قد كشفهم وقوض طريقة استدلالاهم من أساسها. مما يعني أنهم يفتقدون إلى الموضوعية وسلامة المنهج ، ومن ثم بطلان معظم نتائج إستدلالاتهم . من ذلك قوله : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)(آل عمران : 71)،و(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)(البقرة : 146) . فهؤلاء غير موضوعيين في موقفهم من الإسلام ونبيه، لأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون، و يستخدمون التلبيس والتغليط

إخفاء الحقيقة، وهذا استدلال دامغ يكفي وحده لرد مزاعم الكفار في رفضهم لدين الإسلام.

ومنها الاستدلال بقياس الأولى ،والأحسن ، والأحق، و الأنفع ، والأسلم. منها قوله تعالى: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(يوسف : 39)،و(وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً)(النساء:39)،و(إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)(فصلت:40) ،وغير ذلك كثير جداً.

وبناءً على ذلك فليس صحيحا ما قاله الرجل أعلاه، ولا يصح أيضا قوله: ((أجل، قلنا إنّ متعلق الخاتمية هي الشخصية الحقوقية للنبي «يعني ولايته التشريعة» بمعنى أنّ النبي نفسه لا يرى أنّه ملزم ومكلّف بإقامة الدليل والإتيان بقرينة وشاهد، ومن هنا كان الخطاب الديني خطاباً ولائياً وليس خطاباً برهانياً))[1]. فلا يصح لأن الخطاب الشرعي ليس خطابا واحدا، وإنما هو خطاب متعدد متنوع ، فمنه خطاب موجه للمؤمنين، وآخر موجه للمشركين، وآخر موجه لأهل الكتاب، وآخر للبشرية جمعاء. فمن الحكمة أن يستخدم الشرع خطابات بطرق استدلالية متنوعة حسب موضوعها والطرف الموجهة إليه، على أن يكون كل خطاب يحمل براهنه بداخله.

ثم أن المؤلف قال: ((الجدير بالذكر أننا عندما نقول إنّ كلام الأنبياء غير مستدل، فذلك لا يعني أنّ كلامهم غير قابل للاستدلال، بل بمعنى أنّ الأنبياء أنفسهم عندما كانوا يتحركون على مستوى تعليم الناس وإرشادهم فإنّهم لا يعتمدون على الدليل والبرهان))[2].

وقوله هذا باطل جملة وتفصيلا، بدليل الشواهد الآتية: أولها إن القرآن الكريم نص صراحة على أن الله تعالى أرسل أنبياءه بالآيات و البينات والبراهين الدامغات التي أيدهم الله تعالى بها، قال تعالى: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الأحقاف : 27)،و(لَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 169.
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 170.

لَمُسْرِفُونَ)(المائدة : 32)،و(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحديد : 25)،و(فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)(القصص : 36)،و(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)(الأنعام : 83)،و(كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(آل عمران:86)،و(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)(النساء: 174).

والثاني إن القرآن الكريم نص صراحة على أن الأنبياء كانت لهم مناظرات ومجادلات كثيرة مع أقوامهم، قال تعالى: (قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتَنِا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)(هود : 32)،و(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)(النحل:125)،و(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)(العنكبوت: 46). ولا يُمكن أن يحدث جدال من دون برهنة واستدلال، مما يعني أن الأنبياء كانوا قمة في الجدال الحسن والبرهنة الصحيحة الدامغة القائمة على العقل الفطري والشواهد المحسوسة. ومن الأمثلة على ذلك، قول إبراهيم عليه السلام: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً،إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً)(مريم:41-42)،و(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(البقرة: 258)،و قول يوسف – عليه السلام-: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(يوسف : 39).

والشاهد الثالث- الأخير- مفاده أن النبي- عليه الصلاة والسلام- كان يستخدم مختلف البراهين والاستدلالات في دعوته ، وجداله مع المشركين، وأهل الكتاب،ومع المسلمين. وكانت استدلالاته تقوم على البديهة، والفطرة، والبراهين الدامغة . بعضها أمره الله تعالى باستخدامها من القرآن كقوله تعالى: ((قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)(يونس : 35)،و ((قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)(الرعد : 16)، و(أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (الأنبياء : 24)،و((أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (الأنبياء : 24).

وبعضها من سنته ، منها أن ((رجلا أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود . فقال :هل لك من إبل؟، قال: نعم .قال: ما ألوانها؟، قال: حُمر .قال: هل فيها من أورق؟، قال: نعم ، قال: فأنى ذلك ؟،قال:لعله نزعه عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزعه))[1]. وهذا استدلال علمي رائع ودامغ أقامه رسول الله-عليه الصلاة والسلام- على المشاهدة والملموس ، ولم يقمه على الاستدلال النظري المجرد.

ومنها أن ((فتى شابا أتى النبي -صلى الله عليه و سلم- فقال :يا رسول الله ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه ،وقالوا: مه، مه. فقال: أدنه ، فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك ؟،قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أفتحبه لابنتك؟، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال أفتحبه لأختك ؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال أفتحبه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداءك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه

[1] البخاري: الصحيح ، ج7 ص:35، رقم: 3505.

،وحصن فرجه. فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء))[1]. وهذا نموذج رائع من الاستدلال الذي مارسه النبي-عليه الصلاة والسلام- ، فهو أُنموذج حوراي استدلالي، يُناسب حال السائل، انتهى في النهاية إلى تحقيق الهدف، بعدما اقتنع ذلك الفتى السائل.

ومنها أن النبي-عليه الصلاة والسلام- في غزوة بدر أرسل بعض أصحابه يجمعون له أخبار جيش قريش ((فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما: «أخبراني عن جيش قريش» فقالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كم القوم؟» قالا: كثير، قال: «ما عدتهم؟» قالا: لا ندري، قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: «كم ينحرون كل يوم؟» قالا: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «القوم ما بين التسعمائة والألف»))[2].واضح من هذه الحادثة أن النبي-عليه الصلاة والسلام- تمكن من معرفة عدد القوم التقريبي باستخدام الاستدلال الإحصائي بطريقة علمية ذكية.
وبذلك يتبين جليا أن المؤلف أخطأ خطأ فاحشا عندما زعم أن عمليات البرهنة والاستدلال قليلة في القرآن الكريم، وأن كلام الأنبياء لم يكن قائما على البرهنة والاستدلال. فهذا موقف لا يصح، وهو من أسباب انحراف الرجل عن منهج الاستدلال الصحيح.

وخامسا إن من خصائص منهج الفهم والاستدلال عند المؤلف أنه زعم أن مضامين القرآن ليس لها ذاتية تتميز بها. بمعنى أنها ليست هي التي تفرض نفسها على القراء، وإنما القراء هم الذين يحددون معانيها ومقاصدها حسب خلفياتهم المذهبية من جهة، و مع ذلك فإن تلك المضامين تقبل كل القراءات و تتسع لها من جهة أخرى!!. فمن ذلك أنه قال: ((أننا عندما ننظر إلى الأمور من زاوية ابيستمولوجية نكون في مقام الإثبات (يعني فهم ومعرفة الموضوع) لا في مقام الثبوت ونفس الأمر. بمعنى أنّ ما نقوله هو في الواقع يمثّل رأينا ونظرنا عن الموضوع، وعندما نقول إنّ الأمر الفلاني من ضروريات الدين أو ليس من ضروريات الدين، فمعناه بأنّ العلماء

[1] الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 1 ص: 369، رقم: 370.
[2] ابن كثير ك السيرة النبوية، ج 2 ص: 397.

تصوروا هذا المعنى، أو أنني تصورت بأنّ الأمر الفلاني ضروري من الدين أو ليس بضروري، وقد ذكرت هذه الملاحظة في مقدمة كتاب (القبض والبسط) فلا يمكننا قياس فهمنا عن القرآن مع القرآن نفسه، بل إننا نقارن ونقيس رؤية معينة وقراءة خاصة عن القرآن برؤية وقراءة أخرى عن القرآن أيضاً، فجميع الأفهام تستند في رؤيتها وفهمها إلى القرآن...))[1].

وأقول: قوله هذا فيه تلبيس وتغليط، وفيه انحراف منهجي كبير عن المنهج الصحيح لفهم القرآن الكريم، وهذا المنهج الذي اتبعه الرجل هو الذي أورده المهالك، وأفسد عليه فكره ومواقفه. وتفصيل ذلك هو أن قوله: ((بمعنى أنّ ما نقوله هو في الواقع يمثّل رأينا ونظرنا عن الموضوع)). لا يصدق إلا على بعض الآيات القرآنية التي تحتمل أكثر من معنى، وتحتاج إلى اجتهاد لفهمهما . لكنها مع ذلك لا تقبل كل الآراء ، وإنما تقبل الآراء والاجتهادات التي تناسبها ولا تناقضها ، ولا تتناقض مع باقي مضامين القرآن الكريم. فحتى هذا النوع من الآيات له مُحكمات عامة يندرج فيها ، و تتحكم فيه أيضا .

ومن جهة أخرى فقوله لا يصدق على محكمات وواضحات وبينات القرآن الكريم، التي هي واضحة بنفسها، أو مُفسرة بالقرآن نفسه. فهذه الآيات لا يصح الاختلاف فيها، ولا أن يكون فهمها راجعا لوجهات النظر. وإنما يجب أن تتفق حولها كل الآراء، ومن يُخالفها فهو إما أنه جاهل بدين الإسلام . وإما أنه لا يعي ما يقول. وإما أنه صاحب هوى خالف محكمات القرآن لغاية في نفسه، ومن ثم فهو من مرضى القلوب الذين يتبعون التأويل الفاسد المذكورين في قوله تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ)(آل عمران : 7) . ولا يصح أن توجد آراء شخصية مع محكمات الشرع وبديهياته، فمن يُخالفها فهو لا يتكلم عن دين الإسلام كما هو في ذاته ، وإنما يتكلم عن ما يريده هو من الإسلام حسب رغباته ومذهبيته. وهذا منهج باطل شرعا وعقلا وعلما ، لأنه لا يُعبر عن حقيقة الإسلام ومواقفه، وإنما يُعبر عن آراء صاحبه التي يريد أن يفرضها على دين الإسلام.

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 199 .

علماً بأن الذي يُبين أصول الدين من فروعه ليس هو الدارس للقرآن وإنما القرآن بنفسه يُبينها أولا ، ثم يأتي الدارس يُبرزها، ويعلق عليها. ولا يحق له أن يتدخل فيه أو يُحمله ما لا يحتمل، أو يُدخل فيه أمرا من أصول الدين وهو ليس منه. بمعنى أنه يجعله أصلا منه من دون دليل صحيح. فليست الآراء الشخصية هي التي تُحدد ضروريات وأصول الدين من فروعه، وإنما الدين بنفسه هو الذي يُحددها، كقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)(الحجرات : 15). ولا قيمة ولا اعتبار للآراء التي تخالف القرآن ، ولا يصح أن يُعترف بها على أنها وجهات نظر لها قيمة علمية، وإنما هي وجهات نظر خاطئة وليست بريئة، لها خلفيات مذهبية مغرضة، ويجب أن تُرد ويكشف زيفها.

وأما قوله: ((فلا يمكننا قياس فهمنا عن القرآن مع القرآن نفسه، بل إننا نقارن ونقيس رؤية معينة وقراءة خاصة عن القرآن برؤية وقراءة أخرى عن القرآن أيضاً...)).فهذا قول باطل جملة وتفصيلا، وفيه تغليط وتلبيس على القراء، وانحراف منهجي كبير عن الاستدلال الصحيح. لأن المطلوب شرعا، وعقلا، وعلما أن نأخذ فهمنا مباشرة من القرآن ونحتكم إليه لمعرفة مدى فهمنا الصحيح له. علماً بأن القرآن الكريم كله مُحكم بيّن واضح من داخله، يُفسر نفسه بنفسه. وعليه فلا يصح مخالفة القرآن بدعوى أن بعض آياته غير مُحكمة وتحتمل أكثر من معنى. فيجب على كل من يريد أن يفهم القرآن فهما علميا صحيحا لا فهما تحريفيا ولا مغرضا ، أن يأخذ فهمه منه مباشرة دون خلفيات مناقضة له ، ثم يعرضها على القرآن نفسه ليتأكد من صحتها. ولا بأس أن يقيس فهمه مع فهوم الآخرين بعد ذلك، لمزيد من الاطلاع وإثراء الموضوع . لكن يبقى الأصل هو الأخذ المباشر من القرآن والعودة إليه للتأكد من صواب فهمنا. لكن هذا الرجل قلب الأمر لغاية مذهبية في نفسه ظهرت جليا في كتابه بسط تجربة النبوة وقد ذكرنا منها نماذج تحريفية كثيرة جدا. أثبتت أنه لم يكن موضوعيا ولا حياديا في تناوله لذلك الموضوع، وإنما كان مُتعصبا للباطل، مُتبعا لظنونه ورغباته ومذهبيته !!.

وأما قوله: ((فجميع الأفهام تستند في رؤيتها وفهمها إلى القرآن...))[1]. فهو لا يصدق على كل الفهوم، وإنما يصدق فقط على الآراء والأفهام التي

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 199 .

تتبع المنهج الصحيح في فهم القرآن الكريم ،ولا تصدق على التي تخالفه ،وتتسلط عليه بخلفيات ومناهج فاسدة. لأن الذي يُخالف محكمات وأصول وبديهيات وواضحات القرآن لا يُمكن أن يكون في ذلك معتمدا على القرآن ، وإنما هو معتمد على رغباته ومذهبيته المنحرفة عن منهج الفهم الصحيح. وعليه فلا يصح نسبة آراء من يفعل ذلك إلى القرآن ،ولا يُمكن أن تكون مُستندة إليه. ومن الجريمة في حق الشرع والعقل والعلم نسبة آراء المحرفين إلى القرآن الكريم . فلا يُنسب إلى كتاب الله إلا الأحكام والمعطيات التي أُخذت منه مباشرة، والتي تتفق معه ولا تناقضه.

وأُشير هنا إلى أنه على الذي يُريد أن يدرس القرآن الكريم دراسة علمية صحيحة تُعبر عن حقيقة مضمونه، ولا تُعبر عن رغبات ومذهبية الدارس، عليه أولا أن لا يدرسه بخلفيات ومناهج مخالفة للقرآن . ثم ثانيا عليه أن يترك القرآن هو الذي يعبر عن نفسه بنفسه، ويشرح ذاته بذاته. وما على الدارس إلا التلقي والفهم الصحيح، واستخراج حِكمه ومقتضياته،و سننه وأحكامه.

لكن هذا الرجل لم يلتزم بذلك المنهج في فهم القرآن الكريم ،وذكر صراحة أنه سيدرسه بخلفياته ومذهبيته. وهذا لا يصح، لأنه انحراف مُتعمد عن المنهج الصحيح لدراسة القرآن. وعليه فإن أي دارس يدرس القرآن بخلفيات ومناهج مخالفة له ، فهي دراسة محكوم عليها بالفشل الذريع مُسبقا.

ومن يطبق ذلك المنهج المنحرف في فهمه للقرآن ، فهو في الحقيقة لا يُريد أن يعرف حقيقة مضمون القرآن الكريم، وإنما يريد أن يفرض عليه ما ليس منه، وأن يدرسه برغباته ومذهبيته، لكي يُقَوِّله ما لم يقل، ويفرض عليه ما ليس منه!!. ودراسة هذا حالها فهي ليست من الموضوعية ولا من المنهج العلمي في شيء. و ستكون بلا شك كثيرة الأخطاء والانحرافات ، ومخالفة لأصول الإسلام وفروعه ،و ليس فيها من الصواب إلا القليل. وهذا قد تم التأكد منه وإثباته بعشرات النماذج عندما ناقشنا الباحث عبد الكريم سروش في أفكاره التي تضمنها كتابه تبسيط تجربة النبوة، وتبين منها أن معظم أفكاره ومواقفه كانت غير صحيحة .

ومن انحرافاته المتعلقة بمنهج فهم القرآن أنه قال: ((والسّر في ذلك أنّ القرآن بنفسه لا ينطق، فنحن الذين ننطق عنه. ونتحدث بلسانه. ولذلك عندما يقال أنّ الرأي الفلاني مخالف للقرآن، فمعناه الحقيقي أن الرأي الفلاني مخالف لرأي آخر في هذا المجال، وهو الذي يراه المتكلّم صائباً وغيره

باطل. نحن نسبح جميعاً في بحر الآراء والتفاسير وعندما نبدع رأياً جديداً ونريد حذف الآراء الباطلة في تصورنا فسوف نتوغل أكثر في أمواج هذا البحر))[1].

وقوله هذا باطل ومردود عليه، وفيه تغليط وتلبيس على القراء. لأن التعبير عن المواقف والآراء وبيانها لا يتم بطريقة واحدة ، فقد يتم بالنطق وبدونه ، كأن نعبر عنها بالكتابة ، أو بالإشارة. فيستطيع أحدنا أن يُعبر عن أفكاره بكتابة مقال من دون أن ينطق حرفا واحدا ،ويقرأ كتابا دون أن ينطق حرفا أيضا. فماذا يعني هذا ؟!. إنه يعني أن النطق ليس ضروريا للتعبير عن الآراء والمواقف من جهة ، وأن النطق ما هو إلا وسيلة من وسائل التعبير عن أفكارنا من جهة أخرى. مما يعني أن الأفكار المكتوبة هي ناطقة بنفسها كتابيا لا صوتيا، ولا تحتاج إلى النطق الصوتي لكي تُعبر عن نفسها .وعليه فإن القرآن الكريم يُعبر عن كلام الله تعالى بحروف مكتوبة لا بأصوات منطوقة. ونحن عندما نقرأه قد نقرأه بصوت أو بدونه. وهذا يعني أن القرآن ناطق بنفسه كتابيا لا صوتيا، وأنه يحمل كلاما واضحا مفهوما ، ولا يحتاج إلى من ينطبق به لكي يصبح مفهوماً.

وليس صحيحا أننا نحن الذين ننطق عن القرآن ، فهذا تلاعب وسفسطة و تدليس، لأن الحقيقة هي أننا ننطق بالقرآن لا عنه، لأن القرآن ناطق بذاته كتابيا لا صوتيا ، فأتينا نحن ونطقنا به صوتيا بعدما تكلم الله به، وقد نقرأه بلا صوت. ونحن تحدثنا به بلساننا ، وليس أننا تحدثنا بلسانه. فهذا زعم باطل ، لأن الذي تكلم بالقرآن هو الله تعالى، و ليس نحن !!!!. فعندما نقرأ كتابا لمؤلف ما فلسنا نحن الذين ننطق عنه ،ولا نتحدث بلسانه، وإنما نقرأ كلامه ،و قد ننقله إلى غيرنا. ولا يُمكن أن ننطق عنه، ولا أن نتحدث بلسانه، لأن مؤلفه هو الذي جعل كتابه ناطقا عندما دون فكره فيه. وعليه فالمكتوب ناطق لأنه عبّر به صاحبه عن أفكاره، ولم يكن في حاجة إلى التعبير عنها بالنطق الصوتي.

وأُشير هنا إلى أن قول الرجل: ((فنحن الذين ننطق عنه)) يحتمل معنيين باطلين: الأول هو أننا نحن الذين ننطق عن القرآن، بمعنى أننا نحن الذين نُعبر عن ما يريده القرآن . وهذا لا يصح لأننا نحن ننطق بالقرآن بعدما تكلم به الله تعالى أولا. فنحن نقرأه لا ننطق عنه. والثاني يعني أننا نحن الذين نعبر عن معاني القرآن وغاياته!!. بمعنى أن القرآن غير قادر على التعبير

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 199 .

بدقة وإحكام عن مضامينه ومقاصده بنفسه. فنأتي نحن ونعبر عنها بآراء كثيرة ومتنوعة، حسب اتجاهاتنا ورغباتنا وفهومنا. وهذا زعم باطل من دون شك، لأن الذي يُعبر عن أفكار الكتاب هو مؤلفه، وليس الذين يقرؤونه. وحتى إذا تمكن القراء من أن يستخرجوا أفكارا قد لا تتفق مع الفكرة الأساسية للكتاب، فهذا لا يُغير الموضوع الأساسي الذي يقوم عليه الكتاب. ويكون ذلك خطأ من الكاتب، أو عن قصد منه، أو تأويلا فاسدا من القارئ. ويُمكن ضبط تلك الأفكار وتحديد معناها الصحيح بإرجاعها إلى أصولها المحكمة في الكتاب أولا، وتفسيرها حسب سياقها ثانياً .وبعرضها على توجهات ومذهبية مؤلفها ثالثا. وحتى إذا فرضنا جدلا أن قارئاً تمكن من التصرف في بعض أفكار ذلك الكتاب فإنه لن يستطيع أن يفعل ذلك مع محكماته و أفكاره الأخرى.

وبما أن ذلك لا يُمكن أن يحدث مع كتب البشر، فإنه بلا شك لن يحث مع كتاب الله تعالى.لأن القرآن الكريم يُمثل كلام الله المعجز، الذي وصفه الله تعالى بأنه كتاب حكيم عزيز، مُحكم بيّنُ، لا يأتيه الباطل أبدا. قال سبحانه: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ)(يونس : 1)،و(ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (آل عمران : 58)،و(لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (فصلت : 42)،و(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (فصلت : 41) .

وعليه لن يستطيع أحد أن يتدخل في توجيه معاني القرآن حسب أهوائه، وإخراجها من محكماتها وأصولها، ومعانيها البينة المُحكمة.لأن القرآن فيه آيات محكمات هن أم الكتاب، وأُخر مُتشابها كآيات منفردة تحتمل أكثر من معنى لكنها ليست متناقضة، وهي مُحكمة بالقرآن كله ، لأن القرآن يُفسر نفسه بنفسه من جهة. وهو من جهة أخرى آياته مُحكمة، وُمفصلة، ومُبينة، لقوله تعالى: (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)(هود: 1)،و(لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت : 42)،و(وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ)(البقرة : 99) . وعليه فلا يُوجد في القرآن آية ليست مُحكمة.
وإذا قيل: أليس من المعروف قديما وحديثا أن كثيرا من الفرق أوّلت آيات قرآنية كثيرة ووظفتها لخدمة مذاهبها؟؟!!. فأقول: نعم حدث ذلك ،وما يزال يحدث الآن . لكن هذا لا يطعن في القرآن أبدا، وإنما يطعن في المؤولين الذين استخدموا التأويل الفاسد في تعاملهم مع القرآن خِدمةً لمذاهبهم

ومصالحهم. وفعلهم هذا لم ولن يُؤثر في القرآن أبدا ، وإنما أثر في تلك الفرق التي ازدادت انحرافا وضلالا بتلك التأويلات الفاسدة. ويُمكن كشف فساد تلك التأويلات بسهولة، ولن يستطيع أي إنسان أن يُحمّل القرآن الكريم معنى ليس منه مهما استخدم من تلبيسات ومغالطات، لأن القرآن سيضل رافضا لذلك .

ولا يغيب عنا أن إشارة المؤلف إلى اختلاف الآراء في فهمها للقرآن لا يعني أن القرآن غير مُحكم ،و يفتقد إلى الأصالة التي تحميه وتميزه وتحافظ على كيانه. فهذا الموقف هو الذي أراد الرجل أن يقوله، لكنه موقف غير صحيح، بل وباطل جملة وتفصيلا. لأن سبب اختلاف العلماء في تفسيرهم للقرآن لا يعود إلى أن القرآن غير واضح ولا محكم ، وإنما يعود أساسا إلى اختلاف هؤلاء العلماء في نواياهم ومصالحهم وخلفياتهم المذهبية، وطوائفهم التي ينتمون إليها. فلو صدقت نوايا هؤلاء، وتخلوا عن مصالحهم ومذهبياتهم، لما حصل ذلك الاختلاف أصلا، ولتم الاتفاق على معظم النصوص والقضايا التي اختلفوا فيها من قبل. ثم بعد ذلك ستبقى قضايا فرعية قليلة مُختلف فيها، لكن يُمكن حلها بسهولة.
ومما يُثبت ذلك أيضا أن هؤلاء العلماء ما من واحد منهم إلا ويتبنى مذهبا من المذاهب، أو اتجاها من الاتجاهات الفكرية، وما من واحد منهم إلا و ينتمي إلى طائفة من الطوائف. فلماذا حدث كل ذلك ؟!، إنه حدث لأن كل تجمع من هؤلاء إلا وجمعته مصالح وأفكار واتجاهات مذهبية. فكان هذا هو السبب في اختلاف مواقفهم من القرآن من جهة.وفي توحيد مواقفهم الفكرية ضمن انتماءاتهم المذهبية والطائفية من جهة أخرى . فلو تخلوا كلهم عن مصالحهم ومذهبياتهم، واتجاهاتهم الفكرية وتبنوا مذهبا واحدا جامعا لهم ، فإنهم لن يختلفوا في مواقفهم من مضامين القرآن الكبرى، ومعظم قواعده وفروعه الأساسية. فما سبب ذلك؟!. إنه واضح جدا ، أن السبب في ذلك لا يعود إلى أن القرآن غير مُحكم و ليس واضحا، وإنما يعود إلى هؤلاء الذين يُفسرون القرآن ، فعندما اختلفت مصالحهم ورغباتهم ومذاهبهم اختلفوا في فهمه، وعندما توحدت اتفقوا على فهمه.

وواضح من كلام الرجل أنه يريد أن يصل إلى القول: بما أن القرآن لا ينطق بنفسه، ونحن الذين ننطق عنه، و نتحدث بلسانه، فهو ليس كتابا مُحكما مُتماسكا في بنائه ومعانيه ومقاصده!!. فهو كتاب هُلامي مُتغير لا ذاتية له ولا أصالة. مما يجعله نهبا للتأويلات الصحيحة والفاسدة معا،

فتضيع أصوله وفروعه، ولن يستطيع أحد أن يحدد معنى صحيحا له. وكتاب هذا حاله لا يصلح للتطبيق ،ولا يكون صالحا لكل زمان ومكان. فهذا الذي يريد الوصول إليه عبد الكريم سروش من كلامه السابق، وهو قد أشار إلى هذه الفكرة في عدة مواضع من كتابه بسط التجربة النبوية. ولاشك أن هذا الكلام باطل جملة وتفصيلا ، ومردود على صاحبه . وقد بينا أعلاه الشواهد التي تُثبت بطلانه، كما أن كتابنا هذا هو في صميمه نقض لهذه الفكرة التي قال بها الرجل وأمثاله من العلمانيين العرب المعاصرين[1].

وسادسا إن من انحرافات المؤلف الاستدلالية أنه ينظر إلى الدين ويتعامل معه انطلاقا من رغباته وظنونه ومذهبيته من جهة، ويفرض مواقفه عليه ويتكلم باسمه برأيه هو لا بما يقوله الدين من جهة أخرى. وهذا منهج مرفوض شرعا وعقلا، وهو من التغليط والتحريف المُتعمد، وهو مسلك يشهد على أن صاحبه مارسه عن سبق إصرار وترصد . من ذلك قوله: ((هناك نوعان من الضرورة: ضرورة دينية، وضرورة منطقية. مثلاً ضرورة الاعتقاد بنبوة النبي تعدّ ضرورة منطقية للإنسان المؤمن لا ضرورة دينية نابعة من داخل الدين ومن النصوص، بمعنى أنّ تعريف الدين إذا كان يتنافى مع نبوة النبي فهو منطقياً يتنافى مع الدين))[2].
وقوله هذا غير صحيح تماما ، قاله الرجل بلا دليل صحيح من الشرع، ولا من العقل، ولا من العلم ، وإنما قاله برغباته ومذهبيته.لأن الاعتقاد بنبوة النبي-محمد –عليه الصلاة والسلام- ليس أمرا اختيارا ، وإنما هو أمر إلهي إلزامي من أنكرها فقد عصى الله تعالى ، وكفر بدينه وحق عليه مقت الله وعذابه. قال سبحانه: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(آل عمران : 85)،و(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ)(آل عمران: 19)،و(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ)(محمد : 2)،و(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء : 107) .

ومن ذلك أيضا قوله : ((وعلى فرض وجود تعريف خاص للدين، فإنّه لا يكون تعريفاً منطقياً للدين، فيبقى التعريف الماهوي للدين أمر ذوقي وغير

[1] عنهم أنظر كتابنا: مواقف مع أدعياء العقلانية ، و الكتاب منشور إلكترونيا في عدة مواقع من الشبكة المعلوماتية.
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 203.

برهاني، لأنّ الحد في التعريف كما يقول المناطقة غير قابل للبرهان ‹‹لأنّ الحد والبرهان يشتركان في الأجزاء›› كما هو الحال في سائر التعاريف الفلسفية للأمور الأخرى))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح في معظمه،وفيه انحراف عن منهج الاستدلال الصحيح .لأن تعريف أي شيء والبرهنة عليه، يُطالب بهما صاحب التعريف أولا. وعليه فإن كل دين مُطالب بتعريف نفسه بنفسه، وبإقامة البراهين على صدقه وصحة تعريفه. والدين الذي يعجز عن ذلك، فهو دين باطل، وليس هو دين الله تعالى الذي أنزله إلى بني آدم وأمرهم بإتباعه ،ولا يقبل منهم سواه. وهذا يعني أن تعريف الدين ليس كما زعم الرجل بأنه أمر ذوقي وغير برهاني.

وأما كيف نستخرج تعريف الدين ،ونطلع على براهينه التي يُثبت بها أنه الدين الحق. فالأمر ليس صعبا، فكما أننا إذا أردنا أن نعرف فكر عالم من العلماء علينا أن نعود إلى مؤلفاته ، فكذلك إذا أردنا معرفة تعريف وبراهين ذلك الدين علينا أن نعود إلى نصوصه الدينية ، فيتضح لنا منها ما أردناه.

ونحن إذا رجعنا إلى القرآن الكريم[2] نجده مملوءا بالآيات التي تعرفنا بالله ودينه ورسله ،وبالعلاقة التي بينه وبين عباده،وبأصول الدين وفروعه ،و تعرفنا بالجنة والنار من جهة، وبالبراهين والآيات البينات التي ذكرها الله تعالى على صدق دينه وأنبيائه من جهة أخرى. فالقرآن الكريم يُعرّف نفسه بنفسه، ويحمل براهينه وآيات صدقه من داخله. قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)(النساء:174)،و(الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(إبراهيم:1)،و(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(فصلت:41-42)،و(أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(العنكبوت:51)،و(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)(الإسراء : 88)،و(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 37-38.
[2] وكذلك السنة النبوية الصحيحة الموافقة للقرآن الكريم.

كُفُوراً)(الإسراء: 89)،و(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)(فصلت : 53).

ثم بعد ذلك يستطيع الإنسان أن يستخرج تعريفا للدين بل أكثر من تعريف له انطلاقا من نصوصه واحتكاما إليها. فيُمكنه أن يطرح عدة تعريفات عامة تشمل أساسيات الدين ، ويُمكنه أن يعرفه تعريفات جزئية تنطلق من أصل من أصوله. وهذه التعريفات ليست متناقضة، وإنما هي تعريفات تندرج ضمن اختلاف التنوع والتكامل لا اختلاف التناقض. لأن كلا منها إلا وركز على جانب أو أكثر من جوانب الدين، لكن لا يصح أن يتضمن التعريف ما يُخالف الدين. فيمكن أن يُقال: إن حقيقة الدين هي العلاقة الروحية التي تتحقق بين العبد وربه. و يُمكن أن يُقال: إن الدين الحق هو فناء العبد في عبادة خالقه وفق شرعه .ويمكن أن يُقال:إن الدين في ذاته هو مجموعة أصول الإيمان و شرائعه التي تعبدنا الله تعالى بها.

وأخيرا- سابعا- إن من انحرافات المؤلف الاستدلالية الزعم بأن أدلة صدق النبي وإثبات نبوته لا تأتي من داخل الدين وإنما من خارجه!!. فقال : ((نحن نعتقد من خلال أدلة قوية «غير دينية» بأنّ اعتراضنا له مسوغات معقولة، فإنّ الاعتقاد بأنّ هذه الإنسان نبيّاً أو غير نبي ليس من ضمن البحوث في داخل دائرة الدين. فالأدلة التي تتقدم لإثبات أو نفي هذه القضية هي أدلة فلسفية وأنتربولوجية وتاريخية و...، فنحن من خلال قراءتنا لحياة النبي وسيرته الشخصية نعتقد بأنّه إنسان صادق ونعتقد بأنّه يوحى له. وربّما لا تكون أدلتنا مقنعة لبعض الأشخاص، إلاّ أنّ المهم هو أنّ الطرفين يقدمون أدلتهم من خارج الدين والشخص الذي يخرج بنجاح في هذا النقاش هو الذي يقدم أدلة أقوى))[1].

وأقول: ليس صحيحا أن أدلة صدق النبي تأتي من خارج الدين لا من داخله، وإنما الصحيح أنها تأتي من الجانبين ، ومن داخل الدين أولا. وهذا أمر ثابت شرعا وعقلا ، فأما شرعا فإن القرآن الكريم نص صراحة على أن الله تعالى أرسل أنبياءه بالآيات والبراهين الدامغة لتكون حججا بأيديهم يُثبتون بها صدقهم، ويردون بها على تكذيب أقوامهم لهم. قال تعالى: ((وَلَقَدْ

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 203.

أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)(الأحقاف : 27)،و(لَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)(المائدة : 32)،و(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (الحديد : 25)،و(فَلَمَّا جَاءهُم مُّوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)(القصص : 36)،و(وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (الأنعام : 83)،و(كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْماً كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(آل عمران:86)،و(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)(النساء: 174).

وكذلك ذكر سبحانه أنه أنزل على محمد كتابا معجزا كبرهان قطعي على صدقه ، وأنه كافٍ واحده ليكون كذلك، وأنه كتاب مُهيمن على كل الكتب السابقة، وقد هيمن عليها بما تضمنه من آيات وبراهين وحقائق قطعية دامغة ،وأن الله تعالى قد تحدى به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، ثم قطع بأنه لن يستطيعوا الإتيان بمثله . قال سبحانه: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ)(المائدة : 48)،و(إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ)(الزمر:41)،و(أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(العنكبوت: 51)،و(وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(البقرة : 23)،و(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً)(الإسراء : 88) . فلو لم يكن القرآن الكريم هو أكبر وأول دليل على صدق نبوة محمد-عليه الصلاة والسلام- ما وصف الله تعالى القرآن بتلك الصفات، ولما تحدى به الإنس والجن معا، ولا ما جعله الدليل الدامغ على صدق نبوة نبيه الخاتم.

ومن جهة أخرى فقد أشار القرآن الكريم إلى الجانب الآخر من الأدلة التي ليست من داخل الدين نفسه، وإنما هي تتعلق بسلوكيات وصفات النبي-عليه الصلاة والسلام-، على أنها من الأدلة التي تساعد وترجح كونه نبيا صادقا. منها قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)(العنكبوت: 48)،و(قُل لَّوْ شَاء اللّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ

أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)(يونس : 16)،و(قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ (الأنعام : 33)،و((وما كنت تخطه بيمينك لارتاب المبطلون))، و ((لقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا)).

وأما عقلا فمن الطبيعي والمنطقي جدا، ومن المفروض والواجب أن أي إنسان يدعي النبوة ، أو أمرا آخر، عليه أن يقدم الدليل الصحيح على صدقه، وعلى الناس أن يُطالبونه بذلك أيضا. فإذا لم يقدم دليلا على صدقه، فهو كاذب في دعواه ، وإذا قدم دليلا يجب النظر فيه لتمحيصه واختباره لنتأكد منه : هل هو دليل صحيح أم لا ؟، وإذا صح فهل هو من عنده ،أم أخذه عن أناس آخرين، أم هو من عند الله ؟.

ثم بعد ذلك علينا أن نبحث عن المعطيات والقرائن الخارجة التي تتعلق بشخص المدعي للنبوة، وبالدليل الذي جاء به. فهل توجد الشواهد العقلية والمادية التي تساعد على إثبات نبوة هذا المدعي أم لا ؟.

وبناءً على ذلك فإن المؤلف أخطأ خطأ فاحشا عندما قال بأن الاستدلال على صدق النبي يكون من خارج الدين الذي جاء به. وهذا زعم يندرج ضمن نظرته الذاتية المتعصبة في تقزيمه لعمليات البرهنة والاستدلال في القرآن الكريم . علماً بأنه لا يُمكن إثبات نبوة محمد –عليه الصلاة والسلام- بدليل قطعي دامغ من دون القرآن الكريم، وكل الأدلة الأخرى التي تذكر لإثباتها ، فهي ليست أدلة قطعية، وإنما هي ترجيحية مُساعدة في وجود القرآن، وبدونه يُمكن تفسيرها تفسيرا آخر، بحيث تجعل النبي من كبار عظماء التاريخ ليس إلا ، ولن تستطيع إثبات نبوته بالدليل القطعي.

واستنتاجا مما ذكرناه يتبين أن المؤلف تبنى منهجا استدلاليا ناقصا وضعيفا ،ومنحرفا عن المنهج الاستدلالي الصحيح من جانبين: الأول إنه أقام منهجه أساسا على ظنونه ورغباته ومذهبيته، فانطلق منها وقدمها على الوحي والعقل والعلم. والجانب الثاني أنه اتخذ موقفا خاطئا من منهج البرهنة والاستدلال في الشرع. حتى أنه جرّده من كل ذلك تقريبا وجعله تابعا لأهواء وآراء القراء.وهذا موقف باطل، وليس من العلم في شيء، وإنما هو موقف ذاتي متعصب لغاية يريد تحقيقها ، هي تقزيم المعجزة القرآنية. فهو يريد حرمان دين الإسلام من أعظم دليل قطعي على

صدق النبي ، ومن بعده كل الأنبياء الذين سبقوه. لأن عدم القدرة على إثبات نبوة محمد-عليه الصلاة والسلام- يعني أيضا عدم القدرة على إثبات النبوات السابقة بالدليل الصحيح .فالرجل لا يَملك منهجا استدلاليا صحيحا شاملا كاملا، وإنما رأس ماله منهج استدلالي ذاتي ناقص فاسد مُتعصب للباطل. وعليه فهو منهج لا يصلح للبحث العلمي، وقد أدى تطبيقه إلى كثرة الأخطاء وقلة الصواب.

وأما بالنسبة للاستنتاجات المتعلقة بخصائص فكر المؤلف ، فهي كثيرة نُجملها في النقاط الآتية: منها أولا إنه أقام كتابه بسط التجربة النبوية على التناقض لا على الانسجام والتوافق.إنه أظهر إيمانه بدين الإسلام ، وأن محمدا نبي الله ، وأن القرآن وحي إلهي ، لكنه من جهة أخرى وجدناه قد بذل جهدا كبيرا ليثبت أن القرآن ليس وحيا إلهيا، وإنما هو نتاج تجربة النبي الداخلية، ووليد ظروف المحيط العربي الطبيعية والبشرية !!!!. فهذا تناقض صارخ صريح وقع فيه الرجل عن قصد أو عن غير قصد، والراجح أنه تعمد قوله لغاية في نفسه. لأن هذا التناقض ليس خفيا ولا غامضا حتى يغيب عنه.

ثم أن هذا الرجل في سعيه وكده لإثبات مزاعمه ، لم يتبع المنهج الصحيح الذي يُمكن أن يُوصله إلى تحقيق هدفه إن كان صحيحا. فوجدناه يلف ويدور، ويأتي بالمزاعم الباطلة ويبني عليها أفكاره الفاسدة . فزعم أنه لا فرق بين تجربة النبي ،وتجارب الشعراء والحكماء، وزعم أن ظروف جزيرة العرب الطبيعية والبشرية كان لها تأثير في ظهور القرآن. و هذه كلها مزاعم باطلة ناقشناه فيها وبينا بطلانها وتهافتها. وعلى فرض صحة بعض أفكارها، فهي ليست دليلا صحيحا على صحة مزاعمه. فهذا الطريق الذي سلكه ضعيف جدا، ولن يُوصله إلى غايته التي خطط لها سلفا.

وأما الطريق الذي كان عليه أن يسلكه لكي يُحقق غايته إن كان موقفه صحيحا، فعليه أن يأتي بالأدلة الدامغة والقطعية على أن محمدا ليس نبيا، وإنما كان مدعيا للنبوة، وأن القرآن ليس وحيا إلهيا، وإنما هو كتاب اختلقه محمد وأعانه عليه قوم آخرون. وفي هذه الحالة يكون حاله كحال قريش وكل الكافرين بدين الإسلام ، وهؤلاء كلهم لم يتمكنوا من أن يأتوا ولو بدليل واحد يُثبت مزاعمهم بأن محمدا كان كاذبا وأن القرآن ليس وحيا إلهيا.وهذا العجز منذ كان قائما زمن ظهور الإسلام ، فهو ما يزال قائما إلى يومنا هذا،

ولن يستطيعوا رفعه إلى الأبد. قال تعالى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء : 88)،و(قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً (الإسراء : 88).

فما سبب هذا التناقض؟؟!!. إن من يقع في هذا التناقض الصارخ والصريح فهو إما أنه جاهل بدين الإسلام. وإما أنه لا يعي ما يقول. وإما أنه لا يُؤمن بدين الإسلام، و إنما أظهر إيمانه به لغاية في نفسه!!.

ومن مظاهر تناقض فكره أنه كان يتعمد مخالفة الشرع والكذب عليه و تكذيبه عن سبق إصرار وترصد. فهو يقول عن نفسه أنه مسلم، ثم نجده يُكذّب القرآن صراحة عندما ينفي أن يكون القرآن كلام الله حقيقة، مع أن القرآن أكد مرارا على أنه كلام الله . وقد نفي القرآن أن يكون محمد شاعرا ، أو أن يكون الذي جاء به شعرا ، لكن هذا الرجل الضال سوى بين النبي والشعراء في أصل النبوة. واظهر المدح مرارا للنبي-عليه الصلاة و السلام -وأثني عليه و صفه بالنبي الأعظم ، لكنه تعمد تكذيبه والكذب عليه عندما زعم أن القرآن ليس كلام الله حقيقة وإنما هو نتاج تجربة النبي الوجدانية، فهو كالشعراء والحكماء. وهذا زعم باطل وتكذيب للنبي وافتراء عليه، لأن النبي محمد – عليه الصلاة والسلام- لم يقل أن القرآن من عنده، وإنما أعلن للعالم كله انه رسول الله ، وأن القرآن كلام الله، وكان يُفرق بين كلامه والقرآن الكريم، فكان عندما ينزل عليه يكتبه مباشرة، ولم يكن يفعل ذلك مع كلامه الشخصي. لكن هذا الرجل المحرف كذّب كل ذلك وجعله وراء ظهره، انتصارا لظنونه ورغباته ومذهبيته!!.

وكذلك تعمد الكذب على النبي-عليه الصلاة والسلام- عندما زعم أنه كان يريد النبوة ، فأحبها واجتهد لتحصيلها، وتعب في طلبها مدة 40 عاما حتى نالها !!. وهذا افتراء مفضوح، وخرافة كبيرة ،و كلام بلا علم عن سبق إصرار وترصد !!.

ومن تلك المظاهر أيضا أن المؤلف كان يتعمد تقزيم المعجزة القرآنية كبرهان دامغ على صدق نبوة النبي العربي محمد بن عبد الله –عليه الصلاة

و السلام- . إنه قزمها وتناساها عندما أهملها ولم يركز عليها. وقزمها عندما أخرها وقدم عليها الأدلة الوجدانية والعقلية والمادية. وقزمها عندما جرّدها من أية عمليات برهنة واستدلال تقريبا. وهو بهذا المسلك يسير على طريق أمثاله من الباحثين العلمانيين المعاصرين كمحمد عابد الجابري ، ومحمد أركون، في تقزيمهم للمعجزة القرآنية[1].

وثانيا إن من خصائص فكر المؤلف – في كتابه بسط التجربة النبوية- أنه أقام فكره على طائفة من الخرافات والأوهام والشطحات خالف بها الشرع والعقل والعلم . منها قوله بخرافة عرضية أحكام الإسلام وذاتيتها ، وخرافة كون الوحي نتاج التجربتين النبوية والتاريخية، وخرافة وحدة الوجود. ثم بعد ذلك بني باقي مواقفه واجتهاداته على تلك الظنون والأوهام والخرافات التي اختلقها عن سبق إصرار وترصد ،واستدل عليها بظنونه ورغباته ومذهبيته من جهة ، وعجز عن البرهنة عليها بالشرع والعقل والعلم من جهة أخرى.

وثالثا من خصائص فكر المؤلف أنه كان حريصا على إغفال وعدم التركيز على الجانب الإلهي وتدخله في النبوة وتوجيه الدعوة الإسلامية. فعل ذلك محاولة منه ليُفسر ظاهرة النبوة والدعوة تفسيرا ماديا أرضيا علمانيا، ويقطعهما عن مصدرهما الإلهي. حتى أنه كان ينسب الأوامر الإلهية للنبي نفسه، فهو حسب زعمه مصدر الدين بكل ما فيه من أوامر ونواهٍ ، وكأن مضامين القرآن هي من عند النبي وليست من عند الله تعالى!!.و من ذلك أيضا أنه صوّر النبي-عليه الصلاة والسلام- على أنه حكيم وعظيم ، أكثر مما هو نبي من عند الله تعالى مأمور بأداء رسالة ربانية عالمية.

ومن ذلك أيضا أنه قال: ((إنّ أي مؤلف أو مفكّر لا يستطيع التخلص من قيود واقعه وأدوات زمانه في طبيعة عمله الفكري فالنبي يجد نفسه مضطراً لاستخدام هذه المفاهيم وتلك القوالب المتداولة في ثقافة عصره،

[1] عن ذلك أنظر : خالد كبير علال: الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري ومحمد أركون . و أباطيل وخرافات حول القرآن الكريم والنبي محمد-عليه الصلاة والسلام- . والكتابان منشوران ورقيا وإلكترونيا.

ولا يمكن فعل شيء آخر غير ذلك، فكل تعاليم القرآن طرحها بلغة قومه وثقافتهم))[1].

وقوله هذا غير صحيح من أساسه، والرجل تعمد قول ذلك تحريفا لدين الإسلام وانتصارا لمذهبيته الفاسدة. لأنه ليس المفكر، أو المؤلف نبيا ،ولا النبي مُفكرا ولا مُؤلفا، وعليه لا تصح المقارنة بين النبي وهؤلاء.وكل محاولة للتسوية بينهما في هذا المُنطلق الأساسي فهي باطلة وفاشلة مُسبقا.لأنه إذا كان المُفكر لا يستطيع أن يتخلص من قيود واقعه وأدوات زمانه في طبيعة عمله الفكري، فإن ذلك لا يصدق على النبي إلا في استخدامه للغة قومه في التخاطب معهم ، وأما لغة القرآن فليست من استخدامه، وإنما الله تعالى هو الذي استخدمها . لأنه-أي النبي- ليس له عمل فكري، ولا له اجتهاد في تكوينه، وإنما هو رسول من عند الله تعالى مُكلف برسالة إلهية، ليس له فيها شيء من عنده، وإنما هو يتلقي الوحي الإلهي ويلتزم به ويدعوا إليه . وحتى عندما يتصرف من دون وحي مباشر، فهو مأمور بذلك ومعصوم بالرعاية الإلهية. فليس للنبي من أمر رسالته شيء، إلا القيام بمهمة الدعوة التي كلفه الله بها في أكمل وجه. وعليه فإنه من الخطأ ، ومن الجريمة في حق الله ورسوله نسبة ذلك لشخص النبي-عليه الصلاة والسلام- .

وأما قوله :((ولا يمكن فعل شيء آخر غير ذلك، فكل تعاليم القرآن طرحها بلغة قومه وثقافتهم)). فهو باطل أيضا ، وفيه كذب على الله ورسوله و تكذيب لهما. لأن تعاليم القرآن ليس النبي-عليه الصلاة والسلام- هو الذي طرحها على قومه ، وإنما القرآن كله هو من كلام الله وليس من كلام نبيه. فلماذا هذا التحريف المُتعمد لدين الإسلام؟؟ ولماذا هذا الرجل لا يُقرر حقائق الإسلام كما هي، ثم يذكر أفكاره وضلالاته وينسبها إلى نفسه؟؟!!. فهذا هو الذي يفرضه عليه الشرع والعقل والعلم إن كان صادقا وموضوعيا مع نفسه و غيره.

فالله تعالى هو الذي أنزل كلامه باللغة العربية ، لقوله سبحنه: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(إبراهيم : 4)، لكنه لم ينزله بثقافتهم، ولا كان انعكاسا

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 142.

لمجتمعهم كما زعم الرجل، وإنما أنزله مُتضمنا لدين الإسلام بأصوله وفروعه، ومفاهيمه ومعجزاته، ولم يكن أبدا انعكاسا ولا نتاجا لتجربة النبي وظروف المحيط العربي. علما بأن القرآن الكريم لو كان نتاجا لذلك ما كان معجزا أبدا، ولما استطاع القرآن أن يتحدى الإنس والجن معا بأن يأتوا مثله، فعجزوا عجزا تاما إلى يومنا هذا. وبما أن هذا هو حال القرآن، فلا يُمكن أن يكون نتاجا لذات النبي، ولا للظروف التي ظهر فيها. وهذا أمر سبق أن توسعنا فيه،و بينا بطلان مزاعم الرجل المتعلقة بخرافة تاريخية مضامين القرآن ، فلا نعيد ذلك هنا.

ورابعا إنه تبين بشواهد كثيرة أن من خصائص فكر المؤلف عبد الكريم سروش أنه جمع بين النزعتين الصوفية والعلمانية. فبالنسبة لنزعته الأولى فالرجل ذكر صراحة تبنيه للتصوف الأكثر انحرافا وضلالا، عندما قال صراحة بوحدة الوجود، وبآراء رجاله في قولهم باستمرار النبوة بعد ختمها.
وأما نزعته العلمانية فإن المؤلف على خطى أمثاله من العلمانيين العرب كمحمد عابد الجابري ،ونصر حامد أبي زيد، ومحمد أركون، وهشام جعيط ، والجميع على خطى إخوانهم الغربيين القائلين بالتاريخية والحداثة. ويُلاحظ على عبد الكريم سروش ونصر حامد أبي زيد أنهما جمعا بين النزعتين الصوفية والعلمانية، خلاف الباقين الذين غلب عليهم الجانب الفكري[1].
ومن مظاهر علمانيته أنه قال:((فالفقه إمّا أن يكون دنيوياً وتكون الآخرة في طوله، أو أخروياً والدنيا تقع في طوله ولا شق ثالث)). وقال أيضا: ((واعلم أنّه سوف يقال: ما المانع من الجمع بين المصالح الدنيوية والأخروية وجعلها في عرض واحد وتكون كليهما مطلوبة للإنسان على السواء؟ ولكن هيهات من ذلك، فهذا الفهم للفقه يوصلنا إلى طريق مسدود، فالتوفيق في حلّ المشاكل الدنيوية غير منوط بالمصالح الغيبية، والقانون إنّما يكون قانوناً صالحاً فيما يمثّله من معطيات عاجلة ونتائج صحيحة على أرض الواقع الاجتماعي لا من خلال العواقب الآجلة))[2].

---

[1] عن ذلك أنظر لمؤلف هذا الكتاب: الأخطاء التاريخية والمنهجية في مؤلفات أركون والجابري . و خرافات وأباطيل حول القرآن الكريم والنبي محمد عليه الصلاة والسلام. و وقفات مع أدعياء العقلانية . وهذه الكتب منشورة ورقيا وإلكترونيا.
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 82.

وأقول: إن كلامه هذا غير صحيح جملة وتفصيلا: في منطلقه وغايته، وفيه انحراف كبير عن الشرع. ويتضمن نزعة عَلمانية مبيتة لفصل الحياة الدنيوية عن الحياة الأخروية، وافتعال نزاع بين الدارين، بدعوى عدم القدرة على الجمع بينهما. علما بأن الرجل قرر ذلك من دون أي دليل صحيح من الشرع. وهذا وحده يكفي لرد مزاعمه، لأن موضوعا كهذا لا يقول فيه كلمة الفصل أولا وأخيرا إلا الشرع وحده. لكن الرجل- كعادته- قرر موقفه انطلاقا من خلفياته المذهبية، وجعل الوحي الإلهي خلف ظهره.

وأما قوله بأن الفقه إما دنيوي، وإما أُخروي، فهو قول باطل ومردود عليه . إنه لا يُوجد في دين الإسلام- القرآن والسنة الصحيحة الموافقة له- إلا فقه واحد هو جزء لا يتجزأ من الشريعة، التي هي قائمة على العقائد الإيمانية والمفاهيم الشرعية المتعلقة بالحياة والكون والإنسان من جهة.وعلى أساس من العبودية التامة لله تعالى من جهة أخرى. قال سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات : 56)،و(ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)،و(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)(الأنعام: 162).

والفقه الإسلامي لا يُمكن فصله إلى فقه دنيوي وفقه أُخروي،لأن مُشرّعه هو الله تعالى أمرنا بأن نلتزم به ونتعبده به في حياتنا الدنيوية، كما نتعبده بالصلاة والصيام والحج. فالفقه الإسلامي جزء لا يتجزأ من دين الإسلام من جهة ،وهو التطبيق العملي للشريعة التي فرضها الله علينا وأمرنا بتطبيقها، وحرّم علينا تعطيلها و تعويضها بغيرها من جهة أخرى. لقوله سبحانه: ((ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(الجاثية : 18)،و(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)(المائدة : 50)،و(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (المائدة : 49)،و(وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(الأنعام : 153) .

وأخيرا إن الدين الإسلامي نص صراحة على أن الإنسان خُلق لعبادة خالقه، فإن هو آمن والتزم بشرعه أحبه وأدخله الجنة، وإن هو كفر، أو آمن

و لم يلتزم بشرعه غضب عليه وأدخله جهنم. ومعنى هذا أن الله تعالى لم يجعل الدنيا من أجل الدنيا، وإنما جعل الدنيا من أجل الآخرة، فهي مزرعة الآخرة . وهذا يستلزم أن يكون الفقه-الشريعة- فقها واحدا هدفه تحقيق الغاية التي خُلق من أجلها الإنسان.قال سبحانه: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)(الذاريات:56) وبما أن الأمر كذلك، فلا يوجد إلا فقه واحد، جاء من أجل الدارين معا. وهذا يستلزم سقوط وبطلان قول الرجل بوجود فقهين وعدم القدرة على الجمع بينهما.

ويجب أن لا يغيب عنا أن الفقه الإسلامي هو جزء من دين الإسلام، وامتداد لجوانبه الأخرى، والعلاقة بين كل جوانبه قوية ومتبادلة التأثير على أساس العبودية التامة لله، فالعبادات تُؤثر في المعاملات والعكس صحيح، قال تعالى: (اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ)(العنكبوت : 45)،و(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(التوبة: 103).والمعاملات تؤثر في الجانب الأخروي ،والعكس صحيح. ومن أبرز الأمثلة القطعية الدالة على ذلك الترابط القوي ،وعلى أن الفقه الإسلامي فقه واحد قائم على دين الإسلام مُنطلقا وغاية، هو أن ديننا الذي بُني على خمسة أركان كما قال النبي- عليه الصلاة والسلام-: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة ،والحج ،وصوم رمضان)[1]. فأن أحد أركانه هو ركن يتعلق بالحياة الاقتصادية، وهو الزكاة، ولا زكاة دون تعمير للأرض وفلاحتها ،وإقامة مُختلف المشاريع الاقتصادية .فهذا دليل قطعي على الترابط المتين بين الفقه وأصول الإسلام العقدية والشعائرية، والأخلاقية، وعلى أن الفقه الإسلامي فقه واحد ،ولا يفصل بين الحياتين الدنيوية والأخروية. واضح من ذلك أن الرجل قال بذلك القول لغاية في نفسه، تأثرا بنزعتيه الصوفية والعلمانية معا. لأن النزعة الصوفية المتطرفة جعلته يركز على الجانب الوجداني ويُهمل التطبيقي في الواقع، ونزعته العلمانية جعلته يقسم الفقه الإسلامي إلى دنيوي بلا آخرة، وإلى أخروي بلا دنيا.

---

[1] البخاري: الصحيح ، ج 1 ص: 11 ، رقم: 8.

ومن ذلك أيضا أنه قال: ((ولكن ينبغي مع كل هذه الأمور الالتفات إلى أنّ الفقه، أولاً: يمثّل علماً بالأحكام فقط ولا ينتج تخطيطاً وبرنامجاً للحياة، وثانياً: إنّ مثل هذا الفقه سيتبدل في الواقع إلى حركة عقلانية وبشرية وعرفية فيما يمثّله من مصالح دنيوية للناس وحينئذ لا يختلف إطلاقا مع سائر الأنظمة الحقوقية غير الدينية، وهذا يعني أنّه في حالة الطموح إلى مرتبة الحد الأعلى لابدّ أن نسحب أيدينا من كون الفقه فقهاً وعلماً دينياً، لأنّ التفسير العقلاني في إطار حل المشاكل الاجتماعية والدنيوية أمر متداول لدى جميع عقلاء العالم ولا حاجة بعدها لتسمية هذه المقررات والقوانين بالفقه الديني. وفي هذه الصورة لا حاجة بنا إلى الالتزام مثلاً بالتطهير الشرعي، فكلما يفرزه العلم الحديث في مجال الصحة يجب العمل به، والخلاصة أنّ تحويل الحد الأقل إلى الحد الأكثر في دائرة الأحكام الفقهية ينتهي في الواقع إلى نفي الموضوع من الأساس والوصول إلى نقطة الصفر على مستوى دور الفقه في الحياة. وهذا هو مقتضى علمنة الدين في العصر الحديث، فلا يمكن القول حينئذ أنّ وظيفتنا تتركز في إجراء الأحكام الإلهية في حركة الحياة بل وظيفتنا تتلخص في سلوك الطريق العقلاني في حلّ المشكلات الفردية والاجتماعية من خلال مقتضيات المصالح العرفية)).و((إنّ جميع النماذج التي ذكرناها لحدّ الآن تتعلق بـ «الفقه» ونستوحي من هذه النماذج هذه النتيجة، وهي أنّ الفقه يمثّل الحد الأدنى، لا أنّه يمثل «الدين» ومن أجل أن نخرج بنتيجة أنّ الدين يمثّل الحد الأدنى ينبغي إضافة أمور أخرى إلى هذا الموضوع))[1].

وأقول: كلامه هذا غير صحيح في معظمه، وفيه تحريف وتغليط وتلبيس، لتحقيق غاية مذهبية في نفسه.لأنه يجب أن يُفهم معنى الفقه من دين الإسلام مباشرة، ولا يصح تعريفه انطلاقا من رغباتنا أو تعريف بعض العلماء له. وعليه فإن الفقه في دين الإسلام لا يشمل الأحكام العملية المتعلقة بالعبادات والمعاملات فقط، وإنما يشمل كل شرائع الإسلام العملية، بتفاصيلها، ومفاهيمها ،وقوانينها الفقهية. وهو من جهة أخرى يقوم أيضا على فقه الآخرة، وفقه عمارة الأرض،وفقه القلوب، وفقه التاريخ ، وفقه

---

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 84،85.

العقائد، وفقه المفاهيم الإنسانية والكونية. والدليل على قولي هذا هو أن شريعة الإسلام لا تنفصل عن الإسلام كدين كامل شامل للدين والدنيا، وإنما تقوم على أصوله العقدية،والروحية، والأخلاقية ،ومفاهيمه المتعلقة بالإنسان والحياة والكون.والشاهد على ذلك أيضا قول النبي- عليه الصلاة والسلام- : ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))[1].وهذا حديث عظيم جدا، إنه بيّن أن الفقه ليس هو الفقه بالأحكام فقط، وإنما هو فقه بالدين كله ،وبما أن الإسلام دين كامل شامل للدنيا والآخرة ، فهذا يعني أن معنى الفقه واسع وعميق يشمل الفقه بكل ما في الدين. وهذا يعني أن الباحث عبد الكريم سروش قد أخطأ في فهمه لمعنى الفقه في دين الإسلام، مما يعني أن معظم ما قاله حول الفقه غير صحيح.

وإذا قيل:إن الرجل اعتمد في تحديد معنى الفقه على المعنى المعروف عند الفقهاء. فأقول: واضح من كلام الرجل أنه كان مُصرا على ذلك المعنى-لغاية في نفسه- عندما قال: ((أنّ الفقه، أولاً: يمثّل علماً بالأحكام فقط ولا ينتج تخطيطاً وبرنامجاً للحياة)). وكان عليه أن يأخذ معنى الفقه من الشرع نفسه وليس من التعريف الشائع لدى الفقهاء. وهذا الفقه هو فقه دين الإسلام وليس فقه المذاهب والفرق الإسلامية.

فواضح من ذلك أن الرجل أخطأ في تحديد معنى الفقه تحديدا صحيحا كما هو في دين الإسلام، فترك معناه الصحيح والواسع وأخذ بمعناه الضيق والناقص. وهذا يعني أن مواقفه التي بناها على مفهومه الناقص غير صحيحة في معظمها.

وأما قوله عن الفقه بأنه لا ينتج تخطيطاً وبرنامجاً للحياة، فهو زعم باطل من دون شك. ولا أدري هل هذا الرجل لا يعي ما يقول، أو أنه قال ذلك لغاية في نفسه؟؟!!. إن هذا الرجل نسي أو تناسى بأن دين الإسلام برنامج إلهي كامل شامل للدارين بأصوله وقواعده ،وفروعه العقدية والأخلاقية ، والتعبدية والفقهية. وأن التخطيط هو أصل أصيل قام عليه ديننا ، وأنه من مقتضيات تشريعات الإسلام. والشاهد على ذلك هو أن دين الإسلام قائم على التخطيط للدنيا والآخرة معا. لأنه جاء بشريعة لتُطبق في كل مجالات

[1] البخاري:الصحيح ،حققه محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ج1 ص: 25، رقم: 71 .و النسائي : السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ج 3 ص: 425.

الحياة الدنيوية فيسعد بها المسلمون من جهة، وتكون لهم مزرعة للدار الآخرة توصلهم إلى دار البقاء من جهة أخرى. ولهذا خاطبنا الله تعالى بقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(الحشر: 18) وهذا أعظم تخطيط أمر الله به كل إنسان على وجه الأرض، بأن يأخذ به، ولا ينساه ولا يغفل عنه ، لأن أي تهاون في الاهتمام به والتهيؤ له، سيكون خسرانا مُبينا و وبالا على صاحبه. ولا شك أن أعظم خسارة يُمنى بها الإنسان هي خسرانه للآخرة ، لأنه لم يُخطط ولم يتهيأ لها!!.

وأما كيف هو من مقتضيات شريعة الإسلام ، فالأمر واضح جدا، فلا يُمكن أن نطبق كثيرا من أحكام الإسلام تطبيقا صحيحا وشاملا، إلا بالبرمجة والتنظيم والتخطيط. من ذلك الزكاة، فلكي تُجبى بطريقة شرعية وشاملة وصحيحة فلابد من وجود مؤسسات- بعمالها ومواصلاتها- تتولى القيام بذلك. وهذا الأمر كان معمولا به منذ عهد النبوة، وما بعدها. وهذا لا يتم في الواقع إلا بالتخطيط والبرمجة والتنظيم المُحكم . ونفس الأمر ينطبق على الحج أيضا، وكذلك عبادة الصلاة فهي تقوم على تنظيم وحساب دقيق في تحديد الأوقات والقيام بها.

علماً بأن الجانب المتعلق بالتخطيط والبرمجة والتنظيم ليس خاصا بأمة دون أخرى،وإنما هو من ضروريات حياة الإنسان، ويفرض نفسه عليه فرضا من جهة، وهو من جهة أخرى عنصر حيادي موضوعي تستطيع كل الأديان والمذاهب ، والفرق والأمم أن تستخدمه وتوظفه لمصالحها، من دون أن تخاف على ذاتيتها ومصالحها. وبناءً على ما ذكرناه فإن كلام الرجل المذكور أعلاه غير صحيح تماما.

وفيما يخص قوله بأن تطبيق الفقه واتساع مجاله في الواقع ،وما ينتج عنه من حركة فكرية تفسيرية سيؤدي بهذا الفقه إلى أن يفقد خصائصه الإلهية، ومقوماته الذاتية، ومميزاته الدينية حتى يصبح لا يختلف عن القوانين العلمانية المعمول بها عالميا ،وفي هذا الحالة لا يصبح فقها دينيا ولا إسلاميا. فهو قول باطل جملة وتفصيلا، ومردود على صاحبه بدليل المعطيات الآتية:

أولها هو أن الفقه الإسلامي- بمعناه الواسع- ركن أساسي من أركان دين الإسلام من جهة. وقائم على أصول الإسلام الإيمانية ،والشعائرية، و الأخلاقية،والمفاهيم المتعلقة بالإنسان والكون والحياة من جهة أخرى.ويمتلك قواعد وقوانين وتشريعات كثيرة تتعلق بفروعه الأساسية ، وأحكامه المُفصلة والمجملة ، وله غايات ومقاصد شرعية تربط أُسسه بنتائجه. وفقه هذا حاله يستحيل أن يفقد ربانيته وأصالته،وخصائصه، ولا يُمكن أن يختفي وتحتويه مذاهب أخرى أو تدجنه وتطوّعه لخدمتها.ولا يُمكن أيضا أن يصبح فقها علمانيا كما زعم المؤلف.علما بأن أي فقه في العالم يُحافظ على مُنطلقاته وغاياته، وأساسيات مكوناته ، فإنه لن يفقد أصالته ولا ذاتيته ،ولا تستطيع المذاهب المخالفة له من احتوائه وتطويعه ليصبح في خدمتها وتابعا لها.

والثاني مفاده أن تطبيق الفقه الإسلامي في الواقع تطبيقا صحيحا وشاملا ، قلباً وقالباً ، يزيده قوة وعمقا ،حياةً وثراءً، نموا واتساعا، ويُؤدي إلى تفجير النصوص الشرعية للكشف عن مكنوناتها وحِكمها الربانية الكثيرة والمتنوعة.لأن الفقه الإسلامي يتغذي من عقائد الإسلام ،وعباداته، وأخلاقه ومفاهيمه الكونية والإنسانية. وهذه مصادر لا تنضب أمام من يطلب أحكامها وحِكمها، وقوانيها وقواعدها. وكل هذا يعني أن تطبيق هذا الفقه في الواقع يكون في صالحه وليس ضده زعم الرجل.

والمُعطى الأخير-الثالث- مضمونه أن تطبيق الفقه في الواقع تطبيقا صحيحا سيُولد حركة فكرية اجتهادية تفسيرية تكون في خدمته ولا تكون ضده كما ادعى الرجل. لأنه هو الذي أنتجها وصبغها بخصائصه وجهها لتكون له لا عليه. وحتى إذا افترضنا جدلا أنه وُجدت حركات فكرية تفسيرية تخالفه، فإن الحركة الفكرية التي أنتجها هو قادرة على الرد على الحركات الفكرية المناهضة له.

وأخيرا- رابعا- إن قوله: ((إنّ جميع النماذج التي ذكرناها لحدّ الآن تتعلق بـ «الفقه» ونستوحي من هذه النماذج هذه النتيجة، وهي أنّ الفقه يمثّل الحد الأدنى، لا أنّه يمثل «الدين» ومن أجل أن نخرج بنتيجة أنّ الدين يمثّل الحد الأدنى ينبغي إضافة أمور أخرى إلى هذا الموضوع)). فهو قول غير صحيح في معظمه ،وفيه تغليط وتلبيس لغاية مذهبية في نفس المؤلف. من

ذلك قوله:((إنّ الفقه يمثّل الحد الأدنى، لا أنّه يمثل «الدين»)). هو قول مشبوه وغير دقيق، لأنه إذا كان الفقه لا يُمثل الدين كله، فإنه منه . ولهذا فإن الصواب هو أن نقول: إن الفقه في الإسلام يُمثل جانبا أساسيا من الدين، هو التشريع الإسلامي المتعلق بالعبادات والمعاملات.

وأما قوله بأن الفقه يُمثل الحد الأدنى مما يحتاج إليه المسلمون من أحكام. بمعنى أنه جاء بالحد الأدنى من التشريعات الفقهية التي يحتاج إليها المسلمون. فهو قول غير صحيح ، لأن هذا الأمر يحتاج إلى تفصيل، ولا يصح إصدار حكم عام حوله. وتوضيحه هو أن الفقه الإسلامي يتكون من عدة أبواب، وكل باب له ميزته من جهة التفصيل، والتوسط ،والإجمال. فمنه أبواب مُفصلة مواضيعها ، كأحكام الصلاة، والحج ،و الميراث، ومنه أبواب أحكامها وسط بين التفصيل والإجمال ،ربما منها أحكام البيوع .ومنه أبواب مُجملة مواضيعها، منها ما يتعلق بنظام الحكم.

فما الحكمة من ذلك؟ إن الشرع فصّل في المواضيع التي تتطلب التفصيل، وتوسط في التي يُناسبها التوسط، وأجمل في المواضيع التي تتطلب الإجمال. لأنه ليس من الحكمة مُخالفة ذلك، وإنما عين الحكمة والمصلحة هو ما فعله الشرع . فهو قد أجمل في نظام الحكم ليس نقصا أو نسيانا، وإنما الموضوع يتطلب ذلك، فشرّع الإسلام للشورى التي هي العمود الفقري للنظام السياسي في الإسلام. وقد تضمن هذا العمود الفقري ثلاث ركائز سياسية أساسية يرتكز عليها النظام الشوري الإسلامي: أولها إن الحكم في الإسلام شورى بين المسلمين، وليس محصورا في شخص، ولا في أسرة ولا في قبيلة ، وإنما هو شورى بين المسلمين، فمن انتخبوه فهو الخليفة. والركيزة الثالثة تتمثل في أن عملية الشورى يجب أن تقوم على الرضا لا على القهر والاحتيال. و الركيزة الأخيرة- الثالثة- تتمثل في الحرية في التشاور والاختيار.

ومن جهة أخرى فإن النظام السياسي في لإسلام محكوم أيضا بالتشريعات الإسلامية الأخرى، لأن السياسة ليست منفصلة عن عقائد الإسلام تشريعاته الأخرى، وإنما هي تابعة له ومحكومة به. من ذلك فإن السياسة في الإسلام يجب أن تقوم على الصدق لا على الكذب، و على العدالة لا على الظلم، وعلى الأخوة والتعاون لا على العداوة و التناحر.

ونفس الأمر ينطبق على قوله : ((ومن أجل أن نخرج بنتيجة أنّ الدين يمثّل الحد الأدنى ...)). فهذا لا يصح ، لأن الإسلام دين كامل، وشامل جمع بين الدين والدولة ،و بين الدنيا والآخرة[1] ولا يصح القول بأنه جاء بالحد الأدنى لما يحتاجه البشر، فهذا قول مخالف للإسلام مخالفة صريحة، و يتضمن طعنا فيه ، ووصفا له بالنقص.

والحقيقة المشهودة هي أن الإسلام بما أنه دين كامل وشامل فهو قد فصّل في كل الجوانب المكونة له. ففصل في العقائد والأخلاق ، وفصّل في تاريخ الأنبياء وأقوامهم ،وفصّل في أحكام الفقه على تنوعها. وفصّل في آيات الآفاق والأنفس ، منها الإشارات العلمية. وفصّل في المفاهيم المتعلقة بالإنسان والحياة والكون. وفصل في أحوال وأهوال المعاد الأخروي وما يترتب عنه. وأما المواضيع الجزئية التي أجملها الشرع ولم يُفصلها، فهي كاملة بإجمالها، ومُفصلة بروح الدين وأصوله، وبمقاصده وقواعده ، وبدعوته إلى الاجتهاد. ولهذا قال تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)(المائدة : 3)،و(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (النحل : 89) . فالدين كامل، وشامل للدارين، و كافٍ شافٍ لما يحتاجه الإنسان في الدنيا والآخرة.

وأما لماذا استخدم المؤلف عبارتي : الحد الأدنى ،و الحد الأعلى، ولم يستخدم عبارات: التفصيل، والتوسط ،والإجمال ؟. فيبدو أنه تعمد فعل ذلك لغاية مذهبية في نفسه. فهو كان قد أشار إلى الحدين: الأعلى والأدنى، دون الحد الوسط، ثم انتهى إلى أن الدين جاء بالحد الأدنى كما في كلامه السابق. وهذا المُصطلح الأخير يُساعده على الوصول إلى الزعم بأن في الإسلام يحتاج إلى ما يُشبه العلمانية ليُكمل نقصه. لأن القول بأن الدين جاء بالحد الأدنى من التشريعات الفقهية، فهذا يعني أنه لا يكفي الناس في حياتهم الدنيوية، الأمر الذي يتطلب منهم البحث عن حلول وتشريعات لهم من خارج الدين، أو ليست لها معه علاقة مُباشرة. وهذا الأمر قد أفصح عنه المؤلف في كلامه السابق، كقوله: ((وهذا هو مقتضى علمنة الدين في العصر الحديث)).

[1] سبق أن ذكرنا النصوص الشرعية التي أثبتت ذلك.

وأما لماذا لم يستخدم مُصطلحات: التفصيل،و التوسط، والإجمال ؟، فهي عبارات لا تخدمه ،ولا تحقق له غايته. وإنما هي عبارات تشهد على كمال الإسلام وشموليته ،وتُبرز عظمته في مجال التشريع، كما بيناه أعلاه. و عليه فإن الصحيح هو أن الإسلام هو دين كامل شامل، جاء بما يكفي الإنسان ويُشفيه ويُسعده ،ولا يصح أن يقال: هل جاء بالحد الأعلى أو بالأدنى لما يحتاجه الإنسان ؟!.

ثم أن المؤلف أجمل موقفه من الموضوع بقوله: إن الدين كامل لا جامع، بمعنى غير شامل لمتطلبات الدنيا[1]. نعم إن دين الإسلام كامل بأصوله وفروعه و مفاهيمه ،وبمضمونه كله ، وشامل للدنيا والآخرة، لكنه شامل أيضا لمتطلبات الدنيا وجامع لها. إنه شامل لها بأحكامه التفصيلية، و بأحكامه التي توسط فيها، وبأحكامه التي أجملها، و بمفاهيمه الكونية والإنسانية، وبقوانينه وقواعده التشريعية، وبتشريعه للاجتهاد وحثه على ممارسته.

وخامسا إن من خصائص فكر المؤلف أنه فكر لا يقوم على التأصيل الشرعي لأفكاره،وإنما يقوم على خلافه. فالغالب عليه أنه ينطلق من خلفيات مذهبية ، ويفرضها على الشرع، أو ينسبها إليه ، ولا ينطلق في مواقفه من الشرع ،ولا يرجع ولا يحتكم إليه في معظم أفكاره، اللهم إلا إذا كان ذلك في صالحه فسيعود إليه بطريقة نفعية انتهازية تحريفية في معظم مواقففه!!. ومن ذلك أنه لم يكن يحرص على التفريق بين الدين كدين وبين المذاهب الفكرية المنتسبة إلى الدين. فكثيرا ما ألحق أفكار بعض المذاهب بدين الإسلام مع أنها ليست منه. كما أنه لم يكن يحرص على التأصيل الشرعي لمواقفه ، فلا يجمع النصوص، ولا يتحقق من صحتها ولا من معانيها ، وإنما يعمل حسب رغباته ومذهبيته . فالأفكار التي يريد إلحاقها بالدين يُلحقها به بمغالطات وتلبيسات، والتي لا يُريد أن يُلحقها به يتركها ، من دون العودة إلى الوحي والاحتكام إليه.

ومن مظاهر عدم تأصيل المؤلف لأفكاره تأصيلا شرعيا، أنه كان يتعمد تغيير المصطلحات الشرعية بمصطلحات حديثة لغاية في نفسه. فمن ذلك

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، هامش ص: 99.

أنه قال: ((إذن فالمقوم لشخصية ونبوة الأنبياء هو الوحي فقط. أو «التجربة الدينية» في الاصطلاح الجديد))[1].

و هذا تحريف مُتعمد لمفهوم الوحي في دين الإسلام ، ولا يصح تسميته بالتجربة الدينية شرعا ولا عقلا ولا علما. لأن التجربة الدينية هي تجربة عامة يُمكن أن يمر بها أي إنسان في بحثه عن حقائق الكون، وفي بحثه عن الإجابات الصحيحة المتعلقة بالأسئلة الأزلية المعروفة قديما وحديثا : من أين أتينا؟، و لماذا أتينا ؟، وإلى أين مصيرنا ؟. لكن تجربة الوحي هي ليست في متناول أي إنسان، وإنما هي لا تتم إلا باختيار من الله تعالى ، ليس فيه للإنسان المُختار أي اختيار. و عليه فلا تصح التسوية بين مفهومي تجربة الوحي التي يمر بها النبي، وبين التجربة الدينية التي يُمكن أن يمر بها أي إنسان. فالفارق بينهما أساسي وحاسم، ومن يجعلهما متطابقين فهو إما أنه جاهل بالموضوع ، وإما أنه لا يعي ما يقول، وإما أنه يتعمد ذلك لغاية في نفسه.

ثم أنه قال: ((إنّ الفرق بين الأنبياء وبين غيرهم من أصحاب التجارب الدينية هو أنّ الأنبياء لا يبقون أسرى تجربتهم الشخصية ولا يشغلهم التنعم بها عن أداء دورهم الإنساني، بل إنّهم بسبب حلول هذه التجربة في عمق ذواتهم يشعرون بوظيفة جديدة ويتبدل النبي عندها إلى إنسان جديد يسعى لبناء عالم جديد))[2].

وأقول: ليس ذلك هو الفارق الأساسي فقط بين التجربتين، و إنما هناك فوارق أساسية أخرى بعضها أهم وأسبق من الفارق الذي ذكره الرجل. أولها يتمثل في الاتصال اليقيني مع الله بواسطة الوحي، لقوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)(الشورى : 51) . وهذا لن يحصل إلا للأنبياء، وأما ما يحصل لأصحاب التجارب الدينية من البشر، فهو ليس وحيا إلهيا، وإنما هو آثار مواجيد روحية تنعكس على أصحابها نتيجة لما قاموا به من بحث ومعاناة، ومجاهدات واعتكافات ، وأذكار وصيام . فهم أصحاب رياضة معنوية روحية انعكست عليهم بمواجيد على نفوسهم.

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 9.
[2] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ص: 10.

مقابل أصحاب الرياضات البدنية والذهنية. فأصحاب الرياضة البدنية ينعكس ذلك عليهم بقوة وسلامة أجسامهم ،وأصحاب الرياضة الذهنية ينعكس ذلك عليهم بقدرتهم على الجدال، والتعمق في مناقشة القضايا الشائكة، والقدرة على ممارسة السفسطة والتغلب على الخصوم. فالتجربة الدينية البشرية تبدأ من البشر وتعود إليهم، فهي منهم و إليهم، لكن تجربة الوحي ليست كذلك، فهي تبدأ من عند الله وتعود إليه.

وأُشير هنا إلى أن المسلم التقي – في تجربته الدينية- قد خصه الله تعالى بهداية خاصة مقابل الهداية العامة التي خص الله بها باقي البشر في تجاربهم الدينية. والنصوص الشرعية الدالة على ذلك كثيرة جدا، منها قوله سبحانه: (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(النور: 40)،و(لَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)(الحجرات:7)،و(يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(المائدة:16)،و(يِا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)(الأنفال: 29)،و(أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الملك : 22). و منها قول النبي-عليه الصلاة والسلام : (« ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار »)[1]، و(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا »)[2].

والفارق الثاني يتمثل في أن تجربة الوحي هي تجربة يقينية من دون شك ، لكن التجربة الدينية البشرية هي تجربة ظنية: مُنطلقا ،وممارسة، ونتيجة . فهي تجربة تحتمل الخطأ والصواب، وليست يقينية.

والفارق الثالث هو مُتضمن في كلام الرجل ،ومفاده أن النبي الرسول صاحب رسالة إلهية مُكلف ومأمور بأدائها. قال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(المائدة:67)،و(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

[1] مسلم: الصحيح ، ج 1 ص: 48، رقم: 174 .
[2] مسلم: الصحيح ، ج 1 ص: 46 ، رقم: 160.

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)(الحجر : 94) . لكن أصحاب التجارب الدينية من البشر ليس في تجاربهم تكليف بأداء رسالة إلهية أُنزلت عليهم ،وإنما هم مُكلفون بتبليغ الدعوة التي جاء بها النبي.فهم مُطالبون بذلك في حياته وبعد مماته.

والفارق الرابع- الأخير- مضمونه أن تجربة الوحي أعظم بكثير من التجربة الدينية البشرية، فهي- أي تجربة الوحي- أكثر عمقا وشمولية، وقوة وتأثيرا، ويقينا وعلما .

وسادسا إن من خصائص فكر الرجل أنه فكر يحمل مشروعا لهدم دين الإسلام من أساسه بطريقة تغليطية تلبيسية ماكرة من دون مهاجمته وتكذيبه علانية ومباشرة ، مع أنه في الحقيقة يفعل ذلك ويسعى لهدمه وعلمنته. من ذلك أنه أنكر أن يكون القرآن الكريم وحيا إلهيا من جهة، لكنه من جهة أخرى تظاهر بأنه يُؤمن به ،و وصفه بأنه وحي، وقصد بذلك أنه وحي بشري نابع من نفس النبي!!!!. فهذا الرجل له طريقة الغالب عليها أنها طريقة باردة في الهدم والتحريف من دون إثارة الزوابع وإشعال النيران علانية .

ومن ذلك أيضا أنه استخدم الإسلام لضرب الإسلام وهدمه حسب رغباته ومذهبيته. فهو يتظاهر بالشرع ثم يَنقُضه ويَنقَض عليه، ويتكلم باسم الإسلام بما ليس منه ،ويُقرر رغباته ومذهبيته على أنها تُمثل الإسلام مع أنها مخالفة له، وليست منه. وقد يأخذ بجانب منه ليُهدم جانبا آخر منه. فقسم الإسلام إلى عرضيات وذاتيات لفصل فروع الدين عن أصولها، ثم جاء إلى الأصول وجعلها من دون فروع، لتحل محلها العلمانية.

ومثال ذلك أيضا انه وظف مبدأ ختم النبوة لنقض وهدم ما جاءت به النبوة . فقال: ((. «التحرر» يعني تحرر العقل من العناصر الماورائية وما دون العقل، فالنبوة تمثّل أمراً ما فوق العقل وبإمكانها وضع تكاليف معينة للناس من خلال أدوات الخطاب الوحياني، وبالتالي تتمكن من تحرير الإنسان من العناصر الدونية وما دون العقل، ثم تحركت النبوة من خلال عنصر

الخاتمية لإزالة وإلغاء العناصر الفوقية والماورائية وبذلك عملت على تشديد وتقوية عنصر العقل، وبذلك صار طفل العقل بالغاً ورشيداً وحراً في عملية التفكير والرأي بحيث صار قادراً على الوقوف على قدميه ولا يحتاج إلى الاستعانة بعنصر ماورائي))[1].

وأقول: قوله هذا غير صحيح، وهو نموذج لتحريفات الرجل، ومغالطاته لهدم الإسلام باسم الإسلام. وفي كلامه هذا أباطيل و تلبيسات أقامها على رغباته وخلفياته المذهبية، وتضمن غرورا كبيرا بدعوى تحرر العقل الإنساني بعد ختم النبوة. وتفصيل ذلك هو أنه لا شك أن ختم النبوة يعني بالضرورة أنه لا إنسان حي معصوم بعد ختمها، وأن كل بني آدم خطاء، وأن كل إنسان يُؤخذ من كلامه ويُرد، والحَكم في ذلك الدليل الصحيح لا الأشخاص ولا المذاهب،ولا الأُسر ولا القبائل. لكن ختم النبوة ليس ختما لدين الإسلام، ولا توقيفا ولا نسخا للسنة النبوية بعد موت صاحبها-عليه الصلاة والسلام. وإنما تعني أن الله تعالى أكمل دينه بقرآنه وسنة نبيه وجعله حجته على خلقه إلى يوم القيامة. وعليه فنحن مكلفون شرعا وعقلا بمواصلة الالتزام بدين الإسلام: قرآنا وسنة بعد ختم النبوة.

ومن جهة أخرى فإن المؤلف وظف مبدأ ختم النبوة لتعطيل الإسلام ونقضه من أساسه، من دون أي دليل صحيح ، وإنما أخرج مبدأ ختم النبوة عن أصله، وأقام عليه ما ليس منه وما لا يقبله، ثم قرر ما يُناقضه. فزعم أن ختم النبوة حرر العقل من العناصر الماورائية، وألغى وأزال العناصر الفوقية والماورائية. وهذا كذب صريح على دين الإسلام. لأنه لا إسلام دون الاعتقاد بالغيب العلمي لا الخرافي. ولا إسلام من دون الاعتقاد بأن الله تعالى هو الإله والمشرع و المعبود .ولا إسلام كامل من دون الالتزام بالسنة النبوية الصحيحة الموافقة للقرآن الكريم.

وأما حكاية العناصر الفوقية والماورائية فإن الرجل استخدمها تلبيسا وتغليطا لتحقيق غاية مذهبية في نفسه لم يُفصح عنها ، يريد بها التخلص من الاعتقاد بأن الإسلام دين إلهي، مُنزل من عند الله تعالى، وأننا مُطالبون بالالتزام بدينه كله. علماً بأن تطبيق الإسلام ليس قيدا ولا حِجرا على العقل

[1] عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، 176-177.

، وعدم تطبيقه ليس تحررا كما زعم الرجل. وإنما تطبيقه هو عبادة من يستحق العبادة، وتحرر من انحرافات وشبهات وشهوات النفوس والشياطين. وعدم تطبيقه هو انحراف عن دين الله تعالى، وعبادة للأهواء والشياطين من الإنس والجن.

علماً بأن الإيمان بالغيب ليس عيبا ،ولا نقصا، ولا يتناقض مع الشرع ولا مع العقل،ولا مع العلم. وإنما الغيب غيبان: غيب حقيقي علمي، وغيب وهمي خرافي. على العقل أن يتخلص من الغيب الخرافي ويُحاربه بكل ما يستطيع، وعليه أن يُؤمن بالغيب الحقيقي العلمي. وهذا الأخير هو الذي يقوم عليه دين الإسلام ومدح به المؤمنين، كما في قوله تعالى: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(البقرة : 3) . فهذا غيب حقيقي لا خرافي.

والغيب الحقيقي العلمي هو من مكونات العالم، وعليه قام العلم الحديث.بل أصبح من ضرورياته أيضا. فبما أن العلم الحديث قال بعدم أزلية العالم، وأنه سائر نحو الزوال، فهذا يعني بالضرورة أن للكون بأسره جانب غيبي حقيقي تكوّن وتطور فيه، وله غيب حقيقي ينتظره إلى أن ينتهي وبعد فنائه. وعلى هذه القاعدة العريضة من غيبيات الكون الصحيحة قامت علوم الطبيعة بكل أنواعها. فلماذا هذا الرجل يطعن في الإسلام بدعوى العناصر الفوقية، والماورائية؟؟!!.

وأما قوله بأن العقل البشري بلغ رشده، وتحرر من العناصر الفوقية ، والماورائية، فهذا زعم ليس فيه من الصحة إلا القليل. لأن العقل الإنساني كما كان في القديم يجمع بين الحقائق والأساطير، فهو ما يزال إلى يومنا هذا يعتقد بعقائد ومذاهب مليئة بالأباطيل والانحرافات، والخرافات والضلالات التي لا أساس صحيح لها من العقل ولا من العلم. منها ما ورثه من الماضي وما يزال مُتمسكا به، ومنها ما استحدثه حديثا وما يزال يختلق غيره. وهذا الرجل هو نموذج لكثير من أهل العلم المُحدثين الذين أفسدتهم وصرعتهم تلك الضلالات والانحرافات القديمة منها والمحدثة معا. وعليه فإن الزعم بأن العقل البشري تحرر وبلغ رشده، ولا يحتاج إلى

الاستعانة إلى دين الله تعالى هو حديث خرافة، الغاية منه تعطيل دين الإسلام وهدمه.

وسابعا إن من خصائص فكر عبد الكريم سروش أنه فكر قام أساسا على السفسطة والتغليط والتدليس ،ولم يقم على الصدق والموضوعية والوضوح. والسبب في ذلك أنه لم يقم فكره على الوحي الصحيح ،ولا على العقل الصريح ،ولا على العلم الصحيح، وإنما أقامه صاحبه على ظنونه ورغباته ومذهبيته . وكل فكر هذا حاله فإنه بالضرورة سيستخدم السفسطة والتغليط والتلبيس انتصارا لمذهبيته، لأنه لا يستطيع أن يستخدم غيرها، وستكون هذه الصفات من أساسياته. وهذه الخصائص ليست مما يُمدح بها الإنسان ولا هي من العبقرية في شيء ، وإنما هي مما يُذم بها صاحبها ، لأن العبقرية الحقيقة ليست في ذلك وإنما هي في اتباع الشرع والعقل والعلم، وفي النقد والتحقيق العلميين ، وفي الكشف عن سنن الكون بصدق وحياد وإخلاص، انتصارا للشرع والعقل، والعلم والحق.

وأخيرا –ثامنا- أذكر هنا طائفة أخرى من الاستنتاجات المتعلقة بفكر المؤلف، منها إنه تبين بالأدلة الدامغة أن معظم المواقف الفكرية التي تضمنها كتاب بسط التجربة النبوية لعبد الكريم سروش، كانت مواقف باطلة ومتهافتة بدليل الشرع والعقل والعلم.

ومنها فقد تبين بالأدلة القطعية أن المؤلف في كتابه بسط تجربة النبوة أنه لم يبسط تجربة النبوة كما جاءت في الشرع ، ووصفتها الروايات الصحيحة، وإنما بسط فيه تحريفاته ومغالطاته،و ضلالاته ورغباته، وخلفياته العلمانية والصوفية والشيعية. فالكتاب لم يبسط أبدا حقيقة النبوة، وإنما بسط وكشف حقيقة فكر عبد الكريم سروش في موقفه من النبوة وما يتعلق بها .

ومنها أيضا فقد تبين أن المؤلف بسبب كثرة أخطائه وانحرافاته المنهجية في كتابه بسط التجربة النبوية، قد فشل فشلا ذريعا في تحقيق ما كان يريد تحقيقه. ومن جهة أخرى فإن الرجل – بسبب ذلك- يكون قد دمر نفسه أخلاقيا وعلميا وإيمانيا. حتى أن كثيرا من مواقفه مع أنها كانت تثير الغثيان

والاشمئزاز لشناعتها وتهافتها، فإنها من جهة أخرى كانت تُثير الإشفاق على صاحبها الذي لم يشفق على نفسه !!.

ثالثا: أسباب كثرة أخطاء المؤلف وانحرافاته العقدية والمنهجية:

بناءً على ما تقدم من كتابنا هذا فقد تبين أن المؤلف عبد الكريم سروش أخطأ في معظم مواقفه الفكرية المتعلقة بموضوع كتابه بسط التجربة النبوية. فما هي أسباب ذلك ؟، يُمكن إرجاعها إلى ثلاثة أسباب أساسية: أولها يتعلق بنية المؤلف، فقد تبين من عشرات المواقف الفكرية التي تبناها المؤلف أن نيته لم تكن معرفة حقيقة النبوة كما هي في دين الإسلام، ولا أنه كان يريد معرفتها بصدق وحيادية وموضوعية ، وإنما كان يحمل مواقف مذهبية مُسبقة تتعلق بموضوع النبوة أراد أن ينشرها ويُدافع عنها ،ويُخضع لها مفهوم النبوة في الإسلام، ويُطبقها عليه. وبما أن هذه هي نيته، وهي نية فاسدة ومنحرفة عن الشرع والعقل والعلم ، فإن هذا هو السبب الأول والأساسي في كثرة أخطاء المؤلف وانحرافاته العقدية والمنهجية.

والسبب الثاني يتمثل في أن المؤلف لم يأخذ معلوماته عن النبوة من مصادرها الصحيحة فقط ، وهي : القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة الموافقة للقرآن ، و الروايات التاريخية الصحيحة . وإنما أخذها أساسا من خارج هذه المصادر، منها روايات الصوفية ومواقفهم ، و ظنون المؤلف ورغباته، ومذهبيته العلمانية والصوفية والشيعية. ثم قدم هذه المصادر الضعيفة على المصادر الصحيحة- القرآن ، السنة، التاريخ الصحيح- وجعل الضعيفة مُتحكمة في الصحيحة وراجحة عليها!!. وبما أن المؤلف قد أهمل الأصول الصحيحة ، فإنه قد حُرم من الوصول إلى النتائج الصحيحة !!.

والسبب الثالث- الأخير- يتعلق بخلفيات التطبيق والممارسة ، فعندما بسط المؤلف فكره ودافع عنه، لم يكن يحتكم في ذلك إلى الشرع والعقل والعلم بشكل أساسي، وإنما كان يحتكم أساسا إلى رغباته وقناعاته، وخلفياته المذهبية من علمانية وصوفية وشيعية. وهذا الانحراف أورده المهالك، وجره إلى استخدام التغليط والتحريف، والتلبيس والسفسطة. فكانت النتيجة أن المؤلف أخطأ في معظم مواقفه شرعا وعقلا، علما ومنهجا.

وختاما لهذا الفصل- الرابع والأخير- يتبين جليا أن المؤلف عبد الكريم سروش لم يكن صاحب منهج استدلالي صحيح . ولا اعتمد اعتمادا أساسيا وصحيحا على المصادر الأساسية لموضوع النبوة . ولا كانت له مُنطلقات وخلفيات مذهبية صحيحة. ولا كانت نيته سليمة، ولا حيادية في بسطه للتجربة النبوية. فأوصله كل ذلك إلى الفشل الذريع في تناوله لموضوع النبوة: منهجا وتطبيقا ونتائج !!.

الخاتمة

أظهر نقضنا لكتاب بسط التجربة النبوية للباحث عبد الكريم سروش، نتائج وحقائق كثيرة ومتنوعة، خطيرة وهامة . منها أولا فقد تبين بعشرات الشواهد أن المؤلف لم يكن في مستوى البحث العلمي النزيه، فلم يكن موضوعيا ،ولا حياديا ،ولا عقلانيا في معظم مواقفه الفكرية. وإنما كان فيها ذاتيا مُتعصبا لظنونه ورغباته ومذهبيته ، ومنتصرا لها على حساب الوحي الصحيح ،والعقل الصريح، والعلم الصحيح. فأوقعه ذلك في أخطاء فادحة، وجرائم نكراء أرتكبها في حق دين الإسلام ونبيه محمد –عليه الصلاة والسلام- .

وثانيا فقد اتضح بالأدلة الدامغة أن المؤلف أخطأ خطأً كبيرا وفاحشا عندما طبق قانون التاريخية على دين الإسلام. أخطأ في ذلك لأنه لم يُطبقه بطريقة علمية حتى يتبين له أن دين الإسلام لا ينطبق عليه هذا القانون، وإنما طبقه بطريقة تحريفية تغليطية تلبيسة لتحقيق غايات مذهبية في نفسه. منها القول ببشرية المصدر القرآني ونفي مصدره الإلهي ، بدعوى أن نبوة محمد-عليه الصلاة والسلام- كانت نتاجا وانعكاسا لتجربته النفسية ، وللظروف الطبيعية والبشرية التي ظهر فيها. وقد ناقشنا الرجل في مزاعمه وبينا بطلانها وتهافتها بشواهد كثيرة ومتنوعة.

وثالثا فقد تبين أن المؤلف وقع في أخطاء فادحة عندما تكلم في تعريف النبوة وطريق معرفتها ، وعندما قارنها بالأحلام وملَكة الشعر. ثم وصل به الأمر إلى الافتراء المُتعمد على النبي- عليه الصلاة والسلام- عندما زعم أنه – أي النبي- طلب النبوة وتعب في تحصيلها حتى نالها . فكان النبي مصدر النبوة بما بذله من جهود مضنية في طلبها ، وكان هو مصدر الوحي بحكم أنه كان نتاجا لتجربته النبوية حسب زعم الرجل. ثم تكلم عن ختم النبوة فكان معظم ما قاله حولها كلاما باطلا، ومخالفا للشرع مخالفة صريحة عن سبق إصرار وترصد. حتى بلغ به انحرافه إلى الزعم بأن

النبوة لم تتوقف بعد ختم النبوة بمحمد- عليه الصلاة والسلام- ، وإنما هي ما تزال مُستمرة بطريقة فردية ، بحيث يستطيع أي إنسان أن يكون نبيا لنفسه. قرر كل ذلك وانتصر له من دون أي دليل صحيح من الشرع ،ولا من العقل، ولا من العلم ، وإنما قرره انطلاقا من ظنونه ورغباته ومذهبيته.

ورابعا فقد اتضح جليا أن المؤلف كان يفتقد إلى المنهج العلمي الصحيح في البحث والاستدلال، ليس لأنه لم يكن يعرفه، وإنما تعمد عدم الأخذ به عندما وجده لا يتفق مع ظنونه ورغباته ومذهبيته ، ولا يُحقق له غاياته التي كان يرجو تحقيقها من كتابه بسط التجربة النبوية. حتى أنه كان لا يُفرق بين النبي الذي هو كليم الله ،وبين غيره من الشعراء والزهاد وكبار الصوفية والعباقرة والعلماء. إنه لم يُفرق بين النبي وهؤلاء، وقارن بينهم بمنهج واحد، وهذا لا يصح شرعا ولا عقلا ولا علما ، وهو انحراف كبير عن منهج الاستدلال الصحيح. لأنه لا مجال للمقارنة بين تجربة الأنبياء وبين تجارب غيرهم من البشر.

وأخيرا –خامسا- فقد أظهر نقدنا لكتاب بسط التجربة النبوية أن مؤلفه أقامه على طائفة من التناقضات والأوهام، والخرافات والشطحات، ذكرنا منها نماذج وشواهد كثيرة جدا، كقوله بوحدة الوجود، وعرضيات أحكام الإسلام وذاتياته، وحكاية كون الوحي نتاج التجربتين النبوية والتاريخية. ثم تسلط بتلك التناقضات والأوهام والخرافات على الشرع والعقل والعلم تحريفا وتغليطا ،تلبيسا وسفسطة، انتصارا لمواقفه ومذهبيته. فكانت النتيجة أن المؤلف أهمل منهج الاستدلال الصحيح وداس عليه. وأنه أخطأ في معظم مواقفه الفكرية المتعلقة بموضوع كتابه. وأنه لم يبسط في كتابه التجربة النبوية كما ذكرتها المصادر الصحيحة ، وإنما بسط فيه رغباته وضلالاته ، وتحريفاته وخلفياته المذهبية المتعلقة بموضوع النبوة!!

تم الكتاب ولله الحمد أولا وأخيرا

أ ، د خالد كبير علال

الجزائر: ذو الحجة 1433 / أكتوبر 2012

المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم .

2-ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 1406هـ .

3-ابن تيمية: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، دون معلومات نشر.

4 - ابن كثير : تفسير ابن كثير، دار المعرفة، بيروت ، 1992 .

5- ابن كثير : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت .

6 - ابن كثير : السيرة النبوية، دون معلومات نشر .

7 - الألباني: صحيح الجامع الصغير وزياداته ، دون معلومات نشر .

8- الألباني: صحيح ابن ماجة، دون معلومات نشر .

9 - الألباني ناصر الدين: سلسلة الأحاديث الصحيحة، دون معلومات نشر

10-البخاري:الصحيح ،حققه محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة .

11- خالد كبير علال: الداروينية في ميزان الإسلام والعلم، دار البلاغ ، الجزائر.

12 - رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية ، المكتبة العصرية، بيروت.

13- رنيه تاتون: تاريخ العلوم، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

14- الشهرستاني: الملل والنحل،ظ7، دار المعرفة، بيروت ، 1998 .

15- عمر سليمان الأشقر: تاريخ الفقه الإسلامي، قصر الكتاب ، البليدة ، الجزائر، 1990 .

15- عبد الكريم سروش: بسط التجربة النبوية ، ترجمة أحمد القبانجي ، دار الفكر الجديد ، العراق، 2006 .

16- عبد الحميد سماحة: في أعماق الفضاء، دار الشروق، القاهرة، 1980.

17- عبد الكريم زيدان: السنن الإلهية في الأمم و الجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998 .

18- لعروسي الحويزي: تفسير نور الثقلين ، ط 4 ، مؤسسة إسماعيليان ، قم ، إيران ، 1412 .

19- الكليني : الكافي من لأصول، ط3، دار الكتب الإسلامية، طهران.

20 - الموسوعة العربية العالمية ، النسخة الإلكترونية، 2004 .

21- محمد أبو زهرة: مقارنات الأديان: الديانات القديمة ، دار الفكر العربي ، القاهرة،
22- محمد أبو زهرة : محاضرات في النصرانية ، ط 3 ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .
23- مسلم: الصحيح ، دار الجيل ، دار الآفاق، بيروت .
24- موريس بوكاي : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ط4، دار المعارف، بيروت ، 1977 .
25- المفيد : الاختصاص ، حققه علي الغفاري نشرته جماعة المدرسين بقم ، إيران .
26- محمد العياشي : تفسير العياشي ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران.
27- محمد رضا المظفر: عقائد الإيمامية ، دار الإرشاد ، بيروت، 1988.
28- النسائي : السنن الكبرى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

....

فهرس المحتويات

مصنفات للمؤلف:

1- صفحات من تاريخ أهل السنة و الجماعة في بغداد .

2-الداروينية في ميزان الإسلام والعلم .

3- قضية التحكيم في موقعة صفين – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل

4- الثورة على سيدنا عثمان بن عفان – دراسة وفق منهج علم الجرح و التعديل-

5- مدرسة الرواة الكذابين في رواية التاريخ الإسلامي و تدوينه .

6- الصحابة المعتزلون للفتنة الكبرى – دراسة وفق منهج أهل الجرح و التعديل

7- الأزمة العقيدية بين الأشاعرة و أهل الحديث .

8- أخطاء المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون في كتابه المقدمة

9- الأخطاء التاريخية و المنهجية في مؤلفات محمد عابد الجابري و محمد أركون

10-أباطيل و خرافات حول القرآن الكريم و النبي محمد-عليه الصلاة و السلام- -دراسة نقدية لدحض أباطيل الجابري ،و خرافات هشام جعيط-

11- نقد فكر الفيلسوف ابن رشد الحفيد –على ضوء الشرع و العقل و العلم

12- التعصب المذهبي في التاريخ الإسلامي- خلال العصر الإسلامي-

13- بحوث حول الخلافة و الفتنة الكبرى-وفق منهج علم الجرح و التعديل-

14- مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية .

15- وقفات مع أدعياء العقلانية - قراءة نقدية لفكر حسن حنفي ، و نصر حامد أبي زيد ، وهشام جعيط ، و أمثالهم- .

16- تناقض الروايات السنية و الشيعية حول تاريخ صدر الإسلام- مظاهره و آثاره ، أسبابه و منهج تحقيقه- .

17- جنايات أرسطو في حق العقل و العلم .

18- مخالفة الفلاسفة المسلمين لطبيعيات القرآن الكريم .

19- منهج أهل الحديث في الرد على المتكلمين-أُسسه و تطبيقاته-

20- قضايا تاريخية وفكرية من تاريخنا الإسلامي .

21- تهافت ابن رشد في كتابه تهافت التهافت - مظاهره ، آثاره ، أسبابه-

22- جناية المعتزلة على العقل و الشرع – مظاهرها ، آثارها ، أسبابها –

23- الحركة الحنبلية و أثرها في بغداد (من القرن: 3 إلى الخامس الهجري)

24- الحركة العلمية الحنبلة و أثرها في المشرق الإسلامي(ق: 6 إلى 7 الهجري)
25- نقض كتاب بسط التجربة النبوية للباحث الإيراني عبد الكريم سروش.
26- نقض الروايات القائلة بتحريف القرآن الكريم الواردة في المصادر السنية- مظاهرها وآثارها ، مصادرها و أسبابها-
27- المرويات التاريخية عند المسلمين: أساليب النقد وظاهرة الوضع فيها- مبرة الآل والأصحاب، الكويت، 1431هـ/ 2010 .
28- نقد الروايات والأفكار المؤسسة للتصوف-- قراءة نقدية لأسانيد ومضامين الروايات المؤسسة للتصوف بكل مقوماته -
29- التضليل والتحريف في كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.
30 – نقد تجربة الشك واليقين عند أبي حامد الغزالي من خلال كتابه المنقذ من الضلال .